

المجلد الثاني عشر

(١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م)

~~~

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م
~~~





المجلد الثاني عشر

(١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م





رحلة الى المغرب الأقصى (١)

بقلم **محمد رضا الشبيبي**

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه بلاد العربية مضافةً الى لغتها ، او البلاد العربية موصوفةً بسكانها ، هذه البلاد بحدودها المعروفة كانت ولم تزل وحدة جغرافية يقطعها ابناؤها من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق رجالة وركباناً آحاداً وجماعات يسيرون على بساط واحد لا يخامرهم ادنى شعور بوحشة في لغة او لون او عاطفة او عقيدة ، ومن هذه الناحية ضربت هذه البلاد للناس مثلاً يحتذى في التجاوب بين احساساتها واتجاهاتها فيما حزبها من احداث ، او الم بها من كوائن مختلفة .

هكذا كانت هذه البلاد وحدة جغرافية في عصور مجدها ثم تمكن منها الضعف والخمول وتباعدت الشقة فلا رحلة ولا لقاء حتى ذمر عليها الغريب ونفذ اليها الاجنبي وغزاها من غزاها من الاقوياء الطامعين فزادوا الطين بلة في اقامة الحواجز وايجاد العوائق

---

(١) تضمن الجزء الحادي عشر من اجزاء هذه المجلة وقائع رحلة عنوانها رحلة في بادية السماوة قام بها كاتب هذا المقال استغرقت خمساً وعشرين مرحلة في البادية بين مدينة دمشق وشواطي نهر « الفرات » وكان ذلك قبل اكثر من أربعين سنة ، وهذه ايضاً وقائع رحلة اخرى تختلف عن سابقتها في زمانها ومكانها وفي ظروفها الخاصة قمنا بها من العراق الى ديار المغرب الاقصى ، او من بغداد الى « الدار البيضاء » بالطائرة ثم بالسيارات الى مختلف حواضر المغرب : الرباط ، طنجه ، تطوان ، مكناس ، فاس وكان ذلك في خريف سنة ١٩٦٠ وتتضمن هذه الرحلة الثانية بالاضافة الى تعريف البلدان وصفاً لجملة من اوضاع المجتمع المغربي واحواله ، ومن ذلك الاحتفال بمهرجان جامعة القرويين في مدينة فاس

وسلطوا عليها الجهالة وحرموها من العلم والثقافة ، وسامها اولئك الغزاة الغالبون سوء العذاب ، واخيراً وبعد سُبات طويل دارت دورة الفلك ، وتحركت هذه الامة ، وشاع فيها ضرب من الوعي في هذه العصور الأخيرة .

تعددت مظاهر هذا الشعور في بلاد العربية او البلاد العربية ، ولا ابالغ اذا قلت ان رغبـــة ملحة في تعزيز الاواصر وتوثيق الصلات ، وخلق فرص التعارف كانت من أبرز مظاهر الوعي المذكور ، وما ان خفت وطأة تلك القيود ، وتداعت بعض السدود التي اقامها المستعمرون حتى ظهر الميل الى تجشم المصاعب ، واستئناف الرحلات من شرق البلاد العربية الى غربها ومن شمالها الى جنوبها وبالعكس ، وفي هذه الحركة التي بدأت في مطلع هذا القرن ما فيها من الدلالة على نمو ذلك الشعور

في هذه الفترة الواقعــة بين الحربين الـكونيتين الاولى والثانية ، افلتَ بعض الرواد المغامرين والاحرار المجاهدين من الحصـــار او السجن المطبق عليهم فنفذوا الى بعض الاجواء الحرة شرقا وغربا ، واخيراً اقيمت مواسم ثقافة وادب في بعض بلاد المشرق فأمها من امها من افاضل المغرب لم تتكأدهم مشقة ولا قعدت بهم وعثاء ، وجاءت بعض اعياد « المغرب الاقصى » نخف الى المشاركة فيها من خف من ابناء المشرق فرحين مغتبطين كأنها اعيادهم بالذات وهي كذلك في الحقيقه

ومن المعقول وقد نالت بلاد المغرب قسطا من حرياتهـا أن يُعنى المشارقة واخوانهم المغاربة بخلق فرص التعارف والتآخي ، وتعزيز الصلات الروحية والثقافية بين اجزاء العالم العربي ، وخير وسـيلة لخلق تلك الفرص تبـادل الزيارات والجولات العلميـــة التي تُنسّق وجهات النظر في قضايا العصر الحاضر ، وتتجلى في تنظيم العلاقات الثقافية من قبيل تبادل الاســـاتذة والطلاب والبعثات العلمية والمؤلفات والصحف السيارة ، وفي الاقبال على الرحلات

انتهزت حكومة المغرب من مرور احد عشر قرنا على تأسيس « جامع القرويين » ومدرسته في فاس فرصةً للاحتفال بهذه الذكرى ، واعدت العدة للقيام بمهرجان يليق بشأنها ،

ووجهت الدعوة الى عدد من هيئات المدارس الجامعة والمعاهد العلمية، والى اشخاص آخرين، وكان كاتب هذه الكلمة بين من دعي الى شهود هذا المهرجان، ولم يكن له بد من تلبية هذه الدعوة الشائقة التي صادفت هوى في النفس وامنية من اعز الاماني، فانها اول رحلة نقوم بها الى تلك البلاد

كانت الاسفار من المشرق الى المغرب أو من المغرب الى المشرق محفوفة بالاخطار بحراً وبراً اما لاختلال الامن واما للنفقات الباهظة، على ان المغاربة كانوا يخاطرون بنفوسهم ونفائسهم في سبيل اداء فريضة الحج، وكم من مركب ابتلعه اليّمُ وهو في الطريق، ومن قرأ رحلة ابن جبير او رحلة ابن بطوطة والأول رحالة أندلسي من أهل بلنسية، والثاني مغربي من أهل طنجة أطلع على جانب من خطر الاسفار وركوب البحار في تلك العصور

هذا وهناك كثير ممن كتبت له السلامة من اهل الاندلس والمغرب فادى فريضة الحج عرج على حواضر المشرق، ودور العلم في مصر والعراق أو على مثلها في خراسان، وفي ما وراء النهر منهم من طابت له الاقامة في المشرق، ومنهم من عاد بعد التحصيل ولقاء الشيوخ وتحمل الحديث وحفظه، وقد حفظ التاريخ لنا اسماء جماعة من اعيان علماء الاندلس والمغرب شدوا الرحال الى مصر والاسكندرية، ومنها الى الحواضر المشرقية

وعلى ذكر الاسكندرية نقول كان هذا الثغر قبلة المسافرين بحراً من موانئ الاندلس والمغرب، وما اكثر الذين اقاموا ودرسوا في مدارسها فقد انشئت خلال المائتين الخامسة والسادسة اكثر من مدرسة في مدينة الاسكندرية، وحسبنا مدرسة الحافظ السلفي التي تخرج منها عدد غير قليل من المغاربة ذكرهم الحافظ السلفي في معجمه الذي سماه (معجم السفر) وهذا ايضاً الفقيه الطرطوشي مصنف كتاب (سراج الملوك) اختار المكث في الاسكندرية على الرجوع الى بلاده في الاندلس الى ان مات، ومن المغاربة من قضى شطراً كبيراً من عمره في هذه الرحلات العلمية كأبي بكر محمد بن العربي المعافري الأندلسي

الاشبلي الحافظ رحل إلى العراق والمشرق مرتين وصحب الغزالي والشاشي ورجع إلى المغرب بعلم لم يدخل به أحد غيره ، وهو القائل لم يرحل غيري وغير الباجي وأما غير نافقد تعب[1] إلى آخرين عادوا بعد التحصيل الى اوطانهم بعلم كثير وأدب غزير طيب الله ثراهم واجزل مثوبتهم، وكان اهل المغرب والاندلس ينظرون الى من قام برحلة علمية الى المشرق نظرة اكبار واجلال ، فالمشرق فيما يراه القوم قديماً وحديثاً معدن العلم وموطن المعرفة ومثابة الفضيلة ، وهذه اسفار التاريخ وكتب الطبقات التي صنفها المشارقة - كالخطيب البغدادي مصنف (تاريخ بغداد) وابي سعد السمعاني مصنف كتاب (الانســاب) وابن الجوزي صاحب (المنتظم) وابن عساكر وابن النجار وابن الساعي وابن الفوطي مصنف كتاب (مجمع الآداب) وياقوت الحموي والصفدي والذهبي وابن حجر وسبط ابن الجوزي مصنف مرآة الزمان وابن خلكان وابن شاكر الكتبي وابن فضل الله العمري والمنذري مصنف (التكملة في وفيات النقلة) حافلة بذكر من رحل او لجأ الى الشرق من المغاربة والاندلسيين لتحصيل العلم وتحمل الحديث ، ومثلها في ذلك جملة من كتب المغاربة

أما المشارقة الذين شدوا الرحال الى المغرب او الاندلس فانهم اقل من المغاربة ، ومن اشهر رحلات المشارقة رحلة ابي علي القالي صاحب الامالي الى الاندلس من بغداد ، وكانت حفاوة الاندلسيين به كبيرة ، قرأ عليه واستفاد من علمه وادبه كثير منهم، وتخرج به جماعة ، وللقالي في الاندلس اخبار اوردها المؤرخون واصحاب الطبقات ، ومن رواد المشارقة اديب عراقي ذكي الفؤاد وشاعر مجيد هو أبو العلاء إبن صاعد البغدادي ، رحل الى الاندلس من بغداد، وحظي عند حكام تلك البلاد في عصر الدولة العامرية على انه مُنيَ بالحسد من قبــل بعض أدباء عصره ولكنه شق طريقــه ، وتغلب على خصومه بذكائه وعلمه الغزير

هكذا كانت الاسفار والمواصلات بين المشرق والمغرب خطرة شاقة في العصور القديمة ، وفي هذه العصور الحديثة جدت مخاوف اخرى في سبيل الاتصــال بين المشرق

---

(١) الوافي بالوفيات (٣ : ٣٢٠) وممن عنى بالترجمة له القاضي ابن خلكان في الوفيات ٢ : ٥٩٨ والمقري في ازهار الرياض ونفح الطيب ومؤلف هذه الرحلة في كتابه أدب المغاربة والأندلسيين

والمغرب تتجـلى في اطماع بعض الدول بخيرات العـالم العربي فهي تقيم الحواجز وتمنع من التزاور ، هـذا بالاضافة الى بعد المسافة وطول الشقـة ثم ان هـذه الدول هي التي تملك الاسـاطيل والاسراب الجوية والقواعـد والمطارات والموانئ وهي التي تتحكم بشؤون الانتقال بين هذه البلاد وتلك أما المشارقة من دول وشعوب فهم لايملـكون من ذلك الا القليل أو الاقل من القليل ، ولو لا ان الغربيين رواد تجارة وطلاب منفعة أي انهم يفيدون من استخدام طائراتهم واساطيلهم وقوافل سياراتهم لما مكنوا ابناء المشرق في هذا العصر من الرحلة الى المغرب ، ولمـا تيسر لاهل المغرب العربي السفر الى الديار الشرقية

من بغداد الى الدار البيضاء :

أسلمنا أنفسنا الى الفضاء بل الى القدر والقضاء، وحلقت بنا طائرة نفاثة من مطار بغداد في طريقنا الى المغرب، وفي تمام الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة من صباح يوم الاحد ٢/١٠/٦٠ هبطت طائرتنا في انقرة ثم بعد ذلك في الاستانة وروما وباريس ، وكنا نحلق على ارتفاع اكثر من ثلاثين الف قدم ، وفي سرعة ٥٧٠ « ك » في الساعة ، ومع ذلك كانت رحلة جوية ممتعة لم نشعر خلالها باقل حركة او اهتزاز ونحن في الطائرة حتى ليخيل الينا ان طائرتنا واقفة في مكانها من الجو لو لا نظرات نلقيها على معالم اليابسة ، وعلى تلك الشخوص والاشباح الارضية البعيدة :

شخوص وأشباح تمر وتنقضي وتفنى جميعـاً والمحرك باق

بين فرنسة والمغرب :

وفي تمام الساعة الرابعة والنصف من مساء اليوم عينه هبطت طائرتنا على مدرج (مطار أورلي) بباريس، وبعد مبيتنا ليلة الاثنين ١٩٦٠/١٠/٣ في باريس بكرنا في الذهاب الى المطار المذكور حيث اقلتنا طائرة فرنسية قديمة لا وجه للمقارنة بينها وبين الطائرة الاولى في رحلة استغرقت اكثر من اربع ساعات حلقنا خلالها على جنوب فرنسا وعلى الاقطار الاندلسية وعلى مضيق جبل طارق او بحر الزقاق كما يسميه البلدانيون العرب ومن

هناك هبطت طائرتنا على مطار الدار البيضاء ، وكان وصولنا الى هذه المدينة المغربية في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم المذكور

والخلاصة قطعنا هذه المسافة الشاسعة بين بغـداد والدار البيضـاء في مُدة لم تزد على تسع ساعات ، وذلك على الخط الآتي : بغداد ، أنقرة ، الأستانة ، رومة ، باريس ، الدار البيضاء وكانت خاتمة مطافنا في رحلتنا من بغداد اليها بالمطارات .

للعبرة والتاريخ :

والآن وبعد أن وصلنا الى اول بلد في المغرب متجشمين عناء السفر جواً من بغداد الى هذه البلاد مجتازين على بلاد الدولة التركية ومن ثم على ايطالية ففرنسة واسبانية وهي كما لايخفى طريق ملتوية ، ولـكن لا مناص من سلوكها على شدة التوائها ، بل على من يقصد مصر من تونس او بالعكس وهما من قارة واحدة ان يذهب اولاً الى رومة وقد شاهدنا ونحن في مدريد بعثة عراقيـة تريد اقليم غانة وصلت بالطائرة من بيروت الى المغرب، واجتمعنا بها هناك، ومن ثم سافرت الى مدريد ومنها عادت الى طرابلس ومن طرابلس الغرب سافرت جواً الى غانة في رحلة بالطائرة تسـتغرق عشرات الساعات . فما هي العبرة التي نستخلصها من رحلة تبدأ من العراق وتنتهي بالمغرب الاقصى ، ولـكن لامفر من المرور فيها على عدة دول اوربية ، ولا مندوحة من الانصياع لتلك النظم الاجنبية من سياسية وتجارية على ما يشوبها من تعسف في بعض الاحيان

كانت حقوقنامهتضمة ولغتنا ممتهنة في مكاتب شركات الطيران وفي اذاعاتها واعلاناتها فلم نسمع اذاعة الابلغة اعجمية حتى فيما يتعلق بالرحلة ـ وفي ركاب الطائرة جماعة من العرب ـ وحسبنا ما قاسيناه في مدينة النور باريس من التعنت والاجراءات التعسفية ومن خلف المواعيد والاخلال بهـا مع العرب والمشـارقة كأنهم قوم لا حساب لهم في تلك البـلاد ، وهؤلاء المرشدون وادلاء السواح في الديار الاندلسـية وفي الجزيرة الخضراء يسمعونك من التعريض بماضي الامة العربية ما يدل على فساد ذوق ان لم نقل على قلة ادب ، اجل نقول ما هي العبرة التي نستخلصها من مثل هذه الرحلة ، الا يمكن ان تتم رحلتنا الجوية ضمن بلاد

العرب ؟ او داخل هـذه الاقطار الشـرقية حيث لا ينال المسافرين حيف ولا تبخس لهم حقوق كما تمت قبل ذلك رحلات الاباء والاجداد في بلادهم ولو على ظهور الجمال .

ان بلاد العرب بحدودها من الخليج الى المحيط وحـدة جغرافية يتمم بعضها بعضا ولـكنها في الوقت الراهن ـ وقت الرحلة التي قام بها الـكاتب ـ يغلب على اكثرها الخراب وينقصها العمران، ويعبث فيها المستعمرون فلا طرق مُمهدة، ولا مواصلات منظمة ولا قواعد جوية في اكثر هذه الدول العربيـــة ولا يملك اهلها ما يملكه غيرهم من اجهزة فنية ومطارات وغير ذلك مما لا غنى عنه في مثل هذه الاسفار .

لهذه العلة يضطر من يقصد المغرب الاقصى من بغداد او من دمشق او القاهرة ان يقصده عن طريق القارة الاوربية والسواحل الغربية لاعن طريق القارة الافريقية . وهي كما قلنا طريق ملتوية كثيرة النفقات ولـكنها حافلة بمظاهر النشـــاط والحياة . واكثر مما مر اننا قوم يغلب علينـا التواكل وتعوزنا روح التـــآزر في سبيل تحقيق مصالحنا المشـتركة في بلادنا بالذات

هذه نفثة مصدور اوملاحظة استطرادية نعود بعدها الى الـكلام عن المغرب وعن انطباعاتنا الخاصة عن جولتنا في هذه البلاد.

المغرب الاقصى :

كلمة عامة

تقع هذه البلاد في اقصى الزاوية الشمالية الغربية من القارة الافريقية حتى تكاد تتصل بالزاوية الجنوبية من القارة الاوربية يحيط بها البحر الشامي من الشمال ، والبحر المحيط من الغرب . ولها مراس على شواطىء البحرين ، بعضها على مقربة من المضيق او المجاز الذي يُسمّى « جبل طارق » وهـــذه الشواطىء الشمالية كثيرة الاوعار والشعاب ولـكنها مخضلة الجنبات مخضرة البقاع، اما اقاليمها الجنوبية فتكثر فيها الاوديـــة الرملية ، وبعضها اودية جافـة ترتفع فيها درجات الحرارة احياناً ، وفي المغرب الى جهة الشمال ما بين مدينة «سلا» و«منطقة العرايش» سهول فسيحة تقوم فيها قرىً قليلة، وما اشبهها من هذه الناحية

بسهول العراق، ويبدو لنا ان تلك السهول المترامية على درجة لا يسهان بها من الخصب وقوة الانبات ، ولا تخلو هذه الجهات من الآجام والغياض والمستنقعات وفي هـذه المنطقة الشمالية من ديار المغرب تقوم سلسلة هضاب الريف ، وتشرف على شواطىء البحر الشامي، ومن مدنها « تطوان » و « اصيلا » و « سبته » المحتلة من قبل الاسبانيين ، ومناخ البلاد يميل الى الاعتدال في المناطق الوسطى، وهو مناخ رطب في هـذه الجهات ، ولا عجب فهو منـــاخ البحر المحيط الذي تتميز شواطئه باتساعها ومناظرها الرهيبـة ، ولنـــا على هـــذه الشواطيء شـــواطيء المحيط نزه جميلة ، وهـذه البيئـة تصلح لغرس الاشـــجار والازهار ، وفيهـــا غابات غبيـــاء ملتفـــة ، ومن اشـهر انهـار المغرب وادي الســوس ، ونهر مدينـة فاس ويسـمى « سبو » وسبو هـــذا بالجداول اشبه منه بالانهار و « ابو رقراق » نهر « سلا » و « الرباط » الذي يصب في المحيط الكبير وهذا النهر الذي يقال له ابو رقراق يفصل بين الحاضرتين وماؤه ملح اجاج ، وتوجد في البلاد مضافاً الى ذلك نهرات واودية صغيرة تنتهي مجاريها الى بحر الروم

وسكان المغرب خليط من العرب والبربر، وليس لسكان القطر احصاء مضبوط والمشهور ان عدد هؤلاء البربر اكثر من العرب الذين تغلب عليهم مظاهر الحضارة بخلاف قبائل البربر . وهذه القبائل هي العنصر القديم من سكان البلاد وكلهم مسلمون ، هذا وفي اصل البربر اقوال ، منها ما يردهم الى عرب الجزيرة ، ومنها ما يردهم الى غير ذلك من الاصول . وفي اصل اللغة البربرية اقوال من قبيل ذلك والمرجّح انّ البربر جيـل مغربي قديم في بلاده المذكورة

وازياء العامة فيما لا حظناه وبالخاصة في الاقاليم الشمالية محتشمة فالذكور يلبسون القمصان والاقبية والعمائم على الاكثر ، والنســاء الازر والملاءات ، واللون المفضل هو البياض ، ولا تنقصه النظافة في كثير من الاحيان ، وهذا الزي متوارث قديم وهو زي يحجب مفاتن المرأة وينأى بها عن التبرج والبذلة .

الشعب والمهرجان :

ومن الدار البيضاء وهي حاضرة التجارة ومرسى السفن في المغرب اتجهنا الى الرباط حاضرة السياسة وذلك بعد ظهر الاثنين ٣/١٠/١٩٦٠ م ، ولا تزيد المسافة بينهما على اكثر من ١٠٠ (ك) قطعناها في طريق معبدة مظللة بالاشجار ، واجتزنا اودية مفعمة بمياه راكدة وغابات كثيفة وبقاعاً مخضوضرة كنا نظنها فيما مضى بقاعاً جرداء ، وبعد المكث ثلاثة ايام في الرباط عاصمة المغرب وضع لنا منهج يتضمن جولة شائقة في ارجاء عدة ، منها مايقع الى الشمال ومنها الى جهات اخرى بدأنا فيها من الرباط الى طنجة وتطوان ، وبعض بلاد الريف قلعة الثوار ومعقل المجاهدين الاحرار ، وعدنا من هذه المنطقة الشمالية ـ في اعقاب رحلة شاقة طويلة بسيارات من الحجم الكبير في الغالب ـ الى « مكناسة الزيتون » وجبل « زرهون » ودعينا الى مصيف « ايفران » وهو منطقة جبلية تكثر فيها الغابات وتتوفر المياه الجارية العذبة والمروج الخضراء وتعد « ايفران » من احسن مصايف المغرب ينتجعها الراغبون في الاستجمام ومن مظاهر الحفاوة بالضيوف في « ايفران » ظهور كتائب من « فرسان المغرب » المشهورين مدججين بالسلاح وكانوا يمثلون هجوماً عنيفاً يطلقون فيه النار ولاطلاق النيران صداه في ذلك الوادي الكبير ، وكان يرافقنا في هذه الرحلات عدد من شباب مدينة فاس وغيرها من حواضر البلاد عنوا عناية فائقة بكل ما يوفر لنا الراحة والمتعة والطمأنينة على اننا لاحظنا ايضاً ان الرجل العادي او ابن الشعب المغربي في اكثر الحواضر التي زرناها لا يعرف شيئاً كثيراً عن هذه الرحلات ولا يلم الماماً كافياً باهداف المهرجان ـ مهرجان جامعة القرويين ـ ومن رأينا ان السلطة المغربية مسؤولة عن هذه الجمجمة والسكوت

لا يخامرنا ادنى شك بحسن نية السلطات العليا المسؤولة في دعوتها الى اقامة مهرجان القرويين باذلة كل ما في وسعها في سبيل حفاوتها بالضيوف او الوفود التي امت بلادها متخذة كل الوسائل لتجعل من رحلتهم الى المغرب رحلة ممتعة مفيدة ، ولكن لا مناص لنا من القول ايضاً ان مظاهر الحفاوة البالغة وحدها لا تكفي ، فهذا المهرجان ككل مهرجان من نوعه يرمي الى هدفين الاول الترحيب بالوفود التي امت البلاد وقد حصل ذلك ، والثاني

ـ وهو الاهم ـ الاحتفاء بالفكرة ذاتها التي اقيم من اجلها المهرجان وغرسها في نفوس الجمهور وتلقينهم مغزى الاحتفال برسالة القرويين

كنا نود ان يحتفل اخواننا المغاربة حكومة وشعباً باهداف مؤسسهم الرفيعة ، واهتبال هذه الفرصة لتبليغ رسالة القرويين وهداها الى طبقات الشعب والنشء الجديد لتبقى هذه الرسالة ـ وهي رسالة العروبة والاسلام ـ حية في نفوس الجماهير ، كانت مواكبنا تسير في شوارع الرباط وطنجة وفاس وتطوان ومكناسة حيث يتجمهر من حولها الناس وهم لا يعلمون ماهذه المواكب ومن أين جائت ؟ ولاحظنا ان رجل الشارع لايعرف عنها أكثر من أنها مواكب سواح ، وكانت الصحافة والاذاعة اللاسلكية واجمة كذلك مع انها صحافة واذاعة رسميتان فلا الصحافة ولا الاذاعة ولا الاحزاب ولا الجمعيات كانت معنية بهذا العيد العظيم ، ويخيل الينا ان المعنيين بالشؤون العامة من اخواننا المغاربة انقسموا ازاء رسالة القرويين ، وازاء كافة الاحتفالات بهذه الرسالة الى فريقين فمنهم المندفع في تأييد فكرة الاحتفال وتعظيم شعائره الى حد بعيد ، وشباب المغرب الواعي من هذا الفريق . وهناك فريق آخر هم الفريق الفاتر المتهاون ، ومنهم فيما يبدو لنا من يحن الى عهد قديم حوربت فيه رسالة القرويين وهذا الفريق لا يطيب له التوسع في اقامة هذا المهرجان

بين فاس والدار البيضاء :

وقد تفضل باستقبال ضيوف المغرب في مطار الدار البيضاء جماعة من أصدقائنا الافاضل مغاربة وعراقيين جاؤا من الرباط ، ولا تقل المسافة بين الرباط والدار البيضاء عن مائة (ك) ومن ثم واصلنا سفرنا بالسيارات الى عاصمة البلاد اي مدينة الرباط حيث حجزت اللجنة المكلفة باستقبال الضيوف غرفاً لهم في بعض فنادق المدينة ، ولا بد لنا من القول اننا لم نمكث في الرباط إلا اياماً معدودة حتى رسم لنا منهج تمكنا بواسطته من زيارة مدن الشمال ومنها طنجة التي دخلت ضمن حدود البلاد في الزمن الاخير وكانت قبل ذلك منطقة دولية حرة كما يقولون ، ومدينة تطوان ، وهما من اشهر حواضر الشمال الواقعة على شواطيء المحيط

الـكبير. هذاومن شواطيء هاتين المدينتين يمكنناأن نتطلع ـ وقدتطلعنا فملاـ الى شواطيء الاندلس والجزيرة الخضراء شواطيء « الفردوس المفقود » المؤدية الى المدن الآتية : قادس ، جَيّان ، غرناطة ، قرطبة ، اشبيلية ، طليطلة وغيرها من حواضر الاندلس في عصورها الذهبية الاسلامية ، ومن اشهر مدن المغرب التي هيأت لنا زيارتها في جنوب البلاد ووسطها الرباط ومكناس وفاس ، وهي اعني مدينة فاس من اجلّ مدن المغرب الاقصى ، وفيها اقيم الاحتفال الـكبير بجامعة القرويين ودام عدة ايام ، ولا تكفي هذه العجالة للبحث في تاريخ الحاضرة المذكورة غير اننا نقول : اذا كانت الرباط قاعدة المغرب السياسية فان فاس قاعدة الثقافة الاسلامية هناك ، وعناية ابنائها في الحفاظ على تراث الاسلام لا يحتاج الى دليل ، وحسبنا « جامعة القرويين » التي تخرَّج منها عددٌ غير قليل من العلماء المعروفين والابطال المجاهدين ولما حُوربتْ العَربيّة والثقافة الاسلامية في المغرب على عهد الحماية طبق خطة استعمارية خبيثة كان للمجاهدين المتخرجين من جامعة فاس ابلغ الاثر في مقاومة تلك الخطط ، والمحافظة على تراث المسلمين هناك حتى هذا اليوم ، ومن اشهر مدن المغرب بعد ذلك (المُحمدْية) او مدينة فضاله حيث تبنى مصفاة صغيرة للنفط وتعد المحمدية من المدن الصناعية هناك .

الى فاس :

وفي مساء السبت ٨ تشرين الاول سنة ١٩٦٠ غادرنا « مكناسة الزيتون » الى فاس بطريق (صفرو) والمسافة بين البلدين لا تزيد على (١٦٠ ك) سلكناها في طريق معبدة مظللة بالاشجار الى حاضرة الثقافة في المغرب بلد ادريس الاول ودار العلم ، وفي الايام التالية التي قضيناها في فاس كان المنهج يقضي بزيارة ضواحي المدينة ، والقيام بجولة في القسم القديم وزيارة معالمه وبالخاصة جامع القرويين ومدرسته وخزانة الـكتب المشهورة هناك ، وكان يرافقنا عدد من افاضل المغاربة وكبار الموظفين في الرباط ، ولاحظنا في البلاد ضرباً من الـكبت والحجر على الافكار لعله من بقايا ذلك العهد الذميم عهد الحماية ولا تخلو الاحياء القديمة من المدن وفي مقدمها احياء فاس من مظاهر الفاقة والحرمان ، ولنا الامل كله ان تجتث حكومة المغرب الفتية

في عهد الاستقلال مساوىء عهد الحماية من عنف وارهاق واذلال لذلك الشعب الوديع وان يُشعر المسؤولون هذا الشعب بسياسة الرفق واللين في هذا العهد الجديد ، وهذا يتوقف بالطبع على تطهير جهاز الحكم تطهيراً تاماً من اذناب عهد الاستعمار ، ولاحظنا ايضاً ان الاحياء القديمة في حواضر المغرب لا تتوفر فيها شروط الصحة خصوصاً في فاس القديمة فانها لا تخلو من المستنقعات ولكنها قليلة المجاري والمصارف التي تدفع المياه الآسنة الى اماكن بعيدة .

تستحق مدينة فاس القديمة كل رعاية من السلطات الحكومية في ناحية التنظيم والتجديد ، والتخطيط لا سيما في الجهات المحيطة بجامع القرويين فان زوار هذا الجامع يتكاثرون في العهد الحاضر ، والجامع واقع في مطمئن عميق من الارض لا يصل الزائر اليه الا بشق النفس ومن الضروري ان يحاط الجامع برحاب او افنية واسعة وميادين تصلح لمرور السيارات ولكن لا اثر لشيء من هذا القبيل

يوم الاحتفال :

في يوم الثلاثاء ١١ من تشرين الاول سنة ١٩٦٠ نزلنا ـ سعياً على الاقدام ـ الى مدينة فاس القديمة لحضور الحفلة التي جرت بقاعة الخزانة الكبرى التابعة لمعهد القرويين وكانت الحفلة كبيرة شهدها كبار رجال الدولة من المغاربة يتقدمهم الملك ، وشهدها كذلك رجال السلك السياسي شرقيين وغربيين وممثلوا الجامعات والمعاهد العلمية الذين دعوا من مختلف الجهات ثم توالى القاء خطب وبحوث يتألف منها مجلد ضخم ، وحسبنا ان نرجع الى السجل الذي انتظم ما القي في ذلك الموسم ، وقد تم نشره اخيراً بعنوان « الكتاب الذهبي » او «جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الالف» ولنا في هذا الكتاب الذهبي كلمتان احداهما في معنى « تحية المهرجان » القيت في الجلسة الاولى التي عقدت في قاعة « الحي الجامعي » بعد ظهر يوم الاثنين (١٠ تشرين الاول ١٩٦٠) وفي هذه الكلمة عنيت عناية خاصة باستنهاض القوم والتنويه بماضي المغرب في بث العلم ونشر الثقافة الاسلامية [1] والكلمة الثانية عنوانها « الطبيعة في المغرب » القيت بعد ذلك [2]

---

(١) الكتاب الذهبي : ٤٩ (٢) المأخذ المذكور : ٩٦

وهكذا استغرقت مدة مكثنا وتجوالنا في المغرب خمسة عشر يوماً منها خمسة في الرباط ومثلها في فاس كانت حافلة بالمتع والفوائد العلمية والادبية حيث زرنا بلاداً عزيزة علينا لم نشهدها من قبل، ولقينا فريقاً من ابنائها الافاضل المعنيين بشؤون العلم والادب، واغتبطنا بسعة آفاق عدد منهم واطلاعهم على شؤون المشرق والعالم الاسلامي، وفاوضنا جماعة من هذه الطبقة في موضوعات شتى علمية وثقافية

مجالس المغرب :

وفي بعض مجالس الرباط وفاس، وليالي طنجة ومكناس كانت تدور بين فريق من اخواننا المغاربة وضيوفهم المشارقة احاديث شائقة تناولت موضوعات شتى لبعضها صلة بالتاريخ، وللاخرى علاقة بالادب والثقافة العامة، وللثالثة رابطة بالتعليم والتربية، ومنها احاديث تتصل بالخطين المغربي والاندلسي الشايعين هناك والمقارنة بينهما وبين الخط المشرقي، والمفاضلة بين هذه الخطوط ومنها حديث شائق عن ماضي المغرب في المحافظة على سيادته واستقلاله، وعبزه بذلك على جملة من البلاد الاخرى، وحديث عن التعليم قديمه وحديثه وتنسيق مناهجه، وآخر عن اللغة والثقافة اللغوية

برامج التعليم ومشكلة تنسيقها :

مشكلة توحيد المناهج قديمةً وحديثةً وتنسيقها في التعليم مشكلة عويصة تكاد ان تكون عامة في كل قطر عربي او اسلامي وجد فيه نوعان من برامج التعليم نوع اسلامي قديم تسير عليه المدارس الدينية او المدارس الموقوفة التي تُعنى بدراسة علوم الشريعة وفنون اللغة العربية، وتُخرّج اخصائيين يحملون شهاداتها اواجازة اساتذتها، ولا غاية لهم الا نشر العلوم المذكورة وتعزيز مبادىء الدين الحنيف لايطلبون على ذلك جزاءً ولاشكورا، هذا هو الطراز الاسلامي القديم من التعليم، واحسن مثال له مدارس النجف ومدارس

بغداد والبصرة والموصل في العراق ومعاهد الأزهر في مصر والزيتونة والقرويين في فاس ، ونرى الى جانبه الآن هذا الطراز الحديث من التعليم الذي تتعهده الدولة اليوم حيثما وجد من البلدان على احدث المناهج في التربية والتعليم ، وتعنى فيه بدراسة علوم الطبيعة والرياضيات والعلوم الاجتماعية والطبية والفلسفية بلغات اجنبية في المعاهد العالية غالباً ، وتخرج اخصائيين يحملون شهاداتهم لسد حاجة الدولة من هؤلاء المتخرجين ، ومن خصائص هذه المدرسة الحديثة ان جملة من طلبتها والمتخرجين منها متأثرون بضرب من الفلسفة المادية او الواقعية كما يسمونها ، ولما انتشر هذا الضرب الحديث من التعليم ، وكثر عدد معاهده وتزايد الاقبال عليها للحصول على بلغة العيش ، وتضاءلت الرغبة في غيره من الدراسات ، حاذر بعض المعنيين بشؤون التربية من عواقب الجفاء او القطيعة بين مناهج المدرستين ومن ههنا نشأت في المغرب وغير المغرب فكرة التوحيد ودمج التعليم بنوعيه في مدرسة واحدة تشرف عليها الدولة ولا يخفى ما يعترض فكرة التوحيد هذه من مصاعب ومشكلات

بحوث التربية في المعهد هناك :

عني كاتب هذه الكلمة فيمن عني بالنظر بشؤون التربية وكانت منذ عهد بعيد شغله الشاغل في العراق ، وفي غيره من البلاد التي قدر له ان يزورها ولما شهد احتفال المغرب الاقصى حكومة وشعباً بعيد القرويين في اواخر خريف ١٩٦٠ اهتبلها فرصة للبحث عن هذه الناحية هناك ، وقد جمعتنا هذه الرحلة بفريق من افاضل المغاربة والمشارقة فاوضناهم ، وبحثنا معهم شؤون التربية ، ووقفنا على آراء ووجهات نظر مختلفة ، ولم تخل هذه الاجتماعات ممن ينصر المدرسة القديمة ، ويشيد بمميزاتها واثارها الجميلة ، ويفضلها على المدرسة الحديثة ، ولم تخل ايضاً ممن يفضل المدرسة العملية الحديثة ، ولاحظنا ان هناك فريقاً ثالثاً يذهب الى امكان التوفيق بين المدرستين ، ولا يخفى ان انصار المدرسة الحديثة ينعون على اصحاب المدرسة القديمة ضعفهم وجمودهم ، كما ان انصار المدرسة القديمة

يؤاخذون اصحاب المدرسة الحديثة غالباً بتقليدهم وزهدهم في تراثهم القديم او احتقارهم له وتقديسهم لتراث الغربيين ، وقد رأينا انصار المنهج القديم يحتجون لمذهبهم غالباً بضياع التخصص او التوسع في الدراسات الاسلامية اذا حلت المشكلة على اساس توحيد التعليم والاطاحة ببرامج المدارس الاسلامية ، والخلاصة هناك اراء متضاربة في مصير المعاهد الاهلية القديمة والبرامج المتبعة فيها ومنها مدرسة القرويين فمنهم من يرى تغيير تلك المناهج وادماج تلك المدارس في نوع من النظام الجامعي الحديث بحجة انتهاج منهج موحد في التعليم ، ومنهم من يرى ضرورة المحافظة على برامج المدارس القديمة بحذافيرها وابقائها على ما هي عليه الآن ، وفريق ثالث يرى ان يوكل حل هذه المشكلة ، واصلاح المعاهد القديمة، وتحديد معنى الاصلاح المقصود الى مؤتمر اسلامي قوامه علماء اكفاء مخلصون متبحرون في تلك الدراسات .

في حفلات القرويين:

رسالة القرويين . تمسك المغاربة بالدين . القديم والجديد . ملوك المغرب وجامعة القرويين المعارف الاسلامية . الحي الجامعي في مدينة فاس . خزانة الكتب

كان مهرجان فاس القائم بمناسبة مرور احد عشر قرناً على تأسيس « القرويين » ـ جامعاً ومدرسة وخزانة كتب ـ مهرجاناً شائقــاً ، وذلك في ضحوة الاثنين ١٠ تشرين الأول ٩٦٠ شهدته وفود الجامعات وجمهرة من المعنيين بالحركة العلميــة والفكرية شرقاً وغرباً ، وشهدته طبقــات أخرى من مختلف أنحــاء المغرب يتقدمهم عاهل البــلاد ، وقد قوبل موكب المهرجان بمظاهر الفرح والابتهاج حيث انحدر الناس من طريق او من باب يسمى « باب ابي الجنود » إلى منخفض فاس القديمة التي يقع فيها الجامع الكبير وما يلتحق به ،

وفي هـــذا الطريق النافذ الى الجامع مخازن ومنعطفات ضيقة غير قليلة استقبلنا اهلها بهتافات عالية بحياة الدول العربية والأمة الاسلامية حتى مدخل الجامع ، وحيا المحتفلون الجامع العظيم وطافوا في ارجائه ، وفي الجامع تُحف نفيسة من ابواب ومســارج او « ثريات » وطرف مختلفة يقال انها جلبت من الاندلس او من جامع « اشبيلية » وزين بها جامع القرويين ثم ذهبنا إلى طابق تقع فيه المكتبة ، وإلى جنبها قاعة كبيرة غصت بالناس وكانت المحافل المعنية بهذا الاحتفال تتحدث عن رسالة القرويين الدينيـة ومناهجهـا في الدراسة ، وعن إنشاء جامعة جديدة تقوم على أســاس التوفيق بين المناهج المختلفة والحاضرون هناك فرق وأحزاب لكل فريق رأيه ومذهبه في فكرة التوفيق بين المناهج ولاحظنا ان هذا الحديث أثار ضرباً من القلق في بعض المعاهد القديمة واقضّ بعض المضاجع في بلادالمغرب ، تحدّث اليّ بذلك فريق من العلماء الاجلاء في بعض ايام المهرجان، ولا انسى ان الحديث كان في يوم المهرجان وفي قاعة الاجتماع بالذات .

موقف للاساتذة :

واتخذ موكبنا طريقه الى « جامع القرويين » وكان فريق من العلماء في افنية الجامع يتلون الاذكار والادعية لدفع هذه الغاشية فلم يشاركوا في اقامة هذا المهرجان من الاساس فضلا عن المشاركة في الاجتماع المذكور : وكانت المدرسة القديمة معطلة او مضربة على الاصح فلا طلبة ولا اساتذة لان طلاب المرحلة الابتدائية الحقوا بالمدارس العامة وطلاب الاقسام الثانوية والعالية ما زالوا يتساءلون عن « الحي الجامعي الجديد » .

فكرة التوحيد في خطاب الملك :

اسهل محمد الخامس رحمه الله مهرجان القرويين بخطاب جامع يشعرك بما يتميز به الخطيب من الوعي والاخلاص وسلامة التفكير، القاه على الحضور في قاعة خزانة الكتب بجامع القرويين ونوه فيه برسالة القرويين واهدافها جامعاً ومدرسة قائلاً : « يعود الفضل في ذلك الى تشبث المغاربة بالدين الحنيف ، وهيامهم بكل فضيلة وتقديسهم للعلم وتقديرهم للعلماء في هذه الجامعة التي مكنت

للاسلام في نفوس المغاربة ، واطلقت السنتهم بالعربية، وخطت لهم المنهج الذي ساروا فيه زهاء الف عام فلا عجب اذا صارت مهوى الافئدة وقبلة الانظار واستأثرت بعطف جميع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب ورعايتهم وتأييدهم ، وتسارع الى التدريس فيها علماء الاقطار المغربية والاندلسية ، وتسابق الطلبة من القارة الافريقية ومن اوربة لطلب العلوم التي كانت تقرأ فيها من علوم الشريعة واللغة الى العلوم المشاعة بين البشر، ولئن تخلفت الجامعة القروية عن مماشاة التطور العلمي في وقت من الاوقات فانها لم تتخلف عن اداء رسالتها اذ انقلبت الى حصن تلوذ به حضارة الاسلام وثقافة العروبة في الجانب الغربي من بلادها، ولما وضعت الخطط لانقاذ المغرب لم يغرب عن احد اهمية الدور الذي يمكن ان تقوم به « جامعة القرويين » في نهضة المغرب الجديدة فوضع لها نظام جديد ، وادخلت على برامجها تحسينات ، ومن مظاهر العناية والتجديد الذي ادخل عليها انشاء « حي جامعي » كبير نقلت اليه الدراسة من جامعها العتيق ، وتعليم العلوم الحديثة باللغة العربية الى جانب العلوم الاسلامية، ورفع مستوى الدراسة فيها »

هـذا ملخص ما ورد في الخطاب الذي استهل الملك به ذلك الاحتفال ، وفيه اشارة الى توحيد التعليم ، والى ازالة الفوارق المحدثة فيه ، وفي هذا الخطاب ايضاً تلميح الى توجيه الثقافة في المغرب نحو هدف « القرويين » ورسالتها ، وكان لهذه الالتفاتة مغزاها عند المعنيين بحل هذه المشكلة واشاد الملك في آخر خطابه بماضي « مدينة فاس » الفيحاء احدى حواضر الاسلام الكبرى وقواعد العروبة العظمى التي ظلت زمناً طويلاً المنار السامي الذي يهدي رواد المدنية والمورد العذب ينهل منه طلاب المعرفة من اقطار المغرب والقارة الافريقية » .

قوبل هذا الخطاب من قبل الحشد الماثل في القاعة بكثير من مظاهر الاستحسان والتقدير خصوصاً عند التأكيد على الاتجاه نحو هدف القرويين في التجديد والتوحيد ،

وتكييف التعليم توجيها ، وتهدئة روع العلماء الوجلين الموجسين خيفةً من التفريط بذلك التراث الاسلامي الثمين تحت عنوان التوحيد او التجديد ، والراغبين في نشر التعليم على ضوء تلك الاهداف والمبادئ المعروفة في ماضي القرويين .

ويقول بعض هؤلاء الاساتذة : صحيح اننا تخلفنا عن مواكبة غيرنا من الامم الناهضة ، ولم نأخذ بأسباب نهوضها وسيادتها وعوامل الرخاء والرفاهية فيها ، ومن واجبنا وقد التفتنا الى ضرورة النظر في ذلك كله ألاّ نضطرب أو نتخبط في سيرنا ، وان نتحاشى التهافت على قشور الحضارة دون لبابها ، وعلى اعراضها دون جواهرها ، وألاّ نقلد الغربيين في الظواهر الضحلة ، بل يتحتم علينا قبل كل شيء النظر بعمق في اسرار تفوق الامم وغلبتها ، ويخطئُ من يظن ان ذلك يتم بتقليد القوم في ازيائهم اوالتشدق بلهجاتهم او اصطناع عاداتهم كأنهم مَثَلُنا الذي يحتذى في كل شيء ، ومن الضروري ان نحدد اغراضنا وان نسلك اقوم السبل للوصول اليها ، ولنا في بعض دول الشرق والغرب اسوة

المحافظون :

هذا ومما لاشك فيه ان تضارب الآراء واختلاف وجهات النظر الى هذه المشكلة . وفي اوجه حلها شطر الناس لا في المغرب وحده بل في بقية الاقطار الاسلامية الى فريقين محافظين ومجددين ، وهؤلاء المحافظون طبقة تنكر تقليد الغربيين في اساليب التربية ، ومن رأيهم ان تربية نشئنا على تلك الأنماط الغربية يؤدي الى الانحلال ، ويقول هؤلاء المحافظون ايضاً : ان افضل علاج لهذا التخبط ينحصر في المحافظة على منهج السلف في سيرتهم وعقائدهم وآدابهم ، وفي صيانة تراثهم ، وفي النهج على منوالهم في تقدير الفضيلة وتهجين الرذيلة .

المجددون :

هؤلاء المجددون على الضد من المحافظين يزعمون ان الحضارة الغربية كل لا يتجزأ

وليس لنا ان نختار منها فان كل ما فيها صلاح ، وهم يكثرون من الحديث عن مزايا الغرب وحضارته وعن الغربيين وفضائلهم في عاداتهم واخلاقهم وانماطهم في الحياة ، ويدعون ايضاً ان الشرق لا ينهض الا اذا حذا حذوهم ، وهم بعد ذلك على اقسام منهم الغلاة الذين يحتقرون روح الشرق ، وما جبل عليه الشرقيون ، ويهزأون بالمقدسات على انهم يقدسون الغرب على كل حال

هذا ونلاحظ ان هناك فريقاً وسطاً بين هذين الطرفين يذهبون الى امكان حل هذه المشكلة على اساس الجمع بين القديم والحديث ، ويقولون : ان بعض مناهج التربية التي عني بها اجدادنا لا تصلح لنا بحذافيرها هذا اليوم ، كما ان بعض مناهج التربية الغربية لا تصلح لنا على علاتها وشوائبها كذلك

ولما انتهى الاحتفال في قلب المدينة القديمة ، او في المنحدر الى جامع القرويين ، وكان ذلك عند الظهيرة تعيّن علينا ان نعود مصعدين في مشقة بالغة ، واخذ الجهد مأخذه من الضيوف بعد الجولة في منحدر القرويين ، وكانت بهم حاجة ملحة الى مركبة او سيارة ولا سيارة هناك ، وادرك الرفاق من اخواننا المغاربة حراجة الموقف ، وطالبوا الجهات المختصة بسيارة فلم يسعف الطلب ، واخيراً اتصلوا بالقصر الملكي ، وبعد اخذ ورد حضرت سيارة صغيرة انقذتنا من تلك المشكلة

حديث العربية في المغرب :

حديث العربية ولهجاتها في هذا العصر ذو شجون ، وقد انتابت هذه اللغة في العالم العربي شرقاً وغرباً علل مختلفة اضعفتها وانهكت قواها ردحاً طويلاً من الزمن ، وكان ما اصاب العربية في المغرب اخيراً اضعاف ما اصابها في المشرق ، وذلك بسبب كلب الاستعمار ومناوأته لكل مقومات الحياة في هذا القطر اكثر من سواه ، ومن هذا القبيل ان فرنسة استطاعت

ان تجعل من الفرنسية لغة عامة على شكل لا نظير له في غير هذه البلاد ، ولما انتهى عصر الحماية جابه المغاربة مشكلات لغوية خطيرة في المدرسة وفي دواوين الرسائل والانشاء ومصالح الدولة كافة ، والخلاصة انتقل الى المغرب في عهد استقلاله ميراث ثقيل ومشكلات مختلفة اجتماعية وثقافية واقتصادية ،ولاحظنا ان اخواننا ابناء المغرب جادون في وضع خطة تكفل حل هذه المشكلات .

لا بد لنا من كلمة عامة نمهد بها لهذا البحث بحث اللغة العربية في المغرب ونتقدم بها على الطريقة التالية :

كانت فتوح المسلمين فذة في بابها من حيث سرعتها الخاطفة وحملتها الصاعقة على الفساد في بلاد القياصرة والاكاسرة والفراعنة حتى شوهدت مقانب المسلمين تقف على شطئان المحيطات قبل مضي المائة الاولى من الهجرة ، وهناك ناحية اخرى لا تقل شأناً عن اتساع الفتوح ، ذلك ان تلك الامم المغلوبة على امرها تنازلت للفاتحين عن مشخصاتها ومقوماتها من لغة وآداب وعادات طائعة غير مكرهة ، استعربت فارس وما وراءها من المشرق ، واستعربت افريقية وما بعدها من المغرب الى اقاليم القارة الاوربية ، ولسائل ان يسأل ما هو السر في تنازل هذه الامم عما تنازلت عنه ، وما هي بواعث رغبتهم عن لغاتهم الى لغة العرب ، والجواب ان تلك الامم كانت مفتقرة اشد الافتقار الى دعوة الاسلام والى ما في شرائع الاسلام من يسر وسماحة وعدالة في ميزانها ونظامها متبرمة بفساد اوضاعها من النواحي المذكورة ، فلا عجب اذا اقبلت على العقيدة الجديدة واعرضت عن تلك الأوضاع القديمة .

كانت العربية في عصر الفتح لغة دين يعبد بها الله جل شأنه ، ويتلى فيها كتابه

وسرعان ماتحوّلت الى لغة علم وسعت فيض العقول وثمرات القرائح والمواهب والفضل في ذلك كله يعود الى تلك الدعوة التي انكرت الجهل ونددت بالجمود ، ومجّدت العلم والحكمة ،وحثت الناس على اطلاق الفكر وفك الاغلال

لم يكن نصيب القيروانيين والمغاربة والاندلسيين نزرا من ذلك الفيض كما لا يخفى وذلك بعد دخولهم في الدين ، فاصبحت هذه العربية لغتهم في المخاطبات ثم اصبحت لغة الدواوين والتأليف والتعليم والقضاء في جميع الدول التي قامت في المغرب باقسامه وفي الاندلس ، وهذه الدول التي كونها قبائل المغرب القديمة مثل المرابطين والموحدين والمرينيين ومن تلاهم لم تعرف في دواويها وفي ترسلها غير العربية ، ولم يكتب بغيرها حملة الاقلام ، ولنا ان نقول ان اعلاماً من البربر الاقحاح بزوا غيرهم في خدمة العربية وعلومها، وحسبنا منهم ابن آجرّوم الصهاجي من اهل فاس صاحب المقدمة. والجزولي مؤلف الجزولية ، وهما من أبناء قبائل المغرب في الصميم .

وصف السيوطي ابن آجروم [1] بالصلاح والبركة والاحاطة بعلم النحو قائلا : « ومما يدل على صلاحه عموم نفع المبتدئين بمقدمته التي صنفها وهو مجاور بمكة ومعنى « اجروم» بلغة البربر « الصوفي الفقير » ويستنتج السيوطي من دراسة هذه المقدمة المشهورة ان صاحبها على مذهب اهل الكوفة في علم النحو كما يظهر ذلك من مصطلحاته التي استعملها في المقدمة وكانت وفاته بفاس سنة ٧٢٣ هذا وهناك من يرى ان كتاب « الجمل » للزجاج هو اصل «الاجرومية » الصنهاجية ، اما الجزولي عيسى بن عبدالعزيز بن يلل بخت ـ ومعناه المحظوظ بالبربرية ـ فهو صاحب الرسالة المشهورة في النحو، وفي نسبه اسماء بربرية

---

(١) البغية (٢ ١)

ترجمها المعنيون بكتابة سيرته ، ومهم السيوطي في البغية توفي سنة ٦٠٧، والخلاصة لايمكن لبلد انجب هذه الطبقة من حذاق العربية ان تموت او تضعف هـذه اللغة فيه ولذلك فشلت محاولة كل دولة اجنبية ناوأت اللغة العربية في المغرب ، وآخرها فرنسة التي فرضت حمايتها على المغاربة وسيطرت عليهم اكثر من مائة سنة

اثر المغرب في حفظ العربية :

وقد عـد ابن خلدون بلد المغرب حصناً من حصون اللغة العربية كمصر والشام والاندلس وذلك من بعد انحلال الدولة العباسية بغلبة التتار ، ويرى ابن خلدون ان المغرب من الدول التي عاشت بها العربية بعـد موتها ونسيانها في بلاد المشرق التي تغلبت عليها دول المغول ، وعد منها العراق ، ولا يخلوكلام ابن خلدون في هذا الفصل الذي عالج فيه حياة اللغة العربية في المغرب واندراسها في العراق والمشرق ـ على ما يقول ـ من مبالغة او تهويل ، والغالب انه اعتمـد بعض الاقاويل المرسلة والروايات الضعيفة فان العربية لم تمت في العراق والمشرق في عصر المغول على الشكل الذي صوره ابن خلدون وقد انتهى مطاف ابن خلدون بالديار المصرية والشامية والحجازية ولم يصل الى الخطة العراقية ليتحقق مما قال

لهجة المغاربة :

تعددت لهجات العربية بتعدد البلدان التي يتخاطب اهلها بها ، ولا ينكر اثر البيئة في اختلاف اللهجات فكانت للبدو من العرب لهجتهم وللحضر لهجتهم ولهجات البدو والحضر انفسهم تختلف باختلاف المكان والزمان من عزلة او اختلاط او جوار او اتصال بشعوب اعجمية ، ولا شك ان لهجة المغاربة في حواضرهم ومدنهم الكبيرة احدى لهجات العربية الا انها مشوبة بعـدد غير قليل من الكلمات البربرية والعامية المغربية والفرنسية ، وقد بذل الفرنسيون جهداً بالغاً في نشر لغتهم ببلاد المغرب المنكوبة بسلطانهم الاستعماري

خصوصاً بلاد الجزائر او المغرب الاوسط لاحتلالهم اياها قبل غيرها من الاقطار . فاصبحت الفرنسية لغة عامة كما بدا لنا في بعض المدن والحواضر. على اننا لم نجد اثناء الرحلة والانتقال من جهة الى اخرى في المغرب صعوبة في التفاهم او التحدث الى من تحدثنا اليهم بالفصحى او بلهجة قريبة منها ، وبناء على ذلك فاحسن اداة للتفاهم فيما اذا اختلفت اللهجات العامية هي الفصحى او لهجة سليمة قريبة من الفصحى ، وقد دلت التجربة على ذلك هذا وقد لاحظنا ان الفصحى لا يحسن التكلم بها في المغرب الا المثقفون ، وهؤلاء قلة في البلاد ، وجلهم حملة شهادات مدرسة القرويين او بعض المدارس المماثلة لها. او حملة شهادات جامعية اخرى، وقد حمدنا تجربتنا كما قلنا في التفاهم بالفصحى — لغة القرآن والذكر الحكيم — في مختلف الاقطار الاسلامية ، ومن ذلك يتضح فضل مؤسسة القرويين في المحافظة على العربية ، وفي اشراب نفوس المغاربة روح الدعوة الاسلامية والتمسك بالدين الحنيف وصيانة تراث العروبة .

لهجة ابناء فاس ، اساتذة القرويين :

اما العلماء واساتذة القرويين منهم خاصة فلم يتسن لنا الاجتماع باكثرهم لضيق الوقت ولمقاطعة من قاطع منهم هذا المهرجان واضرب عن الاسهام فيه على ان من رأينا منهم كان مثالا في التواضع وحسن السمت ولطف اللهجة ، ولهذه العلة ، ولما امتازت فاس بجامع القرويين ومدرسته وخزانة كتبه الى غير ذلك من مدارس ومساجد وخزائن كتب وجدت فيها رأينا لهجة ابناء فاس اسلم لهجات المغاربة واقربها الى الفصحى ، وما اشبها من هذه الناحية بلهجة اهل القاهرة في مصر او دمشق في سورية او النجف في العراق ، او لهجة كل بلد يعد مركزاً للدراسات الاسلامية والعربية الاصيلة فالفضل في ذلك يعود الى تلك الدراسات .

مصطلحات المغاربة :

تدور على السنة المغاربة هذا اليوم خصوصاً على السنة اصحاب الدواوين والمترسلين مصطلحات عربية خاصة لا تستعمل في اقطار العالم العربي الاخرى، من ذلك كلمة (المخزن) يعنون بها «السلطة» او «الحكومة» و« المشور» على وزن محور يعنون به قصر السلطان او دار الحكومة يجتمعون فيها للمداولة وتبادل الرأي في القضايا العامة ، ومن مصطلحاتهم كلمة (الحاجب) اطلقت على بعض الاماكن والضياع في منطقة مكناسة الزيتون ، وقد رأينا في طريقنا الى مصيف « ايفران » قرية جميلة تسمى « الحاجب » ، وهذه المصطلحات موروثة من دول مغربية قديمة ، فالحاجب في مصطلحات قدماء المغاربة والاندلسيين تعني رئيس الوزراء او نائب الملك ، ولعل هذه الجهة التي اطلق عليها هذا الاسم في طريقنا الى مصيف « ايفران » كانت مملوكة لرجل من اصحاب هـذه الرتبة ، قال ابن سعيد ونقله المقرى[1] « واما قاعدة الوزراء في الاندلس فانها كانت في مدة بني امية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة يختصهم بالمشاورة ويختار منهم شخصاً لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه « الحاجب » الى ان كانت ملوك الطوائف فكان الملك منهم يعظم الحاجب في الدولة المروانية ، واذا كان نائباً عن خليفتهم يسمى الحاجب ، وكانت هـذه السمة اعظم ما تنوفس فيه وظُفر به وهي موجودة في امداح شعرائهم وتاريخهم » .

بحث ابن خلدون عن الحجابة :

وفي الفصل الذي عقده ابن خلدون في المقدمة عن مراتب الملك والسلطان بحث ممتع عن الحجابة في دول المغرب والاندلس ، وعن كبرها طوراً وصغرها تارة ، وانها كانت تعدل رتبة

---

(١) نفح الطيب (١/١ ١)

الوزارة ثم رتبة النيابة عن السلطان في الدولة العامرية ودولة بني امية قبل ذلك ، ولم يزل لها هذا الشأن فارتفعت خطة (الحاجب) ومرتبته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها فاكثرهم يومئذ يسمى « الحاجب » ومدلول هذه الكلمة في غالب الاحيان هو مدلول كلمة (الدوادار) في المشرق او في الدولة العباسية وبعض الدول التركية في مصر والشام ، واما رتبة الحاجب في المشرق فانها دون ذلك وكذلك في بعض دول المغرب ، قال ابن خلدون : وأمّا دول (زناتة) واعظمها دولة بني مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندها وكذلك في بني عبد الواد »

في العامية المغربية :

العامية المغربية كما قلنا خليط من الفاظ عربية وبربرية وفرنسية ، ومن قواعد هذه اللهجة قلب الياء في بعض الافعال والالفاظ الفاً او همزة فيقولون في مثل (يكون) (اكون) وفي (يقول) (اقول) وفي يدوم ادوم وفي يعيش ويطير اعيش واطير وفي ينام انام بهمزة مكسورة بدل الياء ، ومن الفاظهم الغريبة الشائعة كلمة (وخّي) بالتضعيف يستعملونها مكان كلمة (حاضر) في اللهجة المصرية او (طيب) في اللهجة العراقية ، وقد اختلفت الآراء في تخريج هذه الكلمة ، وسألنا بعض ادباء المغاربة في طنجة عن اصلها فردها قوم الى اصل عربي من الاخاء او المواخاة ، وردها آخرون الى اصل بربري وقال لنا بعض المصريين الذين شهدوا معنا مهرجان القرويين في الرباط : في لغة قدماء المصريين كلمة تشبه هذه الكلمة هذا واذا اراد المغربي ان يقول لك (كفاية) قال (بركة) واذا اراد ان يقول لك (جميل) او (حسن) قال (صافي) الى غير ذلك ولنا ان نقول حبذا هذا الصفاء وحبذا تلك البركة في منطق القوم

ومن ذلك قلب الجيم ياء في جملة من الألفاظ ، فيقولون : (مَسيد) في (مسجد) والجمع (مسايد) ومن الغريب انها رسمت في بعض الكتب المغربية الحديثة (مدارس المسايد) يعنون مدارس المساجد ، وهذا النوع من القلب شائع كما لا يخفى في عامية اقاليم العراق الجنوبية كالمنتفك والبصرة والعمارة خصوصاً بين طبقة الزراع والفلاحين ولا تخلو بعض اقاليم اليمن من هذه اللهجة ايضاً ، وفي هذا الصدد نقول ان التعريف بـ (ام) دون اداة التعريف الشائعة عند العرب وهي (ال) لا يزال معروفاً في اليمن على قاعـدة (ليس من امبرم صيام في امسفر) فتقول بعض قبائل الجنوب في شبه الجزيرة العربية في الناصر (امناصر)

اختزال الالفاظ :

يكثر الاختزال في منطق العامـة من المغاربة فيقولون في عبدالرحمن (رحوم) وفي عبد القادر (قدور) وفي زكريا (زكور) وفي عبدالعزيز (عزوز) وفي عائشة (عشوش) وهـذا الضرب من الاختزال معروف في لهجة اهل بغداد والموصل ، وتختزل الالفاظ في منطق الاقوام القاطنة في شمال العراق ، من ذلك مثلا قولهم في كلمة محمود (حموّ) كما هو الشأن عند المغاربة ، ويلاحظ ان هناك كلمات اتفقت اللهجات العربية على اختزالها او تصغيرها منها كلمة (خدوج) في خديجة وهي شائعة عندنا في العراق ، ولها امثال ، وكان اختزال هذه الكلمة معروفاً في لهجة عرب الاندلس فهذا العماد الاصبهاني ترجم في قسم شعراء مصر والمغرب وصقلية والاندلس من كتابه المعروف بالخريدة لشاعرة اندلسية اسمها «خدّوج» قال العماد : (والاصل فيها خديجة) وهو من لطائف الاتفاق في اللهجات العربية .

قدم العامية :

لا ريب في فائدة دراسة اللهجات العامية المنحرفة عن الفصحى في سائر البلاد العربية

ومنها المغرب ، وذلك لمعرفة اسرار تولدها واشتقاقها عن امها الاصلية ، ولا يخفى ان العامية المغربية قديمة قدم عامية الاندلس وكل عامية اخرى فلأئمة النحو واللغة مثلا ، ولأهل اللسن والفصاحة من شعراء ومترسلين لهجتان : لهجة خاصة بالتأليف والكتابة ، ولهجة عامية شائعة في المحادثات اليومية داخل البيوت وفي الاسواق ، قال ابن سعيد [1] : (كلام اهل الاندلس الشائع في الخواص والعوام — يعنى لهجتهم العامية — كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع العربية حتى لو انشخصاً من العرب سمع كلام «الشلوبين» وهو يعلّم النحو في عصرنا ، وهو الذي شرقت تصانيفه وغربت وهو يقرىء درسه لضحك علىء فيه من شدّة التحريف)

هذا ما قاله ابن سعيد عن قدم اللهجة العامية في منطق علماء الاندلس والتخاطب بها لا بالفصحى في المنازل والاسواق وهو فيما نرى مما يجري وفق طبيعة الاشياء ، فالتخاطب بغير الفصحى في البيوت والاسواق حتى بين أئمة العربية كان وما زال معروفاً في غير الاندلس من الاقطار ومن ذلك مصر والشام والعراق ، وما اكثر الشواهد على ذلك في كتب الادب والتاريخ وحسبنا هذا دليلا على قدم اللهجات العامية

البربر واللغة البربرية :

يعتبر جيل البربر قسيم العرب والمستعربين في المغرب ، وللقوم لغة خاصة تعرف بالبربرية ، ونحن نفضل اطلاق كلمة (اللغة المرابطية) مكان (اللغة البربرية) عليها كما ورد ذلك في غير كتاب من كتب التاريخ [2] وقد جاء في تلك الكتب التي عنيت بسيرة يوسف بن تاشقين ملك المرابطين انه كان يجهل العربية قالوا : ولكنه كان ذكي الطبع يجيد فهم المقاصد ، وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية ويترجم له من لغة الى

---

(١) النفح (١٠٣/١)

(٢) الوفيات (٣٦٥/٢ ـ ٣٦٦) وانظر نفح الطيب (٥٢٤/٢)

اخرى ، ولما وصلت رسائل الاستغاثة من ملوك الطوائف بالأندلس الى ابن تاشفين ، وكانت مكتوبة بالعربية لم يفهم ما ورد فيها الا بعد الترجمة ، هذا ولا نعرف من سمى البربرية «اللغة المرابطية» ولكنها تسمية طريفة واصطلاح لابأس به وعلى كل حال فالبربرية او (الشلحة) - كما تسمى في المغرب - لغة خطاب ليس لها حروف، ولذلك لايكتبون بها ، وكانت شائعة في جميع اقطار المغرب قديماً ولكنها غير معروفة اليوم في برقة وطرابلس وتونس وما اليها اللهم الا في جهات نائية فانها لم تزل لغة خطاب في لهجات قبائل المغرب الاقصى التي تقطن الارياف والجبال والصحراوات و «الشلحة» ، من لهجات البربر منسوبة فيما نرى الى «الشلوح» قال ابن منظور (الشلوح طوائف من البربر يتكلمون بالسنة مختلفة مساكنهم بأقصى بوادي المغرب) ، هذا وفي مادة (بربر) من كتاب (التاج) لابن منظور فصل عني فيه بايراد مختلف الآراء عن أصل البربر في بلاد المغرب والمشرق ذكر فيه طرفا من احوالهم وعاداتهم وما الى ذلك واشار ابن منظور في هذا الفصل الى قول ابن خلدون في كثرة عددهم ، ونقل قول السهيلي في «الروض» انهم من نسل حام ، وفي هذا الفصل الذي عقده ابن خلدون كلمة عرف بها البربر وسمى بلادهم وقبائلهم ومساكنهم وعاداتهم في معاشهم ووصفهم بشدة الباس وقوة المراس وقرنهم بامم العالم المشهورة ، وذهب بعض الباحثين الى وجود التشابه في جملة من العادات والشيم بين العرب والبربر وعدّ من ذلك مثلاً اكرام الضيف والغيرة على الاعراض والانفة وحماية الذمار والبساطة في العيش ، ومن اجل ذلك عاش العرب والبربر جنباً الى جنب في العصور القديمة والحديثة. والخلاصة وجد البربر في شمال افريقية منذ عهد سحيق ، ذكرهم البلدانيون واهل السير والتواريخ ، هذا ومن الامم القديمة التي انشأت لها مستعمرات في شمال افريقية الفينيقيون والقرطاجنيون واليونان إلا ان ذلك لم يترك الا اثراً ضئيلا في السكان الاصليين ، ويعللون عجز قبائل البربر قديماً اوقبل الاسلام عن

انشاء دول قوية وطيدة الاركان ببداوتهم وبانقسامهم وانشقاقهم الى قبائل متناحرة، ومع ذلك يلاحظ ان قبائلهم التي تقيم في الجبال الشاهقة او في البوادي البعيدة لم تتأثر بغيرها من الاجناس الا قليلا ، ولهذا فان نزعتهم الى الاستقلال لم تمت بالمرة ، وكانوا يكنّون عداوة عظيمة للرومان ، وهذه العداوة ادّت الى غزو افريقية الشمالية من قبل فرنجة الديار الاندلسية ، وعنى بعض الباحثين من المستشرقين الغربيين بالبحث عن سكان المغرب باقسامه الثلاثة الا ان بحوثهم مشوبة باغراض سياسية واطماع اشعبية، ولاحظنا فيها مغامز غير قليلة بل مطاعن بجيل البربر ووصمهم بالجهل والهمجية والوثنية، وحاول هؤلاء الكتاب جهدهم التفرقة بين عناصر المغرب بحجة اختلافهم في اللغة والجنس والعادات الى غير ذلك ، ومن رأينا ان تشويه تاريخ المغاربة من بربر وعرب وغيرهم بمثل هذه البحوث المسمومة لايلحق ضرراً بالاجيال الاسلامية المذكورة ، ومما يشرف البربر فيما نرى مطاعن من يطعن بهم من كتاب الافرنج والمستشرقين المغرضين ، وفي هذه المطاعن دلالة على فشل محاولات المستعمرين في استعبادهم قديماً وحديثاً، وقد اتّحد العرب والبربر اتحاداً لا تنفصم عراه في عصر المرابطين والموحدين والمرينيين ومن تلاهم من دول المغرب باقسامه الثلاثة قديماً والى هذا اليوم

التعليم في المغرب :

اصبح التعليم الرسمي في المغرب منذ فرضت الحماية على البلاد سنة ١٩١٢ الى عهد غير بعيد يجري باللغة الفرنسية، والمدارس في هذا النوع من التعليم اقسام اهمها المدارس الاوربية والمدارس الاسلامية ومناهج هذه المدارس باجمعها هي المناهج المقررة في فرنسا بالذات ، تُعلَّم جميع المواد فيها باللغة الفرنسية ، ولا تختلف المدارس الخاصة بالمغاربة المسلمين عن غيرها فان لغة التعليم فيها هي الفرنسية ، وثلاثة ارباع معلميها فرنسيون

اللغة العربية :

كانت اللغة العربية تدرس في بعض مدارس المغرب على انهـا مادة اضافية ، بل كانوا يدرسون قواعد العربية وموادها بالفرنسية ، وقد حذا الاتراك بعـد ذلك في بلادنا حذو القوم فكانوا يدرسون العربية باللغة التركية ، وهناك مدارس لا تدرس فيها العربية قط . هذا ما كانت عليه مدارس المنطقة السلطانية في المغرب فهي من مدارس فرنسا نفسها ولا تختلف عنها من جميع الوجوه على ان اكثر من ٩٠ بالمائة من المغاربة المسلمين محرومون من التعليم في حين ان مثل هذا العدد من الفرنسيين والاوربيين مقبولون في مدارس الحكومة المغربية الى ذلك الحين ، والخلاصة ما ابعد الفروق بين الفرص المتاحة لابناء المغاربة والمتاحة للفرنسيين في التعليم علاوة على ان مدارس المسلمين قاصرة على الصفوف الاولية او الابتدائية بحيث لا تستطيع كثرتهم المضي في مراحل الدراسة الثانوية والعالية ، يضاف الى ذلك ان الطالب الفرنسي يتلقى التعليم بلغته ، اما الطالب المغربي فانه يجبر على ان يتعلم بلغة اجنبية اما المعلمون من المغاربة ومن يعاونهم من المشارقة فهم اقل من ثلث المجموع . هذا في المدارس الرسمية ، والحالة انكى وامرّ في مدارس الاوّربيين فقد ناهز عدد المدرسـين الفرنسيين في هذه المدارس (٢٥٠٠) ويلاحظ مثل هذا التفاوت الجسيم في المبالغ المخصصة لنفقة المدارس الفرنسية والاوربيـة والمبالغ المخصصة لنفقـة المدارس الاسلامية

التعليم الاهلي :

كان التعليم الأهلي المعروف في الكتاتيب شائعاً في جميع جهات المغرب وقد ارتفع عدد الطلاب في هـذه الكتاتيب الى مئات الالوف ولكن سلطان الحماية حظر ادخال اي نوع من الاصلاح على برامج هذا التعليم البسيط ، ولا حاجة الى القول بان هذه السياسة الغاشمة ادت من جانب المغاربة الى سخط بالغ ، وكان السخط يتفاقم من حين الى آخر ، واشتدت المطالبة بالاصلاح على شكل لم يسع السلطات المغربية والفرنسية الا تكوين

لجنة تعنى بدرس مطالب المغاربة وتقديم مقترحاتها في هذا الشان وكان ذلك سنة (١٣٧٣هـ ١٩٤٦) وقد تلقت السلطات الحكومية مذكرة اللجنة متضمنة مقترحاتها ولكن لم يظهر لها أثر في مرحلة التطبيق ، وعلى كل حال جاءت هذه المذكرة تعبيراً عن تذمر المغاربة من انحطاط مستوى التعليم في كافة مراحله، وانعدام العناية باصلاحه ومناواة اللغة العربية والدراسات الاسلامية

مطالب اساتذة القرويين :

وفي السنة المذكورة نشط اساتذة القرويين وطلابها منادين بصيانة كيان معهدهم ، ومنع كل تدخل اجنبي في شؤونه وطالبوا ايضاً باصلاح نظم المعاهد على اساس مسايرة الروح العصرية .

التعليم في مرحلة الاستقلال :

ولا يخلو ضرب من المقارنة بين ماضي التعليم على ما كان عليه في عهد الحماية ، وما صار اليه بعد الاستقلال من فائدة، ومن الواضح انه لم تمض فترة كافية بعد للتخلص بالمرة من مساويء عهد الحماية في ناحية التعليم وغيره ، اذ انتقل للدولة المغربية الفتية ميراث ثقيل من ذلك العهد الذميم ، ويتراءى لنا ان السلطات المغربية تبذل اليوم جهداً لا بأس به في سبيل الاصلاح ، يظهر لنا ذلك من فحوى مذكرات المصالح الرسمية ووزارة التربية الوطنية ، وآخر مذكرة اطلعنا عليها في هذا المعنى تعنى بشرح خطة الحكومة في اصلاح التعليم ، وتعريبه في مراحله الثلاث ومن رأي الجهات المسؤولة حسبما يظهر من هذه المذكرة ان فكرة التوحيد توحيد مناهج الدراسة اذا تم تطبيقها ستؤدي الى خلق روح من التفاهم والانسجام بين مختلف طبقات الامة ، وذلك بدراسة عميقة للغة القومية ـ على حد عبارة المذكرة ـ واشارت هذه

المذكرة بعد ذلك الى حدود التوحيد والتعريب ، وانها ستتناول التعليم بمراحله الثلاث وستبقى الفرنسية مع ذلك لغة تعلم بها العلوم العامة بالاضافة الى انها لغة التعليم الثانوي في كثير من المواد ، ويقضي المنهج الجديد باستقلال « جامعة الرباط » استقلالاً تاماً عن الجامعات الفرنسية على ان يلحق بهذه الجامعة كلية للشريعة ومعهد للعلوم الاجتماعية وآخر للعلوم السياسية

شؤون الطلبة :

كان نصيب الطلبة المسلمين من المغاربة من عناية السلطات الحكومية ضئيلاً جداً على عهد الحماية ويبدو لنا من التأمل في هذه المذكرة التي صدرت منذ عهد قريب ان السلطة تسير الآن على خطة جديدة من حيث العناية بشؤون الطلاب والنظر في حاجاتهم مادياً ومعنوياً سواء أكانوا من المغاربة ام الافارقة ، ولم تفتها العناية بشؤون الذين يدرسون خارج البلاد شرقاً وغرباً ، ومن قبيل هذه العناية تعيين مراقب للطلبة الذين يدرسون في الشرق على ان يقيم في القاهرة وآخر لمن يدرسون في الغرب على ان يقيم في باريس ، وتؤكد المذكرة على وجوب اعارة النواحي المادية ما تستحقه من الاهتمام كزيادة مبالغ المنح وانشاء المطاعم المدرسية في بعض معاهد التعليم ، ومن ذلك يستفاد مبلغ الحيف الذي لحق المغاربة من جراء ضآلة المنح الحكومية في عصر الحماية ، ومن جراء سوء التغذية :

التدرج في تعريب التعليم :

ومن الاهداف المهمة التي اكدت عليها المذكرة (تعريب التعليم) ولا شك ان السلطات المغربية تعاني مصاعب غير قليلة في ناحية التعريب ومن اجل ذلك كانت خطتها تدريجية في هذا الباب ، وقد تم بموجب هذه الخطة تعريب قسم من التعليم الابتدائي ،

وتشير المذكرة ايضا الى زيادة الحصص المخصصة لدراسة العربية عما كانت عليه ، والى وضع برامج لاعـداد المعلمين ، ونلاحظ في هذا الصدد ان بعثات المغرب من الطلبة ترسل الى الجامعات الفرنسية ، ويا حبذا لو وزعت هذه البعثات ولم تقتصر على تلك الجامعات

التعليم العالي : جامعة الرباط

تشير المذكرة في هذا الصدد بشيء من الاغتبـاط الى تاسيس جامعة مغربية محضة في الرباط مستقلة عن الجامعات الفرنسية يشرف على ادارتها مجلس خاص ، وقد زرنا مركز هذه الجامعة ومجلس ادارتها في المدينة اكثر من مرة ، وتجولنا في مبانيها وهي ضخمة حقاً ويبدو لنا انها من منشئات العهد الماضي في المغرب وفيها قاعات وابهاء حسنة لالقاء المحاضرات والبحوث وتُنوه المذكرة بان الاقبال على هـذه الجامعة كان عظيماً وتشتمل على كلية للحقوق واخرى للشريعة وكلية للآداب والعلوم ومدرسة للطب ، ومدة الدراسة في هذه الكليات ثلاث سنوات ، ولا يزيد عدد طلابها على ثلاثة آلاف ، هذا ملخص ما جاء في المذكرة عن الجامعة الجديدة ، ولا شك ان تأسيس جامعـة مغربية مستقلة عن الجامعات الفرنسية عمل كبير ، ولاجل ان تكون هذه الجامعة مستقلة بكل ما لهذه الكلمة من معنى يجب اتخاذ كل الوسائل الممكنة لجعل العربية لغة التدريس في جميع الاقسام

فكرة التوحيد :

وفيما يتعلق بتوحيد التعليم في المغرب وردت في المذكرة عبارة صريحة لا لبس فيها ولا غموض اذ جاء فيها مانصه : (ففي الميدان التربوي نذهب الى توحيد التعليم توحيداً يكفل تكوين المواطن تكويناً صالحاً متشبعاً عقوماته الروحيـة قادراً على الانتاج) وتعزز المذكرة هذه الدعوة الى توحيد التعليم بما تسميه (مسايرة التطور وواقع الحياة)

ونقول ان اخطر نقص يصاب به نظام تعليمي هو عدم مسايرته للواقع الذي يترتب عليه انفصال تام عن معترك الحياة

تأخر المدارس القديمة :

تعرج المذكرة اخيراً على الاشــارة الى انحطاط المدارس القـديمة بسبب جمودها واقتصارها على التلقين والترديد ، وفي سبيل تدارك هذه الاخطار تقول « يتحتم بذل جميع مجهودنا من اجل توجيه التعليم نحو الواقع » وانها لمفخرة للمدرسة المغربية - كما ورد في المذكرة - اذا تمكنت من اداء هذه الرسالة ، هذه هي خلاصة مذكرة وزارة التربية الوطنية فيما يتعلق باصلاح التعليم وتنسيقه وتعريبه في عهد الاستقلال ، هذا وكان بودنا ان نرى فيها اشارة الى ذلك الاتجاه الجميل الذي ورد في خطاب عاهل المغرب بشأن الاصلاح على اساس احترام اهداف القرويين الأصيلة

الخط المغربي : بحث مقارن

توحيد القاعدة ، آراء في صور الكتابة ، القاعدة المشرقية ، القاعدة المغربية : اقتراح على المغاربة بشأن الخط

يعتز المغاربة كثيراً بالقاعدة المتبعة عندهم في الخط ، وبهذه القاعدة فيما لاحظنا يكتبون ما يكتبونه على واجهات الدواوين او المدارس ، وعلى مداخل المــدن والقرى وغير ذلك ولا شك ان حروف الكتابة المغربية هي الحروف العربية الا انها تكتب بشكل يختلف عن شكلها في الكتابة المشرقية حتى ان قراءتها لا تخلو من صعوبة على المشارقة ، وتاريخ هـذا الخط المغربي ومثله صنوه الاندلسي قديم دوّن به تراث المغاربة كما نجده في المخطوطات والى هذه الالفة القديمة في الخط مرد التزام المغاربة بقاعدتهم في الكتابة ، وما يقال في الخط المغربي يقال في الخط الاندلسي فهو صنو المغربي بل هو هو في اكثر الاحيان، ولما كان الخط اداة خطيرة يعتمد عليها في التعليم والتأليف ذاكرنا اصدقاءً لنا من علماء الرباط وادباء فاس، وسألناهم عن رأيهم في توحيد الكتابة العربية على اساس اقتباس صورة الخط المعروفة في

المشرق خصوصاً في كتابة المصاحف الشريفة فرأينا من بعضهم اعجاباً بخطهم وتفضيلا له بشكله الحالي على خطوطنا المشرقية ، واصراراً على الاحتفاظ بتراثهم من هذا القبيل، وبالغ بعضهم قائلا حبذا لو اقتبس اهل المشرق طريقتنا في الكتابة ، وادعى بعض هؤلاء الاصدقاء ان الخط المغربي اجمل ، وللناس فيما يعشقون مذاهب ، ولما سألناهم لماذا تطبعون مصاحفكم بحروف مشرقية لم نجد جواباً شافياً عن ذلك .

منذ التاريخ الذي عرفت فيه القاعدة الاندلسية او المغربية في الخط تعددت الآراء في المفاضلة بينها وبين القاعدة المشرقية ، ومن رأينا ان كثرة المتادبين او المثقفين المعنيين بهذه الشؤون ولا يستثنى المغاربة منهم يفضلون قاعدة المشارقة ، وفي التاريخ شواهد غير قليلة على ذلك ، منها مثلا ان محمد بن عبد الله البلنسي المعروف بابن الأبار بعد هجرته من الاندلس الى تونس في عصر الدولة الحفصية كان لا يشق له غبار في كتابة الخطوط المشرقية التي كان السلطان يفضلها على الخط المغربي ، وهذا السلطان هو الذي ناط بابن الابار رسم طغرائه في الرسائل والوثائق السلطانية تحت البسملة ، ويستفاد من ذلك ان الخط المشرقي له انصاره الراغبون فيه من قدماء المغاربة ، والحق ان اهل القيروان وافريقية لم يعرفوا اول الأمر الا قاعدة المشرق ، وبها كتبوا في عصر زهو القيروان وحضارتها ، فان القيروان كانت دار علم وعرفان قبل المغرب ، وعرف الخط القيرواني بالافريقي بعد ذلك ، وهو الخط الذي كان مألوفاً في بغداد والشام ومصر أو قريباً منه جداً ، ومن القيروان انتقل الخط المشرقي او الافريقي المذكور الى المغرب ، ولكن القيروان دمِّرت في منتصف المائة الخامسة وذهبت حضارتها الباذخة فانحط الخط فيها وتغير ، وعلى توالي العصور اصبح كل واحد من الخطين مستقلا عن الآخر حتى ان من اعتاد الكتابة بالخط المغربي لا يستطيع الكتابة بالخط المشرقي الا نادراً ، ويعتبر الحذق في الخطين معاً فضيلة كبيرة ، حتى قال ابن خلدون عن صاحبه المحدث ابن

مرزوق [1] (برع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين) والخلاصة لم نستطع اقناع من تحدثنا اليهم من اخواننا المغاربة بوجهة نظرنا في موضوع توحيد شكل الكتابة ، على اساس اقتباس القـاعدة المشرقية غير اننا نعتقد ان انصار القاعدة المشرقية يزدادون عـدداً من يوم الى آخر في تلك البلاد ، ولا حاجة الى القول باننا لا نتحيز الى خط معين ولكنها مصلحة الامة تقضي بتوحيد القاعدة في الكتابة كما تقضي بتوحيد المنهج في الثقافة .

بحث ممتع في الموضوع :

عقـد ابن خلدون في مقدمته بحثاً ممتعاً الم فيه بتاريخ الكتابة المغربية واشار الى اولية الكتابة في القيروان والمغرب ، وان خطهم كان « بغدادياً » او مشرقياً ثم لمح الى سبب تغلب الطريقة الاندلسية في الخط على الطريقة الافريقية المشرقية وتشكى شكاة مريرة من رداءة الكتب التي انتسخت بالخط المغربي المذكور ، وفي هـذا الفصل بحث مقارن بين قواعـد الخطوط المغربية والمشرقية تخلص ابن خلدون منه الى القول برداءة الخط المغربي فقال : « اختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها وكان الخط البغدادي معروفاً برسمه وتبعه الافريقي يعني القيرواني المعروف برسمه القديم لهذا العهد وهويقرب من اوضاع الخط المشرقي ، وتحيـز افق الاندلسي بالامويين فتميزوا باحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط ، وتميز خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسـم بهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية في كل قطر ، وعظم الملك ونفقت اسواق العلوم ، وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها ، وملئت بها القصور الملوكية بما لا كفاء له ، وتنافس اهل الاقطار بذلك وتناغوا فيه ثم لما انحل نظام الدولة الاسلامية تناقص ذلك اجمع ، ودرست معالم بغـداد بدروس الخلافة فانتقل ما بها من الخط والكتابة والعلم الى

(١) رحلة ابن خلدون ط القاهرة (ص ٥٠)

مصر والقاهرة فلم تزل اسواقها نافقة بها لهذا العهد، وله -يعني للخط- بها معلمون يرسمون لتعليم الحروف في وضعها واشكالها قوانين متعارفة » هـذا ما قاله ابن خلدون عن قوانين الخط والـكتابة المشرقية او البغدادية ثم قال : « واما اهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند تلاشي ملك العرب فيها ومن خالفهم من البربر ، فتغلبت عليهم امم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية من لدن الدولة اللمتونية - يعني دولة المرابطين - الى هـذا العهد وشاركوا اهل العمران في الصنائع ، وتعلقوا باذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقي وعفّى عليه ، ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدها وصنائعها ، وصارت خطوط افريقية كلها على الرسم الاندلسي بتونس وما اليها لتوفر اهل الاندلس بها وعدد الجالية من شرق الاندلس ، وبقي رسم منه - يعني الخط الافريقي المنقول عن الخط البغـدادي ، ببلاد «الجريد» الذين لم يخالطوا كتاب الاندلس، ولا تمرسوا بجوارهم ، وانما كانوا يفدون على دار الملك بتونس ، فصار خط افريقية من احسن خطوط الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية بتونس وتراجع امر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وبقيت فيه اثار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك ، وحصل في دولة بني مرين بعد ذلك بالمغرب الاقصى لون من الخط الاندلسي لقرب جوارهم ، وسقوط من خرج منهم - يعني الاندلسيين - الى فاس قريباً - أي في المائة الســابعة والثامنة - ونسي عهد الخط من بعد ذلك في ســـدة الملك ، وصار وكأنه لم يعرف وصارت الخطوط بافريقية والمغربين الاوسط والاقصى مائلة الى الرداءة بعيدة عن الجودة ، وصارت الـكتب اذا انتسخت فلا فائدة منها تحصل لمتصفحها الا بالعناء والمشقة لـكثرة ما يقع فيها من الفساد والتحريف وتغير الاشكال الخطية حتى لا تكاد تقرأ ، ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع لتناقص الحضارة »

هكذا خلص ابن خلدون من هذا البحث الطريف الى القول برداءة الخط المغربي وانه

خط سقيم ، والى ان الخط المشرقي او القيرواني افضل منه ، فهو من انصار الطريقة المشرقية في الخط التي كانت معروفة في مصر والقيروان وما اليها من البلاد ، أجل خلص ابن خلدون الى هـذا الرأي بعد خبرة طويلة ودراسة عميقة قرأ خلالها ما قرأ من الـكتب المرقومة بالخطين على حد سواء ، ولـكنه عانى ما عانى من سقم النسخ في الـكتب المرقومة بخطوط اهل المغرب ، هذا وما خلص اليه ابن خلدون هو القول الفصل في هذا الباب لا شك في ذلك

محمد رضا الشبيبي

قُتَيْبَة بن مُسْلِم الباهلي (١) (٢)

فاتح ما وراء النهر (٣) حتى حدود الصين

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب

« لله درّه ! ما كتبت إليه في أمر قط ، إلا فهم عني وعرف ما أريد »

(الحجاج بن يوسف الثقفي)

نسبه وأهله :

هو قُتَيْبَة بن مُسْلِم بن عمرو بن الحُصَيْن الباهلي (٤) ، يُكنّى : أبا حفص (٥).

---

(١) قتيبة : بضم القاف وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة ثم هاء ساكنة ، وهي تصغير : قتبة ، بكسر القاف ، وهي واحدة الأقتاب ، والأقتاب : الأمعاء ، وبها سمي الرجل ، والنسبة اليه : قتبي أنظر وفيات الاعيان (٢/٢٤٧)

(٢) باهلة : هم بنو مالك بن أعصر ، نسبوا الى أمهم : باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة من مذحج ، أنظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب ص (٢٤٥) والعقد الفريد (٢/٢٢٥)

(٣) ما وراء النهر : ما وراء نهر جيحون بخراسان ، فما كان في شرقيه ، يقال له : بلاد الهياطلة وفي الاسلام سموه : ما وراء النهر ، وما كان في غربيه سموه : خراسان وولاية خوارزم أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣٧٠) « المسالك والممالك للاصطخري (١٦١) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٥٧) وتقويم البلدان (٤٨٣ — ٥١٥) وأحسن التقاسيم (٣١٠)

(٤) وفيات الأعيان (٣/٢٤٩) والمعارف (٤٠٦) ومعجم الشعراء (٣٣١) والبداية والنهاية (٩/١٦٥) وجمهرة أنساب العرب (٢٤٦) وسرح العيون (٩٧)

(٥) المعارف (٤٠٦) والبداية والنهاية (٧/١٦٧)

وأمه بنت عمرو بن تميم [1] ، وأبوه مسلم بن عمرو ويكنى : أبا صالح كان يعمل جمّالا [2] في أيامه الأولى ، وكان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو صاحب (الحرون) ، والحرون فرسه [3] ، وكان الحرون من الفحول المشاهير يضرب به المثل [4]، وفي مسلم والد قتيبة يقول الشاعر [5] :

إذا ما قريش خلا ملكها فإن الخلافة في باهلة
لرب الحرون أبي صالح وما تلك بالسنة العادلة

وقد قتل مسلم مع مصعب بن الزبير [6] ، وكان له من الأولاد : بشار وزياد وعبد الكريم وقتيبة وعبد الله وصالح وعبد الرحمن وحماد وزريق وضرار وعمرو ومعبد والحصين .

فأما بشار ، فكان أكبرهم ، وهو صاحب (نهر بشار) [7] ، وكان سيد ولد مسلم حتى سبق عليه قتيبة ، ولبشّار عقب

وأما زياد بن مسلم ، فقد قتل مع قتيبة بـ (خراسان) ، وله عقب ؛ كما أن لعبد الرحمن ابن مسلم عقباً بالبصرة

---

(١) جمهرة أنساب العرب (٢٤٦)

(٢) المعارف (٥٧٦)

(٣) المعارف (٤٠٦) ووفيات الأعيان (٣/٤٩٩ — ٥٠٠)

(٤) وفيات الأعيان (٣/٤٤٩ — ٥٠٠)

(٥) المعارف (٤٠٦)

(٦) ابن خلدون (٣/٣٤) والبداية والنهاية (٩/١٦٨) ، وقد كان ذلك سنة إحدى وسبعين هجرية أنظر ابن الأثير (٤/١٢٥) والطبري (٥/٢) وتاريخ أبي الفدا (١/١٩٦) واليعقوبي (٣/١٢)

(٧) نهر بشار : نهر بالبصرة ، ينزع من الابلة ، منسوب الى بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٣٧) .

وأما عبد الرحمن بن مسلم ، فقد قتل مع أخيه قتيبة ، وقتل معبد بن مسلم أيضاً وله عقب كثير

أما الحصين بن مسلم فله عقب بالبصرة ، وكان عمرو بن مسلم شجاعاً يلي الولايات لقتيبة وعدي بن أرطأة ، وعقبه كثير [١]

وقتيبة من بني (هلال) من (باهِلَة) ، وهم بنو مالك بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم : باهلة وبها يعرفون [٢] ، وهم من قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٣] وباهلة هي زوج مالك بن أعصر [٤] بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن معد بن عدنان [٥] ؛ وكانت العرب تستنكف من الانتساب الى باهلة حتى قال الشاعر :

وما ينفع الأصل من هاشم ... إذا كانت النفس من باهلة [٦]

وقد سئل حسين بن بكر النسابة عن السبب في اتضاع (غَنِيّ) [٧] و (باهلة) عند العرب ، فقال : « لقد كان فيها غناء وشرف ، ولم يضعها إلا إشراف أخويها : فَزارة وذبيان ، عليها بالمآثر ، فدنوا بالاضافة اليها » [٨] ؛ وهذا يدل على أن تردي سمعة باهلة بين العرب كان أمرا نسبياً فقط ، إذ لا بد أن يكون تفاضل بين القبائل العربية ، وليس في تاريخ (باهلة) عمل يخل بشرفها من بعيد ولا قريب

---

(١) أنظر التفاصيل في المعارف (٤٠٦ — ٤٠٨)

(٢) العقد الفريد (٢/٢٢٥)

(٣) وفيات الأعيان (٣/٢٤٩)

(٤) وفيات الأعيان (٢/٣٤٤)

(٥) المصدر نفسه (٣/٢٤٩)

(٦) المصدر نفسه (٣/٢٥٣)

(٧) غني : غني بن أعصر أخو مالك بن أعصر أنظر العقد الفريد (٢/٢٢٥) ، وفي جمهرة أنساب العرب ، أنهم بنو عمرو بن أعصر ، منهم بهثة بن غنم بن عمرو بن أعصر أنظر جمهرة أنساب العرب (٢٤٧) ، ومن غني ، بنو ضبينة وبنو بهثة وبنو عبيد وهم حلفاء بني كلاب أنظر المعارف ص (٨٠).

(٨) وفيات الاعيان (٣/٢٥٣)

جهاده :

١ ـ في الفتن الداخلية :

أولاً : في البصرة :

خرج الحجاج بن يوسف الثقفي من الكوفة الى البصرة فلما قدمها خطبهم بمثل خطبته بالكوفة ، وتوعد على القعود عن المهلب بن أبي صفرة الأزدي كما توعد بالكوفة ، فلم يبق بالبصرة أحد من عسكر المهلب إلا لحق به ، فقال المهلب : « لقد أتى العراق رجل ذكر » ثم سار الحجاج حتى كان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً ، فأقام هناك يشد ظهر المهلب ، وقال : « يا أهل المصرين [1] ! هذا والله مكانكم حتى يهلك الله الخوارج » ؛ ثم قطع عنهم الزيادة التي زادها مصعب بن الزبير في الأعطية ، وكانت مائة مائة ، فأتى وجوه البصرة عبد الله بن الجارود ، وقالوا : « إن هذا الرجل مجمع على نقص هذه الزيادة ، وإنّا نبايعك على إخراجه من العراق ونكتب الى عبد الملك بن مروان أن يولي علينا غيره وإلا خلعناه ، وهو يخافنا ما دامت الخوارج في العراق » ؛ فبايعوه سراً ، وتعاهدوا وأعطوه المواثيق على الوفاء !

وبلغ الحجاج ما هم فيه ، فأحرز بيت المال واحتاط فيه ، فلما تمّ لهم أمرهم أظهروه ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين للهجرة ؛ وأخرج عبد الله بن الجارود قبائل عبد القيس على راياتهم ، وخرج الناس معه ، حتى لقي الحجاج وليس معه إلا خاصته وأهل بيته ! !

وزحف ابن الجارود بالناس ، حتى دخل فسطاط الحجاج فنهبه الناس ؛ وكان رأيهم أن يُخرجوا الحجاج ولا يقتلوه ، فحرّض بعضهم ابن الجارود بقوله : « لا ترجع عنه ! »

---

(١) أهل المصرين : يقصد أهل الكوفة واهل البصرة

وحرّضه على معاجلته ، فقال : « إلى الغد !! »

وسعى بعض رؤساء البصرة إلى الحجاج في بعض قومهم ، وسعى قتيبة في بني أعصر ، وقال : « والله لا ندع قيسياً يُقتل ولا ينهب ماله » ، يعني : الحجاج ؛ وأقبل إلى الحجاج ـ وكان الحجاج قد يئس من الحياة ؛ فلما جاءه هؤلاء اطمأن وثابت إليه نفسه وعلم أنه قد امتنع ، إذ أصبح حوله ستة آلاف عندما أصبح

وتزاحف القوم ، وكان قتيبة على ميمنة الحجاج ، فاقتتلوا ساعة ، فقتل ابن الجارود . ونادى منادي الحجاج بامان الناس ، وأمر ألا يتبع المنهزمون [1]

لقد كان لقتيبة أثر كبير في نجاة الحجاج من خطر محدق ، فأصبح لقتيبة مكانة مرموقة عند الحجاج ، إذ أثبت إخلاصه العميق للحجاج في ساعة محنته ـ تلك الساعة التي يعرف فيها العدو من الصديق

ثانياً : في قتال الخوارج

فتك شبيب الخارجي بكثير من المسلمين وعاث في الأرض فساداً ؛ وفي سنة سبع وسبعين الهجرية دخل الكوفة ومعه زوجه غزالة وكانت غزالة نذرت أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ فيها سورتي : البقرة وآل عمران ، ففعلت ذلك . وفض شبيب كتائب الحجاج كتيبة بعد كتيبة ، وقتل أمراءه أميراً بعد أمير ، وبث الرعب في نفوس الناس وحزب الحجاج أمر شبيب وضاقت به الأرض ، فاذن للناس فدخلوا عليه وهو على سريره وعليه لحاف ، فقال للناس : « إني دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر ، فأشيروا عليّ ! إن هـذا الرجل قد تبحبح بحبوحتكم [2] ودخل حريمكم وقتل

(١) أنظر تفاصيل قصة وثوب أهل البصرة بالحجاج في ابن الأثير (٤/١٤٧ — ١٥٠) وابن خلدون (٣/٤٢ — ٤٤)

(٢) التبحبح : التمكن من الحلول والمقام والبحبوحة : الدار أنظر مختار الصحاح ص (٤١)

مقاتليكم ، فأشيروا عليّ ! [1] » فأطرقوا

وفصل رجل من الصف بكرسيه ، فقال : « إن أذن لي الأمير تكلمت ! » ، فقال : « تكلم » ، فقال : « إن الأمير والله ما راقب الله ولا حفظ أمير المؤمنين ، ولا نصح للرعية ! » ، ثم جلس بكرسيه في الصف ، فاذا قتيبة بن مسلم ، فغضب الحجاج وألقى اللحاف ودلى قدميه من السرير ، فقال : « من المتكلم ؟! » فخرج قتيبة بكرسيه من الصف وأعاد الكلام ، فقال الحجاج : « وكيف ذلك ؟ » ، فقال قتيبة : « لأنك تبعث الرجل الشريف ، وتبعث معه رعاعاً فيهزمون ويستحي أن يهزم ، فيقتل ! » ، فقال : « وما الرأي ؟ ! » ، قال : « الرأي أن تخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك ، فيواسونك بأنفسهم » فقال الحجاج : « والله لأبرزنّ له غداً » فلما كان الغد حضر الناس فقال قتيبة : « اذكر يمينك أصلح الله الأمير » فقال الحجاج : « اخرج فارتد لي معسكراً

وجعل رسول الحجاج يخرج ساعة بعد ساعة من بعد صلاة الصبح ، فيقول : أجاء بعد ؟ » وإذا قتيبة عشي في المسجد عليه قَبَاء هَرَوي [2] أصفر وعمامته خز أحمر متقلداً سيفاً عريضاً قصير الحمائل كأنه في إبطه ، قد أدخل بِرْكَة قبائه في منطقته والدرع تصفق ساقيه ، ففتح له باب الحجاج ولم يُحَجَب ، فدخل ولبث طويلا ثم خرج وأخرج معه لواء منشوراً ...

وركب الناس وركب قتيبة فرساً أغرّ محجلا كميتاً [3] كأنه في سرجه رمانة من عظم السرج ، فأخذ في طريق دار السقاية حتى خرج إلى (السَّبَخَة [4] وبها عسكر شبيب ، وذلك

(١) الطبري (٥/٩٦)

(٢) قباء هروى : القباء الذي يلبس ، والجمع أقبية ، وتقبي : لبس القباء ، وهروى نسبة الى مدينة هراة

(٣) الفرس الكميت : الأحمر القاني وذنبه أسود

(٤) السبخة : واحدة السباخ ، وهي الأرض المالحة النازة وهناك موضع بالبصرة بهذا الاسم أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٢٢)

يوم الأربعاء ، فتوافقوا ثم غدوا للقتال يوم الخميس ، ثم غادوهم يوم الجمعة ، فلما كانت وقت الصلاة انهزمت الخوارج [1]

لقد كان لشجاعة قتيبة في إبداء رأيه الصائب للحجاج وحثّه على الخروج بنفسه لقتال شبيب ، وارتياده لجيش الحجاج معسكراً مناسباً للقتال وصفه للحجاج بقوله : « وجدت المأتى سهلا ، فسر على الطائر الميمون [2] » ، ولحسن تدبير قتيبة ولشجاعته وإقدامه ، كل ذلك كانت أسباباً مساعدة للتغلب على الخوارج الذين قاتلوا بقيادة أبرز قادتهم شبيب الخارجي ، ثم هلاكه من بعد [3] .

٢ ـ الفاتح :

أ ـ تولية قتيبة

بعد انتصار الحجاج على شبيب الخارجي ، كافأ قتيبة بتوليته (الري) ، ثم ولاه (خُراسان) بعد يزيد بن المهلب بن أبي صُفرة [4] وذلك في أيام الوليد بن عبد الملك [5]

وما كاد قتيبة يصل إلى (خراسان) ، حتى وقف في جيشه خطيباً ، فقال : « إن الله أحلكم هذا المحل ليعزّ دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد لكم المال استفاضة والعدو

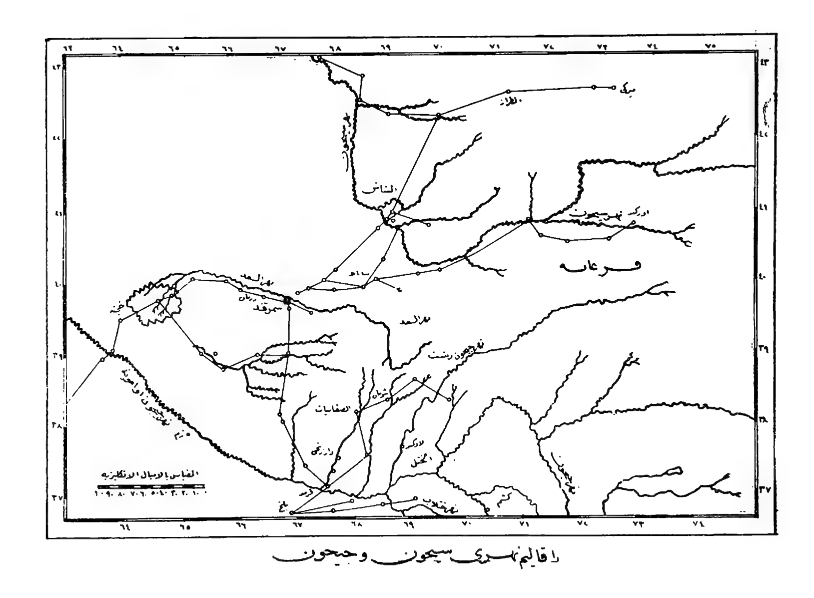
---

(١) الطبري (٥/٩٦ — ٩٧)   (٢) الطبري (٥/٩٨)

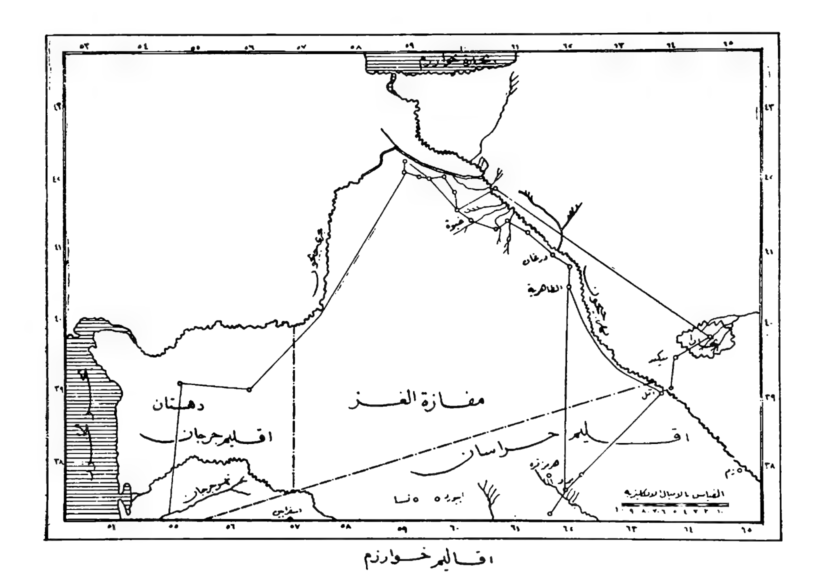
(٣) أنظر تفاصيل مهلك شبيب الخارجي في الطبري (٥/١٠٢ — ١٠٥) وابن الأثير (٤/١٦٦ — ١٦٨)

(٤) وفيات الأعيان (٣/٢٤٩) والمعارف ص (٤٠٥) وانظر اليعقوبي (٣/ ٣) وفيه : وقد ولى الحجاج بعد يزيد بن المهلب أخاه المفضل ، فبقي مدة قليلة وخلفه قتيبة .

(٥) معجم الشعراء (٢٣١) ، وذلك سنة ست وثمانين كما جاء في ابن خلدون (٣/٥٩) وابن الأثير (٤/٢٠٠) والطبري (٥/٢١٤) ، وفي رواية ، أنه تولاها سنة خمس وثمانين هجرية . أنظر الطبري (٥/٢١٥) .



اقاليم نهري سيحون وجيحون



اقاليم خوارزم

وقماً [1] وعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق وكتاب ناطق ، فقال : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون [2]) ، ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده ، فقال : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح ، ان الله لا يضيع أجر المحسنين [3]) ، ثم أخبر عمن قتل في سبيل الله أنه حي مرزوق ، فقال : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون) [4] ، فتنجزوا موعود ربكم ، ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم ، وإياي والهوينى [5] »

ب ـ إستعادة الطالقان [6] والصَّغَانِيَان [7] وطخارستان [8]

عرض قتيبة جنده وحثهم على الجهاد وسار غازياً ، فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين

(١) وقم : وقم الرجل أي أكرهه وقسره أنظر المعجم الوسيط (٢/١٠٦٤) وقهر وأذل . أنظر ترتيب القاموس المحيط (٤/٥٨٤)

(٢) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٣٣) ومن سورة الصف (٦١ : ٩)

(٣) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١٢٠)

(٤) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٦٩)

(٥) الطبري (٥/٢٤١ — ٢١٥)

(٦) الطالقان : بلد بخراسان بين مرو الروذ وبلخ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٢ ٤)

(٧) الصغنيان : ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦١) والمسالك والممالك للاصطخري (١٦٧) وتقويم البلدان ص (٥٠٤) وتكتب في بعض المصادر : صغا نيان

(٨) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد ، وهي من نواحي خراسان ، وهي طخارستان العليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون وطخارستان السفلى غربي جيحون أيضاً الا أنها أبعد من بلخ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣١) والمسالك والممالك للاصطخري (١٥٦) .

(بَلْخ) [1] وساروا معه ، فقطع نهر (جيحون) فتلقاه ملك (الصَّغَانِيَان) بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه إلى بلاده وسلمها اليه ، لأن ملك (شُومَان [2]) و (آخرون [3]) كان يسيء جواره وسار قتيبة منها إلى (آخرون) و (شومان) وهما من طخارستان ، فصالحه ملكها على فدية أداها اليه ، فقبلها قتيبة ثم أنصرف عائداً إلى (مرو) واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة (كاشان) [4] و (أورشت) [5] ، وفتح (أخشيت) [6] وهي مدينة (فَرْغانة) [7] القديمة [8]

---

(١) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٦) والمسالك والممالك (١٥٤) وآثار البلاد وأخبار العباد (٣٣١)

(٢) شومان : بلد الصغانيان من وراء نهر جيحون وهو من الثغور الاسلامية ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣١٠) وتقويم البلدان (٤ ٥)

(٣) آخرون : لم أجد له ذكراً في كتب البلدان المتيسرة لدي . والظاهر أنها مدينة قريبة من شومان

(٤) كاشان : مدينة فيما وراء النهر . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٠٧)

(٥) اورشت : هي مدينة من فرغانة أنظر البلاذري (٤٠٩) وابن الأثير (٤/٢٠١)

(٦) أخشيث : وهي أخسيكث بالفتح ثم السكون وكسر السين المهملة وياء ساكنة وكاف وثاء مثلثة ، وبعضهم يقوله بالتاء المثناة اسم مدينة بما وراء النهر ، وهي قصبة ناحية فرغانة على شاطيء نهر الشاش . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٥٠) وتقويم البلدان (٥٠)

(٧) فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد (١٠٣) والمسالك والممالك للاصطخري (١٦٣) والبلدان (٣٢٢) وتقويم البلدان (٥٠٢) والمسالك والممالك (٢٠٦ — ٢٠٨) وأحسن التقاسيم (٢٦٢)

(٨) ابن الأثير (٤/ ٢٠ — ٢٠١) وابن خلدون (٣/٥٩) والبلاذري (٤٠٩) وانظر الطبري (٥/٢١٥) وسرح العيون (٩٨) ومعجم البلدان (٢/٨٥) وقيل : إنه غزا آخرون وشومان ثم رجع الى مرو وقيل : إنه أقام السنة ولم يقطع النهر لسبب بلخ ، لأن بعضها كان منتقضاً أنظر ابن الأثير (٤/٢٠١) والطبري (٥/٢١٥)

بهذا الفتح الكبير ، استهل قتيبة ولايته لخراسان سنة ست وثمانين للهجرة [١] (٧٠٤ م) .

ج ـ استعادة باذَغِيس[٢] وبيْكند[٣] :

أولاً : لما صالح قتيبة ملك (شومان) ، كتب إلى (نيزك طرخان) صاحب (باذغيس) في إطلاق من عنده من أسرى المسلمين وهدّده في كتابه ، فخاف (نيزك) وأطلق الأسرى وبعث بهم إلى قتيبة ؛ فوجه اليه قتيبة سليم الناصح [٤] يدعوه إلى الصلح ويؤمنه ، وكتب اليه كتاباً يحلف فيه بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان لا يُقلع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك ؛ فقدم سليم على (نيزك) بكتاب قتيبة ـ وكان يستنصحه ، فقال : « يا سليم ! ما أظن عند صاحبك خيراً ... كتب إلي كتاباً لا يُكتب إلى مثلي !! » ؛ فقال له سليم : « إن هذا رجل شديد في سلطانه ، سهل إذا سوهل ، صعب إذا عُوسر ، فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك ؛ فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر » ، فقدم (نيزك) مع سليم على قتيبة ، فصالحه لأهل (باذغيس) على ألا يدخلها قتيبة وكان ذلك سنة سبع وثمانين هجرية [٥] (٧٠٥ م)

---

(١) أنظر شذرات الذهب (٩٦/١)

(٢) باذغيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣١/٢)

(٣) بيكند : بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣٩/٢ — ٩٤٠) وتقويم البلدان (٤٨٨)

(٤) سليم الناصح : هو مولى عبيد الله بن أبي بكرة

(٥) الطبري (٢١٧/٥ — ٢١٨) وابن الأثير (٢٠٢/٤) .

ثانياً - غزا قتيبة (بيكند) وهي أدنى مدائن (بخارى) [1] إلى النهر ، فسار من (ومر) وأتى (مرو الروذ) [2] ثم أتى (آمل) [3] ، ثم مضى إلى (زمّ) [4] ، فقطع النهر وسار إلى بيكند ويقال لها : مدينة التجار، على رأس المفازة من(بخارى) ، فلما نزل ساحتهم استنصروا (الصُّغْد) [5] واستمدوا من حولهم ، فأتوهم في جمع كثير ، وأخذوا بالطريق ، فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه رسول ولا خبر شهرين . وأبطأ خبر قتيبة على الحجاج ، فأشفق على الجند وأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد ، وكتب بذلك إلى الامصار

وكان قتيبة يقاتل عدوه كل يوم ، وكان له عين من العجم ، فأعطاه أهل (بخارى) مالاً ليرد عنهم قتيبة ، فأتاه وقال له سراً من الناس : « والحجاج قد عزل ، وقد أتى عامل إلى (خراسان) فلو رجعت بالناس كان أصلح » ، فأمر قتيبة بقتله خوفاً من أن يظهر الخبر فيهلك الناس ، ثم قال لرجل [6] كان عنده حين جاءه العين بهذا الخبر : « لم

---

(١) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها ، يعبر اليها من آمل الشط ، وبينها وبين جيحون يومان وكانت قاعدة ملك السامانية أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٨١ — ٨٦) واحسن التقاسيم (٢١٦ — ٢١٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٠٩ — ٥١١) والمسالك والممالك (١٧١—١٧٣) وتقويم البلدان (٤٨٨)

(٢) مرو الروذ : مرو أشهر مدن خراسان ، وهما مروان : مرو الروذ ومرو الشاهجان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢) و (٨/٣٣) والبلدان لليعقوبي (٢٧٩)

(٣) آمل : قصبة طبرستان وهي أكبر من قزوين أنظر التفاصيل في تقويم البلدان (٤٣٤) والمشترك وضعاً (٧) ومعجم البلدان (١/٦٣)

(٤) زم : بليدة على طريق جيحون بين ترمذ وآمل أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٥٠٤) .

(٥) الصغد : كورة عجيبة قصبتها سمرقند ، وقيل هما صغدان : صغد سمرقند وصغد بخارى ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦٢) والمسالك والممالك للاصطخري (١٧٩) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٤٣) ، وتكتب عند بعضهم : السند أنظر مثلا كتاب البلدان (٢٨٨) وأنظر أيضاً ما جاء عن الصغد في أحسن التقاسيم (٢٦٦) وسكانها يطلق عليهم هذا الاسم أيضاً

(٦) هو ضرار بن حصين الضبي

يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك ، وإني أعطي الله عهداً لئن ظهر هـذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لألحقنك به ؛ فاملك لسانك ، فإن انتشار هـذا الحديث يَفُتّ من أعضاد الناس »

وأمر قتيبة أصحابه بالجد في القتال ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزم أعداؤه يريدون المدينة . واتبعهم المسلمون فشغلوهم عن الدخول ، فتفرقوا وركبهم المسلمون قتلاً وأسراً .

واعتصم من دخل المدينة وهم قليل ، فوضع قتيبة الفَعَلَة[1] لهدم سورها ، فسألوه الصلح ، فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنهم يريد الرجوع ، فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه ، فرجع اليهم وقد تحصّنوا ، فقاتلهم شهراً ، ثم وضع الفعلة فنقبوا سورها ، فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان فيها من المقاتلة

وكان في من أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين ، فقال لقتيبة : « أنا أفـدي نفسي ... » ، فقال سليم الناصح : « ما تبذل ؟؟ » فقال : « خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف » ، فقال قتيبة : « ما ترون ؟ » ، فقالوا : « إن فـداه زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كيد هذا ؟ ! » ، فقال : « لا والله ! لا تروّع بك مسلمة أبداً » ، وأمر به فقُتل

وأصاب المسلمون في (بيكند) من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى ، وأصابوا شيئاً كثيراً لم يصيبوا مثله حتى بخراسان ، فرجع قتيبة إلى (مرو) وقوى المسلمون فاشتروا السلاح والخيل ، وجلبت اليهم الدواب ، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة ، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين درهما

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة ، فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع السلاح إلى الجند ، فأذن له ؛ فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر ، فقسمّه في الناس

---

(١) الفعلة : جماعة من المقاتلين مسؤولون عن إصلاح الطرق وقطع الشجر وإقامة الجسور والمعابر ، وحفر الآبار وتنقيتها وما اشبه ذلك ، انظر مختصر سياسة الحروب للهرثمي (٢٩)

لقد جرى ذلك سنة سبع وثمانين للهجرة [1] (٧٠٥ م)

د ـ استعادة نومشكت [2] وراميثنة [3]

استقر قتيبة في (مرو) أيام الشتاء للراحـــة وإنجاز الاستحضارات الادارية لجيشه وإعداد رجاله للقتال ، فلمـا كان أيام الربيع ندب الناس وقال : « إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد ، وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الادفاء » ، فسار من (زم) إلى (بخارى) ، فأتى (نومشكت) وهي من (بخارى) ، فصالحوه [4]

وسـار قتيبة إلى (راميثنة) ، فصالحه أهلها أيضاً ، فانصرف عنهم [5] وفي طريق عودته إلى (مرو) زحف اليـــه الترك ومعهم (الصغد) وأهل (فرغانة) في مائتي ألف بقيادة ملك الترك (كور بغانون) ابن أخت ملك الصين ، فهددوا الساقة التي كانت بقيادة عبد الرحمن بن مسلم الباهلي ، وكان بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل واحـد ؛ فلما قربوا من الساقة أرسل قائدها رسولاً إلى قتيبة يخبره بزحف الترك ، ولـكن الترك هاجموه في أثناء ذلك وقاتلوه وأتى الرسول قتيبة ، فرجع قتيبة بالناس وانتهى إلى الساقة وهي مشتبكة بالقتال وقـد كاد الترك يسحقونها ؛ فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا وقاتلوا إلى الظهر ، وأبلى يومئذ (نيزك) وهو مع قتيبة ، فانهزم الترك

---

(١) الطبري (٥/٢١٨ — ٢٢٠) ، وأنظر ابن الأثير (٤/٢٠٢) وابن خلدون (٣/٥٩) والبلاذري (٤٠٩ — ٤١٠) وسرح العيون (٩٨ — ٩٩) ، وأنظر شذرات الذهب (١/١٩٧) والعبر (١/١٠٢)

(٢) نومشكت : مدينة من أعمال بخارى أنظر الطبري (٥/٢٢٠ / وابن الأثير (٤/٢٠٤)

(٣) راميثنة : مدينة من أعمال بخارى

(٤) الطبري (٥/٢٢٠) ، وانظر ابن الأثير (٤/٢٠٤) وابن خلدون (٣/٥٩) والبلاذري (٤١٠)

(٥) ابن الأثير (٢/٢٠٤)

ورجع قتيبة فقطع النهر عند (تِرْمِذ)[1] وأتى (مرو) ، وكان ذلك سنة ثمان وثمانين للهجرة[2]

هـ ـ فتح بخارى والصلح مع الصغد :

أولاً : أمر الحجاج سنة تسع وثمانين هجرية (٧٠٧ م) بغزو (بخارى) وملكها يومئذ (وردان خذاه) ، فعبر النهر من (زم) ولقيه (الصغد) وأهل (كش)[3] و (نَسَف)[4] في طريق المفازة وقاتلوه ، فانتصر عليهم ومضى الى (بخارى) ، فنزل (خَرَقانة)[5] السفلى ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتلهم يومين وليلتين وانتصر عليهم

وغزا (وردان خُذاه)[6] فلم يظفر بشيء ، فرجع إلى (مرو)

وكتب قتيبة إلى الحجاج يخبره ، فكتب اليه الحجاج : « صوّرها لي » ، يعني : منطقة (بخارى) فبعث اليه قتيبة وصفاً دقيقاً لها ، فبعث اليه الحجاج يأمره بالتوبة

---

(١) ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن على جيحون أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٢/٢) وتقويم البلدان (٥) وأحسن التقاسيم (٢٩١)

(٢) الطبري (٢٢٣/٥) وابن الأثير (٢٠٤/٤) وأنظر البلاذري (٤١) وفي ابن خلدون ، (٥٩/٣) : أن الترك اعترضوا مقدمة قتيبة » ، وهذا خطأ من الناحية العسكرية ، لأن قتيبة كان في طريق عودته الى (مرو) ، فتكون الساقة لا المقدمة في متناول أيدي الترك يضربونها حتى يجبروا قتيبة على العودة بقواته الى الخلف ، أما ضرب المقدمة فمعناه الاصطدام بجيش قتيبة كله بدون الحاجة الى الرجوع الى الخلف وتبديل خطة مسيره ووضع خطة جديدة للقتال

(٣) كش : مدينة في ما وراء النهر أنظر التفاصيل في تقويم البلدان (٤٩٠) وهي قرب سمرقند . انظر معجم البلدان (٢٥٠/٧)

(٤) نسف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٨)

(٥) خرقانه : في معجم البلدان وردت : خزقان ، قرية من قرى سمرقند ، وخرقانة : موضع انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٢١/٣)

(٦) وردان خذاه : ملك بخارى وهناك : وردانة : من قرى بخارى أنظر معجم البلدان (٤١٤/٨)

مما كان من انصرافه عن (وردان خذاه) ملك (بخارى) قبل الظفر به ، ويعرفه الموضع الذي ينبغي أن يأتي بلده منه [1]

ثانياً ـ وخرج قتيبة من (مرو) سنة تسعين للهجرة (٧٠٨ م) غازياً ، فارسل (وردان خذاه) إلى (الصغد) والترك ومن حولهم يستنصرهم ، فأتوه وقد سبق اليه قتيبة وحصره

ووردت الأمدادات إلى ملك (بخارى) ، فخرجوا إلى المسلمين ليقاتلوهم ، فقالت الأزد : « اجعلونا على حدة ، وخلوا بيننا وبين قتالهم » ، فقال قتيبة : « تقدّموا ! » فتقدموا يقاتلونهم قتالاً شديداً ، ولكنهم انهزموا حتى دخلوا عسكر قتيبة وجاوزوه ، فضرب النساء وجوه الخيل وبكين ، فكرّوا راجعين

وأطبقت مجنبتا جيش المسلمين على الترك ، فقاتلوهم حتى ردوّهم إلى مواقفهم السابقة ، فوقف الترك على نشز ، فقال قتيبة : « من يزيلهم عن هذا الموضع ؟ » ، فلم يقدم عليهم أحد ! فأتى قتيبة بني تميم وقال لهم : « يوماً كأيامكم ... » ، فأخذ وكيع بن حسان بن قيس التميمي [2] اللواء وقال : « يا بني تميم ! أتسلمونني اليوم ؟! » فقالوا : « لا يا أبا مطرّف » ، وكان هريم بن أبي كلحمة المجاشعي على خيل بني تميم ووكيع رأسهم ، فقال وكيع : « يا هريم ! قدم خيلك ... » ، ودفع اليه الراية ؛ فتقدم هريم ، وتقدم وكيع في الرجالة ، فانتهى هريم الى نهر بينهم وبين الترك ، فوقف ، فقال له وكيع : « إقحم ياهريم ! » ، فضرب هريم فرسه وأقحمه ، وعبر بالخيل

وانتهى وكيع الى النهر ، فشدّ عليه جسراً من خشب وقال لأصحابه : « من وطّن

---

(١) ابن الأثير (٤/٤ ٢) وابن خلدون (٥٩/٣ — ٦٠) والطبري (٢٢٥/٥)

(٢) هو الفاتك وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود بن كلب التميمي والي خراسان وقاتل قتيبة ابن مسلم الباهلي أنظر جمهرة أنساب العرب (٢٢٦)

نفسه على الموت ، فليعبر ؛ وإلا فليثبت مكانه » ، فما عبر معه إلا ثمانمائة رجل

ودنا وكيع من العدو ، فقال لهريم : « إني مطاعهم فأشغلهم عنا بالخيل » ، فطاعنوهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى أزاحوهم عن مواضعهم

ونادى قتيبة : « أما ترون العدو منهزمين !؟ » ، فأتبعهم الناس ونادى قتيبة : « من جاء برأس فله مائة » ، فأتى برؤوس كثيرة ، وجرح يومئذ (خاقان) ملك الترك وابنه ؛ وفتح الله على المسلمين ، فكتب بالفتح الى الحجاج [١]

و : غدر (نيزك) وفتح الطالقان [٢]

أولا : فصل قتيبة من (بخارى) ومعه (نيزك) وقد خاف لما يرى من الفتوح ، فقال لأصحابه : « أنا مع هذا ولست آمنه ، فلو استأذنته ورجعت كان الرأي ! » ، فقالوا : « استأذنه » ، فلما كان قتيبة بـ (آمل) ، استأذنه (نيزك) بالرجوع الى (طخارستان) ، فأذن له

وأسرع (نيزك) السير حتى أتى (النوبهار) [٣] ، فنزل يصلي فيه ويتبرك به ، وقال

(١) ابن الأثير (٤/٢٠٧) والطبري (٥/٢٢٧ — ٢٢٨) وابن خلدون (٣/٦١) وفي البلاذري (٤١٠) : إن قتيبة فتح بخارى على صلح وفي رواية أخرى : إن قتيبة أتى بخارى فاحترسوا منه ، فقال : « دعوني أدخلها فأصلي ركعتين » ، فأذنوا له في ذلك ، فأكمن لهم قوماً ، فلما دخلوا كاثروا أهل الباب ودخلوا فأصاب فيها مالاً عظيماً وغدر بأهلها ... انتهى ما جاء في البلاذري (٤١) وأرى أن هذه الرواية غير منطقية وغير معقولة ، إذ كيف يجازف قتيبة بدخول المدينة للصلاة فيها وهو في ساحة حرب بين أعدائه ؟؟ وكيف يسمح له أهل بخارى أن يدخل مدينتهم ولا يقضون عليه ؟؟ كما أن الخيانة والغدر ليسا من خلق السلف الصالح من قادة الفتح الذين كانوا متمسكين بتعاليم الاسلام

(٢) الطالقان : أكبر مدينة بطخارستان بين مرو الروذ وبلخ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٧) وتقويم البلدان (٤٥٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٠٢)

(٣) النوبهار : اسم موضعين : أحدهما قرب الري ، والثاني — وهو المراد ببلخ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢٠ — ٣٢٢) ، وفي المشترك وضعاً كذلك ، وان النوبهار معبد كان ببلخ للمجوس وكانت البرامكة سدنته أنظر المشترك وضعاً (٤٢٢) .

لأصحابه : « ولا أشـك أن قتيبة قد ندم على إذنه لي ، وسيبعث الى المغـيرة بن عبد الله يأمره بحبسي » وسار (نيزك) وتبعه المغيرة ، فوجده قد دخل شعب (خُلَم)[1] ؛ فانصرف المغيرة وأظهر (نيزك) الخلع وكتب الى (أصبهذ) بلخ وإلى (باذان) ملك (مرو الروذ) وإلى ملك (الطالقـان) وإلى ملك (الفِرْياب)[2] وإلى مـلك (الجوزجان)[3] يدعوهم إلى خلع قتيبة ثم كتب إلى ملك (كابُل)[4] يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله ، وسأله أن يأذن له — إن اضطر اليه — أن يأتيه ، فأجابه إلى ذلك

وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرّق الجند ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم الباهلي في اثنى عشـر ألفاً إلى (البَرُوقان)[5] وقال له : « أقم بها ، فاذا انقضى الشتاء سر نحو (طخارستان) ، واعلم اني قريب منك »

وفي آخر الشتاء ، كتب قتيبة إلى (نَيْسابُور)[6] وغيرها من البلاد ليقدم عليـه الجنود ، فقدموا قبل أوانهم ، فسار نحو (الطالقان) وكان ملكها قد خلع وطابق (نيزك) على الخلع ، فأوقع قتيبة بأهل (الطالقان) وقتل من أهلها مقتلة عظيمة

---

(١) خلم : بلدة بنواحي بلخ على عشرة فراسخ من بلخ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٥٩/٣).

(٢) الفرياب : بلدة من نواحي بلخ وهي مخففة من : فارياب أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٢/٦)

(٣) الجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٧/٣) والمسالك والممالك للاصطخري (١٥٣)

(٤) كابل : اسم يشتمل على الناحية ومدينتها أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠١/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٢٤٣) وهي عاصمة الأفغان في الوقت الحاضر

(٥) البروقان : قرية من نواحي بلخ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٧/٢)

(٦) نيسابور : مدينة عظيمة في خراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٦/٨) والمسالك والممالك للاصطخري (١٤٥) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٧٣)

وهكذا انقضت سنة تسعين هجرية (٧٠٨ م) قبل محاربة (نيزك)[١]

ثانياً ـ وفي سنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٠٩م) ، سار قتيبة الى (الفارياب) فخرج ملكها مُقراً مُذعناً ، فقبل قتيبة منه ولم يقتل بها أحداً

ثم أتى (بلخ) فلقيه أهلها ، فلم يقم بها إلا يوماً واحداً ، وسار يتبع أخاه إلى شعب (خلم) . ومضى (نيزك) الى (بَغلان)[٢] وخلّف بعض المقاتلين على فم الشعب ومضايقه ليمنعوه ، ووضع مقاتلته في قلعة حصينة من وراء الشعب ، فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على مضيق الشعب لايقدر على دخوله ولا يعرف طريقاً يسلكها إلا الشعب أو مفازة لا تحتملها العساكر ، فبقي متحيراً !.

وبينما كان قتيبة يفكر في أمر القضاء على (نيزك) ، إذ قدم عليه رجل استأمنه على أن يدله على مدخل القلعة التي من وراء الشعب ، فأمنه قتيبة وبعث معه رجالاً انتهى بهم إلى القلعة من وراء شعب (خلم) ، فباغتوا رجال (نيزك) وهم آمنون ، فقتلوا بعضهم وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب ، فدخل قتيبة الشعب وأتى القلعة ومضى الى (سِمِنْجان)[٣] ، فأقام بها أياماً ، ثم مضى قدماً إلى (نيزك)

وقدّم قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم الباهلي ، فارتحل (نيزك) من منزله في (بغلان) وقطع وادي (فرغانة) ، ووجه ثقله وأمواله إلى ملك (كابل) ، ومضى حتى نزل (الكُرْز)[٤] وعبد الرحمن يتبعه ، فنزل عبد الرحمن حذاء (الكرز) ونزل قتيبة بمنزل

---

(١) ابن الأثير (٤/ ٧ ٢ ـ ٢٠٨) والطبري (٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) وأنظر ابن خلدون (٣/ ٦١) وفي رواية : إن ملك الطالقان لم يحارب قتيبة فكف عنه ، وكان بها لصوص فقتلهم قتيبة وصلبهم أنظر ابن الأثير (٤/ ٢٠٩) والطبري (٥/ ٢٢٥)

(٢) بغلان : بلدة بنواحي بلخ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٢٤٦)

(٣) سمنجان : بلدة من طخارستان وراء بلخ وبغلان وبها شعاب كثيرة أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/ ١٣٠)

(٤) كرز : وهي كرزبان كما جاء في معجم البلدان (٧/ ٢٣٧ ، بلدة في الجبل قرب الطالقان

بينه وبين عبد الرحمن فرسخان

وتحصّن (نيزك) في (الكرز) وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد — وهو صعب لا تطيقه الدواب ، فحصره قتيبة شهرين ، حتى قلّ ما في يد (نيزك) من الطعام وأصابهم الجدري

وخاف قتيبة الشتاء ، فدعا سليماً الناصح وقال : « انطلق إلى (نيزك) ، واحتل لتأتيني به بغير أمان، فأن احتال وأبى ، فأمّنه واعلم أني إن عاينتك وليس هو معك ،صلبتك! »؛ فاحتال سليم حتى قدم (نيزك) على قتيبة

واستأذن قتيبةُ الحجاجَ في قتل (نيزك) ، فأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتله ، فدعا فيه الناس واستشارهم في قتله ، فأشار أكثرهم بقتله ، فقتله ورجع إلى (مرو)

وأرسل ملك (الجوزجان) يطلب الأمان ، فأمنه قتيبة على أن يأتيه وطلب رهناً على أن يعطى هو رهائن من أهل بيته ، فقبل منه قتيبة ، فقدم عليه ثم رجع فمات في طريق عودته [1]

وهكذا انهت فتنة (نيزك) ومن شايعه من الملوك سنة إحدى وتسعين هجرية

ز ـ فتح شومان وكش ونسف ثانية وصلح سجستان [2] :

أولاً في سنة إحدى وتسعين أيضاً (٧٠٩ م) ، سار قتيبة إلى (شومان) ، وكان

(١) ابن الأثير (٢٠٩/٤ — ٢١٠) والطبري (٢٣٠/٥ — ٢٤١) وانظر ابن خلدون (٦١/٣ — ٦٢) والبلاذري (٤١) واليعقوبي (٣٠/٣) وشذرات الذهب (٩٩/١) والبدء والتاريخ (٣٨/٦) والعبر (١٠٦/١)

(٢) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة أكبر مدنها زرنج أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧/٥) والمسالك والممالك (١٣٩ — ١٤٣)

سبب ذلك أن ملكها طرد عامل قتيبة من عنده ، فأرسل قتيبة رسولين : أحدهما من العرب اسمه عياش بن عبد الله الغنوي والآخر من أهل (خراسان) ، يدعو ان ملك (شومان) أن يؤدي ما كان صالح عليه ، فقدما (شومان) ، فخرج أهلها ورموهما ، فانصرف الخراساني ، وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحه

وبلغ قتيبة قتله ، فسار إليهم بنفسه ، فلما أتاه أرسل صالح بن مسلم أخاه إلى ملكها وكان صديقاً له ، يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح ، فأبى وقال : « أتخوّفني من قتيبة وأنا أمنع الملوك حصناً ؟! » ، فأتاه قتيبة وقد تحصن ببلده ، فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشّمه

وخاف الملك أن يظهر عليه قتيبة ، فجمع ما في الحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر بالقلعة لا يُدرك قعرها ، ثم فتح القلعة وخرج إلى المسلمين فقاتلهم حتى قتل

وفتح قتيبة القلعة عنوة ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، ثم سار إلى (كش) و(نسف) ففتحهما صلحاً

وامتنعت عليه (الفارياب) فأحرقها ، فسميت : المحترقة . وسيّر من (كش) و (نسف) أخاه عبد الرحمن الى (الصغد) وملكها (طرخون) ، فقبض عبد الرحمن من (طرخون) ما كان صالحه عليه قتيبة ، ورجع الى قتيبة بـ (بخارى) ، فرجعوا الى (مرو) [1]

ثانياً ـ وفي سنة اثنتين وتسعين الهجرية (٧١٠ م) غزا قتيبة (سجستان) وأراد قصد (رتبيل) ، فأرسل اليه (رتبيل) رسلاً بالصلح ، فقبل ذلك قتيبة وانصرف بعد أن

---

(١) ابن الأثير (٤/ ٢١ ـــ ٢١١) والطبري (٥/ ٢١٤ ـــ ٢٤٣) وانظر ابن خلدون (٣/ ٦٢) والبلاذري (٤١٠)

استعمل عليهم أحد رجاله [١]

ح ـ صلح ملك (خُوَارِزْم) [١] وفتح أرض (خام جرد) [٢] :

في سنة ثلاث وتسعين للهجرة (٧١١ م) ، صالح قتيبة ملك (خوارزم) ، وكان سبب ذلك أن الملك كان ضعيفاً ، فغلبه أخوه (خرزاد) الذي كان أصغر منه على أمره ، وعاث في الرعية وسلبهم أموالهم وأهليهم ، فكتب ملك (خوارزم) إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها اليه على أن يمكنه من أخيه وأصحابه ليحكم فيهم بما يرى !

ولم يطلع ملك (خوارزم) أحداً من مرازبته على ذلك ، فاجابه قتيبة إلى ما طلب وتجهّز للغزو وأظهر أنه يريد (الصغد) ، فأقبل أهل (خوارزم) على شأنهم ولم يحتفلوا بغزوه

وفجأة نزل قتيبة بجيشه قريباً من (خوارزم) ، فجاء أصحاب ملك (خوارزم) الى ملكهم ودعوه للقتال ، فقال : « ليس لنا به طاقة ، ولكن نصالحه على شيء نعطيه كما فعل غيرنا » ، فوافقوه وسار ملك (خوارزم) حتى نزل بمدينة (الفِيْل) [٣] من وراء النهر ـ وهي أحصن بلاده ، فصالح قتيبة على عشرة آلاف رأس وعيَن ومتاع وعلى أن يعينه على (خام جرد) ، فقبل قتيبة ذلك ؛ وقيل : صالحه على مائة ألف رأس [٤]

---

(١) ابن الأثير (٤/٢١٧) وابن خلدون (٣/٦٢) والطبري (٥/٢٤٦) وانظر سرح العيون (٩٩) والرجل الذي استعمله عليهم هو : عبد ربه بن عبد الله الليثي

(٢) خوارزم : اسم أقليم منقطع عن خراسان وعما وراء النهر وتحيط به المفاوز من كل جانب ، وحدها متصل بحد الغزية فيما يلي الشمال والغرب ، وجنوبيه وشرقيه خراسان وما وراء النهر ، وهي في آخر نهر جيحون أنظر التفاصيل في المسالك والممالك للأصطخري (٦٨) ومعجم البلدان (٣/٤٧٤ — ٤٧٩)

(٣) خام جرد : اسم أحد رؤساء منطقة خوارزم

(٤) الفيل : كانت مدينة ولاية خوارزم أنظر معجم البلدان (٦/٤١٤)

(٥) قوله : على مائة ألف رأس ، يريد أن هؤلاء يأخذ منهم الجزية ، وإلا فمن البعيد استرقاق هذا العدد الضخم ، إذ ماذا يصنع بهم قتيبة وأي طعام يكفيهم ، أنظر هامش ابن خلدون (٣/٦٣) وصالحه على عشرة آلاف أو مائة ألف رأس ، أي أن هذا العدد من الناس يعطون الجزية

وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى (خام جرد) وكان يغازي ملك (خوارزم) فقاتله وقتله وغلب على أرضه

وسلّم قتيبة إلى ملك (خوارزم) أخاه ومن كان يخالفه من أمرائه ، فقتلهم ودفع أموالهم إلى قتيبة [1]

ط ـ فتح سمرقند :

قبض قتيبة صلح (خوارزم) ، فقام اليه المجسر بن مزاحم السلمي وقال له سراً : « إن أردت (الصغد) يوماً من الدهر ، فالآن ؛ فأنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا ؛ وإنما بينك وبينهم عشرة أيام » ؛ فقال قتيبة : « أشار بهذا عليك أحد ؟؟ » ؛ قال : « لا ! » قال : « فأعلمته أحداً ؟؟ » ، قال : « لا ! » ، فقال قتيبة : « والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك !! »

وأقام قتيبة يومه ذلك ، فلما أصبح من الغد ، دعا أخاه عبد الرحمن وقال : « سر في الفرسان والرماة ، وقدّم الاثقال إلى (مرو) » فوجه الاثقال إلى (مرو) ومضى عبد الرحمن يتبع الأثقال يريد (مرو) يومه كله ، فلما أمسى كتب اليه قتيبة : « إذا أصبحت فوجه الاثقال إلى (مرو) وسر بالفرسان والرماة نحو (الصغد) ، واكتم الأخبار ، فأني بالأثر ! »

وخطب قتيبة الناس ، فقال : « إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكنٌ ، وهذه (الصغد) شاغرة برجلها قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ومنعونا ما كنا صالحنا عليه (طرخون) وصنعوا به ما بلغكم [2] ، وقال الله : « من نكث فانما ينكث

---

(١) ابن خلدون (٣/٦٣) وابن الأثير (٤/٢١٧) والطبري (٥/٢٤٦ — ٢٤٨)

(٢) لما رجع قتيبة عن (الصغد) سنة إحدى وتسعين هجرية بعد صالحه مع (طرخون) ملكها ، قال أهل (الصغد) لطرخون : « إنك قد رضيت بالذل واستطبت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا فيك » ، فحبسوه وولوا (غوزك) ، فقتل (طرخون) نفسه أنظر ابن الأثير (٤/٢١١) والطبري (٥/٢٤٢) .

على نفسه) [١] ، فسيروا على بركة الله ، فاني أرجو أن يكون (خوارزم) و (الصغد) كالنضير وقريظة [٢] ، وقال الله : (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) » [٣]

وبلغ قتيبة (الصغد) بعد عبد الرحمن بثلاث أو أربع ، فقال : (فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) [٤] ، وقدم معه أهل (خوارزم) و (بخارى) ، فحصرهم شهراً وقاتلهم في حصارهم مراراً من وجه واحد

وكتب أهل (الصغد) إلى ملك (الشاش) [٥] وملك (فرغانة) : « إن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به ، فانظروا لأنفسكم ، ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها »

واستقر رأي ملكي (الشاش) و (فرغانة) على إمداد أهل (صغد) ، فأرسلوا اليهم : « أرسلوا من يشغلهم حتى نبيّت عسكرهم » ، وانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال ، وأمروهم أن يأتوا عسكر قتيبة ويبيتوه لأنه مشغول عنهم بحصار) سمرقند)

وبلغ قتيبة الخبر ، فانتخب من عسكره أربعمائة ، وقيل : ستمائة من أهل النجدة والشجاعة وأعلمهم الخبر ، وأمرهم بالمسير إلى عدوهم ، فساروا وعليهم أخوه صالح بن مسلم ، ونزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم

وأرسل صالح عيونه ، فأخبروه أن العدو سيصل اليه ليلاً ، ففرّق خيله ثلاث فرق : جعل كمينين في موضعين ، وأقام هو وبعض فرسانه على قارعة الطريق

---

(١) الآية الكريمة من سورة الفتح (٤٨ : ١)

(٢) النضير وقريظة من يهود المدينة المنورة الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فانتصر عليهم

(٣) الآية الكريمة من سورة الفتح (٤٨ : ٢١)

(٤) الآية الكريمة من سورة الصافات (٣٧ : ١٧٧)

(٥) الشاش : مدينة بما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك أنظر معجم البلدان (٥/٢١٢).

وطرقهم العدو ليلاً وهم لا يعلمون بمكان صالح ، وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحـــد دون العسكر ، فلم يعلموا بصالح حتى غشوه ، فشدوا على قوته حتى إذا اختلفت الرماح بينهم خرج الكمينان فاقتتلوا ، قال بعضهم : « إنا لنقاتلهم إذ رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سراً ، فضربت ضربة اعجبتني ، فقلت : كيف ترى بأمي وأبي ؟! فقال : اسكت ! فض الله فاك »

واستطاع فرسان صالح أن يتغلبوا على عدوهم ، فلم يفلت منهم إلا الشريد ، وأسروا بعض الأسرى ، وغنموا خيلهم وسلاحهم

وعلم (الصغد) باندحار القوة التي جاءت مـــدداً لهم ، فأثـر ذلك على معنوياتهم أسوأ الأثر .

ونصب قتيبة حول (سمرقند) المجانيق فرماها بها وثلم ثلمة فسدوّها بغرائر الدُخُن ، وقام عليها رجل فشتم قتيبة ـ وكان مع قتيبة قوم رماة ، فأمر قتيبة رجلاً منهم رمى شاتمه ، فلم يخطىء عينه

وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يناجي نفسه بقوله : « حتى متى يا (سمرقند) يعشعش فيك الشيطان ؟! أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية »

وأصبح قتيبة ، فعرض جنـده ، وميز أهل البأس ، فجمعهم يعرضهم بنفسه ودعا العرفاء ، فجعل يـدعو برجل رجل ، فيقول : « ما عنـــدك ؟ » ، فيقول العريف : « شجاع » ، ويقول : « ما هذا ؟ » ، فيقول : « مختصر ! » ، ويقول : « ما هذا ؟ » فيقول : « جبان ! » ، فأخـذ قتيبة خيل الجبناء وجيد سلاحهم وأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك للجبناء رث السلاح

وأمر الناس بالجـــد في القتال ، فقاتلوهم أشد القتال وأمرهم قتيبة أن يبلغوا ثلمة

المدينة قائلا : « ألحوا عليهم حتى تعبروا على الثلمــة ! » ، فقاتلوهم حتى صاروا على ثلمة المدينة

ورماهم (الصغد) بالنشّاب ، فوضعوا أترسهم على وجوههم ولم يبرحوا ، فأرسل (الصغد) إلى قتيبة من يقول له : « إنصرف عنا اليوم حتى نصالحك غداً » ، فقال قتيبة : « لا نصالحهم إلا ورجالنا على الثلمة ؛ وقيل بل قال قتيبة : « جزع العبيــد ! إنصرفوا على ظفركم » ...

وصالحهم قتيبة من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس ، وأن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل ، فيبني فيها مسجداً ، ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج

وتمّ الصلح وأخلوا المدينة وبنوا المسجد ، فدخلها قتيبة في أربعة آلاف انتخبهم فصلى في المسجد وخطب وأكل طعاماً ، ثم أرسل إلى (الصغد) : « من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه ، فاني لست خارجاً منها ، ولست آخذ منكم إلا ما صالحتكم عليه ، غير أن الجند يقيمون فيها »

وقيل : إنه شرط عليهم في الصلح مائة ألف فارس وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقبض ذلك ؛ فكانت كالقصر العظيم ، فأخذ ما عليها وأمر باحراقها ؛ فجاءه (غوزك) ملك (الصغد) فقال : « إنّ شكرك علي واجب ! لا تتعرض لهــذه الأصنام فان فيها أصناماً من أحرقها هلك !! » ؛ فقال قتيبة : « أنا أحرقها بيدي » ؛ فدعا بالنار ثم كبّر وأشعلها فاحترقت ، فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال !!

وصنع (غوزك) طعاماً ودعا قتيبة ، فأتاه في عدد من أصحابه ، فلما تغدّى قال للملك : « انتقل عنها » ، يعني عن (سمرقنــد) ، فانتقل (غوزك) عنها ، وتلا قتيبة :

(وأنه أهلك عاداً الأولى وثموداً ، فما أبقى) [1]

وأرسل قتيبة إلى الحجاج يفتح (سمرقند) ، ثم رجع إلى (مرو) ، وكان أهل (خراسان) يقولون : « إن قتيبة غدر بأهل (سمرقند) ، فملكها غدراً » [2]

وهكذا فتح قتيبة (خوارزم) و (سمرقند) في عام واحد [3]

ي ـ فتح الشاش وفرغانة :

أولا : في سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢ م) قطع قتيبة نهر (جيحون) وفرض على أهل (بخارى) و (كش) و (نسف) و (خوارزم) عشرين ألف مقاتل ، فسارو معه ، فوجههم إلى (الشاش) وتوجه هو إلى (فرغانة)

واصطدم قتيبة هو والعدو في (خُجِنْدَه) [4] حيث جمع له أهلها ، فلقوه واقتتلوا مراراً ، في كل مرة يكون الظفر للمسلمين

وفتح الجند الذين ساروا إلى (الشاش) هذه المدينة واحرقوها ثم رجعوا إلى قتيبة وهو على (كاشان) مدينة (فرغانة) ، فانصرف قتيبة بالناس إلى (مرو) [5]

ثانياً : وبعث الحجاج سنة خمس وتسعين هجرية (٧١٣ م) إلى قتيبة جيشاً من العراق

---

(١) الآية الكريمة من سورة النجم (٥٣ : ٥٠/٥١)

(٢) الطبري (٥/٢٤٨ — ٢٥٥) وابن الأثير (٤/٢١٧ — ٢١٩) وأنظر ابن خلدون (٣/٦٣) والبلاذري (٤١ — ٤١١) وسرح العيون (٩٩) واليعقوبي (٣/٣١ — ٣٢) ، وفيه عن حرق الأصنام : « كانت الأعاجم تقول : إن فيها أصناماً من استخف بها هلك » ، فلما حرقها قتيبة بيده ، أسلم منهم خلق كثير

(٣) وفيات الأعيان (٣/٢٥٠) والعبر (١/١٢٠) وذلك سنة ثلاث وتسعين هجرية

(٤) خجنده : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطيء سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢ ٤) وتقويم البلدان (٤٩٨)

(٥) الطبري (٥/٢٥٧ — ٢٥٨) وابن الأثير (٤/٢٢١) وابن خلدون (٣/٦٤)

فغزا بهم ، فلما كان بـ (الشاش) أتاه موت الحجاج ، فغمّه ذلك وقفل راجعاً إلى (مرو) وتمثل :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر   بحَوْران[1] أمسى أعلقته الحبائل

فأن تحي لاأملل[2] حياتي وإن تمت   فما في حياتي بعد موتك طائل

فرجع بالناس إلى (مرو) ، وتفرق الناس ، نخلّف في (بخارى) قوماً ، ووجه قوماً إلى (كش) و (نسف) ؛ ثم أتى (مرو) وأقام بها ، فأتاه كتاب الوليد بن عبد الملك : « وقد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدّك واجتهادك في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك ، فأتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ، ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك ، حتى كأني أنظر إلى بلائك والثغر الذي أنت فيه » [3]

ك ـ فتح كاشغر [4] وغزو الصين :

في سنة ست وتسعين هجرية (٧١٤ م) غزا قتيبة (كاشغر) وهي أدنى مدائن الصين ، فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بـ (سمرقند) ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً على معبر النهر [5] ليمنع من يرجع من جنده إلا بجواز منه ... ومضى إلى (فرغانة) وأرسل إلى شعب يؤدى إلى (كاشغر) من يسهل الطريق اليها

وبعث قتيبة مقدمته إلى (كاشغر) ، فغنموا وسبوا وأوغل قتيبة حتى قارب الصين

---

(١) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٣٦)

(٢) في ابن الأثير (٢٢١/٤) ورد صدر البيت : فأن نحى لا أملك

(٣) ابن الأثير (٢٢١/٤ — ٢٢٢) وأنظر الطبري (٢٦٤/٥) وابن خلدون (٦٦/٧)

(٤) كاشغر : مدينة وقرى ورساتيق ، وهي في وسط بلاد الترك ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٧/٧)

(٥) في ابن خلدون (٦٧/٣) : أن قتيبة عبر النهر وجعل على المجاز مسلحة ... الخ

فكتب اليه ملك الصين : « أبعث اليَّ رجلا شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم » ، فانتخب قتيبة اثني عشر رجلاً [1] لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح ، وأمر لهم بعدّة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشي وغير ذلك وخيول حسنة ، وكان منهم هبيرة بن المُشَمْرَج الكلابي مفوهاً بسيط اللسان ، وقال لهم : « إذا دخلتم على ملك الصين فأعلموه أني قد حلفت أني لا نصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم » .

وسار وفد قتيبة عليهم هبيرة ، فلما قدموا على الصين ، دعاهم ملكها ، فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل ، وتطيبوا ولبسوا النعال والأردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه ، فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده ، فقال الملك لمن حضره بعد انصراف الوفد العربي : « كيف رأيتم هؤلاء ؟ » فقالوا : « رأينا قوماً ما هم إلا نساء ! ما بقى منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده »

وفي غدٍ دعاهم ، فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف [2] وغدوا عليه ، فلما دخلوا قيل لهم : « ارجعوا » ، وقال الملك لأصحابه : « كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ » ، فقالوا « هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك »

وفي اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض [3] والمغافر [4] ، وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا ، فنظر اليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقيل لهم قبل أن يدخلوا : « ارجعوا » ،

---

(١) في ابن الأثير (٥/٢) : إنه انتخب عشرة رجال ، وكذلك في ابن خلدون (٦٧/٣)

(٢) المطارف : جمع مطارف بضم الميم وكسرها ، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام أنظر مختار الصحاح (٣٩٠) (١٠٩)

(٣) البيض : جمع أبيض ، وهو السيف

(٤) مغافر : جمع مغفر ، والمغفر بوزن المبضع ، زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة أنظر مختار الصحاح (٤٧٦ — ٤٧٧)

لما دخل في قلوبهم من خوفهم ، فانصرفوا راكبين خيولهم ، وأخذوا رماحهم ، ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون ، فقال الملك لأصحابه : « كيف ترونهم ؟ » فقالوا : « ما رأينا مثل هؤلاء !! »

وفي مساء نفس اليوم ، بعث ملك الصين اليهم : « ابعثوا اليّ زعيمكم » ، فبعثوا اليه هبيرة ، فقالوا له : « قد رأيتم عظم ملكي وأنه ليس أحد يمنعكم مني ، وأنت في يدي بمنزلة البيضة في كفي ، وإني سائلكم عن أمر ، فان لم تصدقوني قتلتكم » ، فقال : « اسأل » ، فقال : « لما صنعتم ما صنعتم من الزي في اليوم الأول والثاني والثالث ؟! » ، فقال : « أما زيّنا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا الثاني فاذا أتينا أمراءنا ، وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا ... » ، فقال : « ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم ، فقولوا له ينصرف ، فاني قد عرفت حرصه [1] وقلة اصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه » ، فقال هبيرة : « كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟! » وكيف يكون حريصاً من خلّف الدنيا قادراً عليها وغزاك ؟! وأما تخويفك إيانا بالقتل ، فان لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه !! » قال : « فما الذي يرضي صاحبك ؟ » ، فقال : « إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوكهم ويُعطى الجزية » ، قال الملك : « فانا نخرجه من يمينه : نبعث اليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه ، ونبعث أبناءنا فيختمهم ، ونبعث اليه بجزية نرضاها »

ودعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجاز الوفد العربي فأحسن جوائزهم ؛ فقدموا على قتيبة فقبل الجزية

(٤) عرفت حرصه : أي عرفت جشعه والحرص هو الجشع أنظر مختار الصحاح (١٣)

وختم الغلمان وردّهم ووطىء التراب [1]

وفي هذه الغزاة ، وصل الخبر إلى قتيبة بموت الوليد بن عبد الملك [2] ، وتولى سليمان ابن عبد الملك مكانه ، فعاد قتيبة أدراجه ، فقتل في (فرغانة) [3] .

(يتبع)

---

(١) الطبري (٥/٢٦٨ — ٢٧٢) وابن الأثير (٥/٢ — ٣) وابن خلدون (٣/٦٧) وانظر مرح العيون (١٠)

(٢) ابن الأثير (٥/٣)

(٣) البداية والنهاية (٩/١٩٨) والمعارف (٤١٦) و (٤٣٣) .

الاشتراك والترادف

بقلم : الاستاذ محمد تقي الحكيم

لقد أعطي هـذان الموضوعان أهمية بالغة في لسان جملة من الباحثين ، ودخل الحديث عنها في أكثر من مجال .

وأكثر من أطال التحـدث عنها علماء الأصول ، والميزان حيث رتبـوا عليهما ثمرات علمية ذات قيمة

وقـد رأيت ان هـذه الثمرات التي رتبوها لا تخص الأصول ، أو المنطق ، بل تعم جميع العلوم اللسانية ، وغيرها مما يدخل في تحقيق غاياته تشخيص ظواهر الكلام ، وربما كانت علقتها بالبحوث الأدبية أكثر منها بأي بحث آخر .

ونظراً لأهمية مثل هذا البحث ووفرة ثمراته فقد رأيت أن أعرض فيه مختلف وجهات النظر وأقيمها ـ في حـدود ما أملك ـ ، وأترك لأخواني أعلام المجمع العلمي ـ حق معاودة البحث فيها نقداً ، واستدراكاً

تعريف الاشتراك :

وأول ما يقتضينا الحـديث فيه تحديد كل من المصطلحين ، وبيـان ما ذكروا لهما من

تعاريف ،ثم مناقشها ، واختيار أمثلها

والتعـاريف التي ذكروها كثيرة ، وجلهـا لايتصل بالتحديد المنطقي الذي يجمع بين الاطراد والانعكاس ، وانما يتصل غالباً بما أسموه بالتعاريف اللفظية التي لاتنصب عنايتها إلا على شرح الإسم واعطاء صورة اجمالية عنه

فقد عرفه الأستاذ محمد الخضري في كتابه أصول الفقه بقوله : « الاشتراك أن يتعـدد المفهوم ويتحد اللفظ » [1]

ويرد على هذا التعريف لو اعتبرناه تعريفاً بالمفهوم المنطقي :

١ — أن تعدد المفهوم مع اتحاد اللفظ لا يقتصر على الاشتراك بل يعم الحقيقة والمجاز والمنقول والمرتجل ففي كل منها تعـــدد في المفهوم مع اتحاد اللفظ وهي غير الاشتراك فالتعريف إذن غير مانع

٢ — كلمة تعدد المفهوم توجب خروج المشترك المعنوي عن طبيعة الاشتراك لوحدة مفهومه الذي وضع اللفظ بازائه وان تعددت المصاديق .

ونظير هذا التعريف من حيث عدم الجامعية والمانعية ما ورد في بدايع الأفكار من تعريفـــه : بأنه « وضع طبيعي اللفظ الواحـــد مادة وهيأة بازاء معنيين ، واكثر متغايرين [2] » لبداهة شموله للمنقول ، والمرتجل ، وعدم شموله للمشترك المعنوي

والظاهر ان جل التعاريف التي وضعت له غير ناظرة إلى إدخال المشترك المعنوي ضمن مفهومه ، وان جرى على ألسـنة الكثير منهم تقسيمه ـ أي الاشـــتراك ـ الى اللفظي والمعنوي

---

(١) أصول الفقه ص ١٥٧ ط ٥

(٢) بدايع الافكار للآملي ج ١ ص ١٤٤

والحقيقة انني لا أعرف وجهاً لادخال الاشتراك المعنوي ضمن التعريف ، ولا لتسميته اشتراكاً مع وحدة المعنى ، واتحاد الوضع فيه اللهم إلا أن يكون مجرد اصطلاح

ولعل أفضل التعاريف التي رأيتها للمشترك اللفظي إطراداً وانعكاساً ما ورد في كتاب المنطق للمرحوم المظفر من « انه اللفظ الذي تعدد معناه وقد وضع للجميع كلا على حده ولكن من دون أن يسبق وضعه لبعضها على وضعه لبعضها الآخر » [1]

وذلك لتنصيصه على ما يوجب خروج المنقول ، والمرتجل ، والحقيقة ، والمجاز .

الفرق بينه وبين المنقول :

والمنقول وان شارك المشترك في تعدد الوضع والمعنى إلا أنه يفترق عنه بسبق أحد الوضعين على الآخر مع ملاحظة المناسبة في الوضع اللاحق ، ويتضح هذا المعنى من تحديدهم له ـ أعني المنقول ـ : من أنه « اللفظ الذي تعدد معناه ، وقد وضع للجميع بأوضاع متعددة يسبق بعضها بعضاً مع ملاحظة المناسبة في اللاحق [2] » ، بينما لاينظر في الاشتراك الى جانب السبق الزمني ، ولا المناسبة بين المعنيين

الفرق بينه والمرتجل :

ويتضح الفرق بينهما إذا عرفنا أن المرتجل : « هو اللفظ الذي تعدد معناه ، ووضعه مع سبق الاوضاع بعضها على بعض من دون أن تلحظ المناسبة بين المعاني عند الوضع اللاحق [3] » لأخذهم فيه لحاظ سبق الأوضاع بعضها على بعض بينما لم يلحظ هذا المعنى في المشترك أصلاً

الفرق بينه وبين الحقيقة والمجاز :

اما الحقيقة والمجاز فهما وان شاركا المشترك في تعدد المعنى ووحدة اللفظ الا انهما

(١) المنطق ج ١ ص ٣١ ط ١ للمرحوم الشيخ محمد رضا المظفر

(٢ ، ٣) المنطق ج ١ ص ٣١ للمظفر

يفترقان عنه في وحدة الوضع فيهما لا تعدده لأن اللفظ عند ما يستعمل على سبيل المجاز لا يستند استعماله إلى وضع فيه وانما يستند إلى التماس العلاقة والمناسبة بينه وبين المعنى الحقيقي ففي باب الحقيقة والمجاز ليس عندنا إلا وضع واحد وهو وضع اللفظ الحقيقي لمعناه بينما يتعدد الوضع في باب المشترك تبعاً لتعدد المعنى الموضوع له

وهناك فرق آخر بينهما نجده عند الاستعمال وهو التغاير في طبيعة القرينة التي يحتاج اليها فيهما معاً فقرينة الحقيقة والمجاز قرينة صارفة ومعينة بينما لايحتاج في باب الاشتراك إلى أكثر من القرينة المعينة

تعريف الترادف :

وإذا عرفنا الاشتراك وما اعتبروه فيه سهل علينا الانطلاق إلى معرفة الترادف فهو عكسه تماماً فاذا اعتبروا وحدة اللفظ وتعدد المعنى في الاشتراك ، فانهم يعتبرون في الترادف تعدد اللفظ واتحاد المعنى يقول الخضري : « يراد باللفظين المترادفين ما اتحد مفهومها[1] » ويضيف صاحب منتقى الجمان اعتبار تعدد الوضع بتعدد الألفاظ فيقول في منظومته :

تعدد اللفظ لمعنى اتحد ترادف إن طابق الوضع العدد[2]

وهي إضافة في محلها إخراجاً لقسم من الاستعمالات المجازية كاستعمال لفظتي الأسد والبطل في الرجل الشجاع مع وضوح اتحاد المعنى فيهما وتعدد اللفظ إلا أن الوضع فيهما واحد فهما ليسا بمترادفين

الخلاف في المشترك :

وقد اختلفوا في وجود الاشتراك في اللغة على أقوال ثلاثة :

١ — وجوبه

---

(١) أصول الفقه للخضري ص ١٥٧

(٢) منتقى الجمان ص ٤٩ لعبد الهادي شليلة

٢ — إحالته

٣ — إمكانه ووقوعه

ولكل من هذه الأقوال دليله الخاص

القول بالوجوب ومناقشته :

وقد قرب الآمدي وجهة نظر القائلين بالوجوب بقوله « لو لم تكن الألفاظ المشتركة واقعة في اللغة — مع ان المسميات غير متناهية والأسماء متناهية ضرورة تركبها من الحروف المتناهيــة — لخلت أكثر المسميات عن الألفاظ الدالة عليها مع دعوة الحاجة إليها [١] »

وناقشها هو وغيره بمناقشات عدة لعل أفضلها ما ورد في الكفاية من نسبة هذا القول الى الفساد « لوضوح امتناع الاشتراك في هذه المعاني الغير المتناهية لاستدعائه الاوضاع الغير المتناهية ولو سلم لم يكد يجدي إلا في مقدار متناه مضافاً إلى تناهي المعاني الكلية ، وجزئياتها وإن كانت غير متناهية إلا أن وضع الألفاظ بإزاء كلياتها يغني عن وضع لفظ بإزائها كما لايخفى مع ان المجاز باب واسع [٢] »

وفي هذا الجواب على إيجازه وجوه أربعة كل واحد منها صالح لدفع الأشكال :

١ — تنبيهه على ان الالتزام بعدم تناهي المعاني وتناهي الالفاظ يستلزم الالتزام بتعدد الوضع تبعاً لتعدد المعاني والوضع متناه بتناهي الواضعين وأزمانهم فكيف يساير المعاني غير المتناهية

٢ — ان المعاني غير المتناهية لاتقع جميعاً ضمن نطاق احتياجات البشر ليحتاجوا إلى وضع الألفاظ لها لوضوح ان الحاجة إلى الوضع إنما هي وليدة الحاجة إلى الاستعمال ،

---

(١) احكام الآحكام للآمدي ص ١١ ج ١

(٢) الكفاية للخراساني ج ١ ص ١٩ ط ايران

وبما ان الحاجة إلى الاستعمال متناهية بتناهي حاجات البشر فجعل الألفـاظ لما يزيد على الحاجة لغو محض

هذا كله مع تسليم إمكان الوضع غير المتناهي وهو غير مسلم كما مرّ في الجواب الأول .

٣ — إنكار كون المعاني غير متناهية بكلياتها وإن سلم عدم تناهيها بجزئياتها ويكفي الوضع للكليات المتناهية ، وهي بدورها تستوعب جزئياتها غير المتناهية ، وتفي بحاجات البشر من حيث الاستعمال فيها .

٤ — إمكان الاكتفاء عن الاشتراك — لو سلم كل ذلك — بالاستعمالات المجازية وهي واسعة النطاق .

وفي إحكام الأحكام إنكار لأصل المبنى ـ أعني لزوم تناهي الألفاظ ـ لاعتقاده « أن الأسماء — وإن كانت مركبة من الحروف المتناهية فلا يلزم أن تكون متناهية [1] » .

وقرب بعضهم هـذا الانكار بتشبيه الحروف الهجائية بالأعداد التي لا تتناهى مع أن أصولها متناهية وهي من الواحد إلى العشرة ، فمن تعدد أنواع التركيب في الحروف الهجائية ، واختلاف الهيئات من حيث التقديم ، والتأخير ، والحركة ، والسكون ، والزيادة ، والنقصان تتعدد الألفاظ إلى غير نهاية .

ولـكن هذا التعدد غير المتناهي إذا تصورناه في الأعداد المركبة فاننا لا نستطيع تصوره بالنسبة إلى حروف الهجاء ، وما يتركب منها لأن طبيعة التركيب في الأعداد تختلف عنها في الألفاظ والكلمات فالعدد يقبل الأرقام الخيالية ، وتركباتها دون أن يقف عند حد كأن نضع إلى جنب واحد مثلا ملايين الأصفار بينما لا تقبل الألفاظ هذا التوسع لاننا لا نستطيع أن نفترض تركب كلمة واحدة من هذا القدر من الحروف بداهة .

---

(١) احكام الاحكام للآمدي ص ١١ ج ١

فالهيئات والحروف التي يمكن أن يدخل تركيبها ضمن استعمالاتنا محدودة وهي ـ مهما كثرت واتسعت ـ فان لها حداً لابد وان تقف عنده ، وتنتهي به

فما ذهب اليه المستدل من دعوى تناهي الألفاظ في موضعه .

القول بالاحالة ومناقشته :

والغريب أن تتفاوت وجهات النظر إلى الحد الذي يشبه التناقض في تباعد أطرافه وعدم التقائها .

فبينما يذهب قسم من العلماء ـ وهم الذين عرضنا وجهة نظرهم سابقاً ـ إلى وجوب الاشتراك ، وضرورة وجوده عقلا فانا نرى قسما آخر منهم يذهبون إلى استحالة وقوعه عقلا بدعوى « إخلاله بالتفهيم المقصود من الوضع لخفاء القرائن [1] » ، وتقريب وجهة نظرهم أن الواضع ـ وهو من العقلاء عادة ـ لا يمكن أن يقدم على عمل لا يستهدف من ورائه غاية

والغاية العقلائية المترتبة على الوضع هي تهيئة وسائل التفاهم بين أفراد المجتمع ، وبما أن جعل اللفظ الواحد لاكثر من معنى مع خفاء القرائن مما يخل بتحقيق هذه الغاية فلا يعقل أن يقدم عليها الواضع بحال

وأجيب على ذلك بجوابين :

أولهما : منع حصر الغاية من الوضع بالتفهيم على نحو التفصيل لتعلق الغرض أحياناً بالاجمال ، والابانة النسبية عن المقصود وهذا ما يحققه الاشتراك

ثانيهما : انكار لزوم الاخلال بالتفهيم دائماً عند استعمال الالفاظ المشتركة لامكان الاتكال على القرائن الواضحة وهي كثيرة

---

(١) الكفاية للخراساني ج ١ ص ١٩

القول بالامكان والوقوع :

والذي عليه أكثر العلماء واللغويين هو القول بامكانه ووقوعه ودليلهم على الامكان فقدان الموانع العقلية ـ وقد سبق عرضها والاجابة عليها ـ وعلى الوقوع تبادر المعاني المشتركة من الالفاظ الدالة عليها، وعدم صحة سلبها عنها

وكتب اللغة مليئة بهذه الالفاظ بل ما من مادة من المواد إلا ويذكرون لها عدة معاني على سبيل الاشتراك اللفظي، وكل شبهة تثار على خلاف هذا المبنى ينقضها الواقع الذي نلمسه في جميع اللغات، فهي أقرب إلى الشبهة في مقابل البديهة .

الاشتراك والقرآن الكريم :

وإذا أمكن الاشتراك وثبت وقوعه فليس هناك ما يمنع من وقوعه في القرآن الكريم.

ووجهة نظر المانعين اعتقادهم بمنافاته لطبيعة الاعجاز فيه وقد لخص الآمدي رأيهم في ذلك، ودفعه حيث قال : « وما يقوله المانع لذلك من أن المشترك إن كان المقصود منه الافهام فان وجد معه البيان فهو تطويل من غير فائدة وإن لم يوجد فقد فات المقصود وإن لم يكن المقصود منه الافهام فهو عبث، وهو قبيح فوجب صيانة كلام الله عنه ـ فهو مبني على الحسن والقبح الذاتي العقلي وسيأتي إبطاله [1] » وكأنه سلم للمستدل إمكان وقوع التطويل من غير فائدة أو العبث في كلامه تعالى إلا أنه نفى نسبة القبح اليه لاعتقاده بعدم وجود ما يسمى بالحسن والقبح الذاتيين، ثم حاول بعد ذلك أن يلتمس فوائد لاستعمال المشترك في القرآن وهي محاولة غير مجدية ما دام التطويل وصدور العبث منه تعالى لا يشكلان أي محذور عقلي

والتحقيق ان يقال : إن ذكر القرينة المعينة في باب الاشتراك لا يدعو إلى التطويل

---

(١) احكام الاحكام للآمدي ص ١٢ ج ١

المنافي للاعجاز لجواز انطوائها على فائدة أخرى يراد إيصالها إلى السامع ، كما أن الاجمال قد يكون مقصوداً للمتكلم لفوائد تترتب عليه ، وصريح القرآن الكريم « منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات [1] »

نعم الاجمال أو التطويل إذا كان منشؤهما العجز عن البيان لحصر أو ضيق اداء كان ذلك منافياً للاعجاز لا وجود المشترك فيه ، وقد مثلوا لوقوع الاشتراك فيه بآية « والليل إذا عسعس [2] » أي أقبل أو أدبر ، وآية « وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن [3] » لاشتراك الرغبة بين الميل إلى الشيء ، والميل عنه

وآية « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء [4] » لاشتراك القرء بين الحيض ، والطهر وهكذا

امكان الترادف ووقوعه :

وكما وقع الاختلاف في امكان الاشتراك ، وامتناعه بين الاعلام وقع نظيره في الترادف ، وأكثر العلماء على امكانه ووقوعه

وعمدة ما استدل به القائلون بالامتناع لزوم العبث في جعل الأسماء المتعددة للمسمى الواحد وهو لا يمكن أن يصدر من حكيم إذ « يلزم من اتحاد المسمى تعطيل فائدة أحد اللفظين لحصولها باللفظ الآخر [5] »

وأجيب على ذلك بتعدد الفوائد المترتبة على وجود الترادف ، منها لزوم « التوسعة في اللغة ، وتكثير الطرق المفيدة للمطلوب فيكون أقرب إلى الوصول اليه حيث أنه لا يلزم من تعذر حصول أحد الطريقين تعذر الآخر بخلاف ما إذا اتحد الطريق »

---

(١) آل عمران/٧ (٢) التكوير/١٧ (٣) النساء/١٢٦

(٤) البقرة/٢٢٨ . (٥) أحكام الاحكام للآمدي ص ١٢ ج ١

« وقد يتعلق به فوائد أخرى في النظم والنثر بمساعدة أحد اللفظين في الحرف الروي ، ووزن البيت ، والجناس ، والمطابقة ، والخفة في النطق به إلى غير ذلك من المقاصد المطلوبة لأرباب الأدب وأهل الفصاحة [1] »

مناشيء الخلاف فيهما

والذي يبدو لي أن جل مناشيء الخلاف في كل من الاشتراك والترادف قائمة على أساس قسم من النظريات التقليدية في نشأة اللغات ، وتطورها

فقد كان يظن بعضهم أن السر في نشأتها هو الترابط الذاتي بين الألفاظ ومعانيها بينما يرى البعض الآخر أن السر هو في جعل الترابط من قبل واضع مخصوص .

ثم تساءلوا بعد ذلك عن الواضع من هو ؟ فقيل : انه شخص معين في كل لغة كيعرب بن قحطان عند العرب ، وقيل انه هو الله عز وجل ، وقد قرب الأستاذ النائيني المعنى الأخير بعد أن ناقش الآراء المعاكسة له يقول : « إنا نقطع بحسب التواريخ التي بأيدينا أنه ليس هناك شخص أو جماعة وضعوا الألفاظ المتكثرة في لغة واحدة لمعانيها التي تدل عليها فضلاً عن سائر اللغات كما انا نرى وجدانا عدم الدلالة الذاتية بحيث يفهم كل شخص من كل لفظ معناه المختص به ، بل الله تبارك وتعالى هو الواضع الحكيم جعل لكل معنى لفظاً مخصوصاً باعتبار مناسبة بينهما مجهولة عندنا »

« وجعله — تبارك وتعالى — هذا واسطة بين جعل الأحكام الشرعية المحتاج إيصالها إلى إرسال رسل ، وانزال كتب ، وجعل الأمور التكوينية التي جبل الانسان على ادراكها كحدوث العطش عند احتياج المعدة إلى الماء ونحو ذلك » .

« فالوضع جعل متوسط بينهما لا تكويني محض حتى لا يحتاج إلى أمر آخر ولا تشريعي

---

(١) المصدر السابق ص ١٣ .

صرف حتى يحتاج إلى تبليغ نبي أو وصي بل يلهم الله تبارك وتعالى عباده على اختلافهم كل طائفة بالتكلم بلفظ مخصوص عند ارادة معنى خاص [1] »

فاذا قلنا بالدلالة الذاتية للألفاظ على معانيها أو قلنا بالواضع الواحد سواء كان بشراً معيناً أم كان هو الله عز وجل جاءت كل تلك التساؤلات وغيرها عن إمكان الربط الذاتي بين لفظ واحد ومعنيين أو بالعكس كما يقع التساؤل عن الأهداف العقلائية من وراء جعل الألفاظ المتعددة للمعنى الواحد أو جعل اللفظ الواحد بازاء المعاني المتعددة لأن العاقل لا بد وأن يكون هادفاً في جملة تصرفاته ، وأعماله الارادية وإلا لما كان عاقلاً

ولكن النظرية الحديثة في علم الاجتماع عن نشأة اللغات ، وتطورها تأبى كل هذه الفروض وتعتبر اللغة من الظواهر التي تقتضيها طبيعة الاجتماع ، ولا يسئل عنها مرجع واحد .

وربما أراد الأستاذ النائيني أن يشير إلى نفس هذه النظرية واداه بالأداء الذي يتسع له عصره عندما اعتبرها من الأمور التي يلهم بها البشر عادة وربطها بالله عز وجل كربط أي تصرف تقتضيه طبيعة الانسان المزودة بامكانات بقائه واستمراره لا أنه يريد — كما توهم ذلك من كلامه — ان الله عز وجل يضع خصوصيات الألفاظ لمعانيها ، ويلهم عباده بما يضع من تلك الألفاظ .

فاللغة ظاهرة اجتماعية ولدها حاجتهم إلى التفاهم ، وهي — كأية ظاهرة — تولد صغيرة تبعاً لحاجات مجتمعها ، ثم تنمو وتتطور بنمو الحاجات وتطورها .

ولعل من أهم أسباب نموها وتطورها كثرة الهجرة من المجتمع الواحد واليه للعوامل الداعية إليها .

وبالطبع أن الفئات المهاجرة إنما تهاجر بحاجاتها ولغاتها التي تعبر عنها ومن تنوع

---

(١) أجود التقريرات للخوئي ج/١ ص ١١ وما بعدها

الحاجات وتكثرها تتنوع الألفاظ وتتكثر ثم تتفاعل مع لغة المجتمع الذي هاجرت اليه وهكذا

وحيث أن وضع الألفاظ لمعانيها لا يقع عن تشاور بين المجتمعات لغرض التوزيع والتنسيق فان الاشتراك والترادف لا بد وان يقعا عادة لأن اللفظة قد توضع لدى مجتمع لمعنى ولدى آخر لمعنى آخر فينشأ الاشتراك بين المعنيين

وقد توضع الألفاظ المتعددة لدى المجتمعات المختلفة لمعنى واحد فينشأ الترادف بينها

ويأتي بعد ذلك أرباب المعاجم فيتتبعون هذه المجتمعات ذات اللغة الواحدة لتسجيل ما يعثرون عليه من المواد اللغوية ، وتنسيقها فيجدون فيها هذه الألفاظ مشتركة أو مترادفة .

وبهذا ندرك أنه لا موضع لكل تلكم التساؤلات عن الأهداف العقلائية لجعل الترادف ، والاشتراك ما دمنا ندرك أن الوضع أقرب إلى العمليات التلقائية التي تقتضيها طبيعة المجتمعات ولا يسأل عنها فرد واحد لأن أوضاعها أقرب إلى الأوضاع التعينية في الغالب منها إلى الأوضاع التعيينية بالاضافة إلى تباعد المجتمعات وعدم إمكان تنسيق لغاتها عند الوضع لو كان هناك واضع واحد

نعم يمكن توجيه أمثال تلكم التساؤلات للمجامع اللغوية اليوم لو وقعت ـ في ما يجّد لديها من أوضاع ـ في الترادف والاشتراك مع قدرتها على التشاور ، وتنسيق الأعمال فيما بينها .

معاجم اللغة ودعاوى الاشتراك والترادف :

والذي يؤخذ على معاجمنا اللغوية انها توسعت في دعاوى الترادف والاشتراك اللفظي مع ان واقع الكثير من المواد التي نجدها عندهم لا تمت اليها بصلة ، وما يقال عن المعاجم اللغوية يقال عن كثير من الباحثين، ففيما يتصل بالاشتراك نرى أن الكثير من المواد التي ادعي لها الاشتراك

اللفظي لا يمكن ان ينطبق عليها هذا المفهوم[1] ، وحالها يختلف ، فبعضها يعود الى الاشتراك المعنوي لالتقائهـــا جميعاً في معنى واحـــد وكمثل على ذلك لفظـــة النكاح « فانه في لغة العرب الضم فاللفظان ضما الى بعضها نكاح وهذا هو العقد والجسمان ضما الى بعضها نكاح ولـكن اللفظ اشهر اطلاقه على العقد فظن الشافعية انه حقيقة فيه ، والجسماني منه الاطلاق عليه اوضح فظنه الحنفية حقيقة فيه والحقيقة انه مشترك معنوي فيما يجمع الامرين ولـكن كثر اطلاقه في لسان الشرع على العقد حتى انه لم يرد في القرآن مراداً به غيره إلا على ضرب من التعسف[2] » بينما نرى بعض الباحثين يعدونها من قبيل الاشتراك اللفظي بينها وقسم منها يعود الى المنقول او المرتجل وادراك هـــذا الامر موقوف على القيام بدراسات تعنى بوضع تاريخ للـكلمة عبر المراحل الزمنية والتماس مداليلها في كل مرحلة ليتميز المنقول منها او المرتجل عن غيره وهذا النوع من الدراسات هو ما تفقده معاجمنا اللغوية بل لم يؤلف حتى الآن معجم ـ فيحدود ما اعلم ـ منصبة عنايته على هذه الناحية

مع ان حاجتنا الى هذا النوع من المعاجم امس بكثير من الحاجة الى غيرها لدخولها في اكثر من مجال من مجالاتنا العلمية والادبية

وكمثل على ذلك الـكلمات الواردة في الاحاديث النبوية لو قدر لها ان تؤرخ مداليلها حسب العصور لبدلت في الـكثير من الفتاوى الفقهية ولفتحت امام المجتهدين ابواباً واسعة اذ لا يكفي في اصابة الحـكم اعمال تبادراتنا الخاصة لاحتمال تأطرها باطر زمانية ومكانية ولدت لها النقل او الارتجال في الوضع ، وأصالة عدم النقل لا تكشف عن وحدة المعنى المتبادر في زماننا وزمان صدورها مثلا وان لجيء اليها العلماء كوظيفة لتحديد المسئولية لبداهة ان هذا الاصل ليس من الطرق الـكاشفة عن واقعه ولو افترضنا له هذه الصفة فهو لا يزيد في كشفه على الاراءة الناقصة التيلاتوجب الاطمئنان فضلا عن القطع

---

(١) راجع ما كتبه ابن الأنباري في كتابه (الأضداد) وأبو الطيب الحلبي في كتابه (الأضداد في كلام العرب) وغيرها

(٢) اصول الفقه للخضري ص ١٥٨

صحيح ان لدينا معاجم تعنى بشرح الحديث وتفسيره كالنهاية لابن الاثير ومجمع البحرين للطريحي الا انهما كسائر المعاجم لا يعنيان بالجانب التأريخي للمواد التي توفرت على بحثها وتفسيرها وما يدرينا ان لنقل الرواة لها بالمعنى اثرا في التبدل النسبي لمفاهيمها فالالفاظ التي يحسبها الراوي مرادفة في معناها لالفاظ الحديث قد لا تكون ـ بحكم النقل مثلا ـ مرادفة لها في زمنه اولا تكون مرادفة لها في زمن تدوين المعاجم اللغوية .

وما يقال عن الفقه يقال عن الادب اذا اريد وضع تأريخ له يتمشى مع العصور ، بل لا يمكن وضع تأريخ له اذا لم يعتمد مثل هــذه الدراسة لنشأة الكلمات ، وتطورها عبر الازمان .

وعسى ان يقوم (مجمعنا) الموقر بوضع العدة الكافية للنهوض بهذا العمل الجبار فيضع لنا معجما واسعاً يعنى بدراسة تأريخية لمختلف الكلمات اللغوية ، والزمن كفيل بتحقيقه انشاء الله

وهناك قســم ثالث يوجب توهم الاشتراك اللفظي بين الالفاظ وكثيراً ما يقع به اللغويون وهو المجاز المشهور لاستغنائه عن القرينة واغفالها في لسان من دونت عنهم اللغات مما يظن انه من الاشتراك وهو اجنبي عنه

وما يقال عن توسع اللغويين في دعاوى الاشتراك اللفظي يقال عن توسعهم في دعاوى الترادف حتى احصيت عشرات الاسماء لمسمى واحد والكثير من هذه الدعاوى لو سلطت عليها الاضواء لوجدت غير تامة للتباين بين مداليل هذه الالفاظ

ومنشأ الخلط غالباً هو اشتباه ما وضع لاسم الذات بما وضع لها باعتبار تلبسها ببعض الصفات يقول الامدي : « وقــد ظن باسماء انها مترادفة ، وهي متباينة ، وذلك عندما اذا كانت الاسماء لموضوع واحد باعتبار صفاته المختلفة كالسيف ، والصارم ، والهندي ،

او باعتبار صفته ، وصفة صفته كالناطق ، والفصيح ، وليس كذلك [1] »

استعمال المشترك في اكثر من معنى :

ومما فرعوه على حديث الاشتراك هو جواز استعمال اللفظ المشترك في اكثر من معنى وعدمه وهي مسألة لغوية دقيقة يتوقف على كلمة الفصل فيها فهم كثير من النصوص وقد وسع بعض الاعلام في العنوان الى جميع الالفاظ التي تتسع لاكثر من معنى سواء كانت مشتركة ام منقولة ام مرتجلة ام مستعملة على نحو الحقيقة والمجاز لوحدة الملاك في الجميع

ولتشخيص موضع النزاع لا بد من عرض مختلف الصور المتصورة لهذا النوع من الاستعمال وقد حصرها صاحب الفصول في اربعة نعرضها ملخصة :

احدها : ان يستعمل في معنى يتناول جميع معانيه ، أو جملة منها كمفهوم المسمى وهو الذي يسمونه بعموم الاشتراك وفي رأيه ان هـذه الصورة مما لا نزاع بينهم في الجملة في جوازها الا أن الحال فيها يختلف من حيث كون الاستعمال على نحو الحقيقة او المجاز .

والمدار في كون الاستعمال فيه حقيقياً ان يكون هذا المعنى الجامع احد المعاني التي وضع بازائها اللفظ المشترك والا كان الاستعمال مجازياً يحتاج الى علاقة وقرينة

الثاني : « ان يستعمل ويراد به كل واحد من معانيه على وجـه الترديد والبدلية كالنكرة سواء جعل الترديد شطراً من المعنى او شرطاً له »

ومن رأيه انهذا النوع من الاستعمال لا يسوغ على اي حال سواء قصد منه الحقيقة ام المجاز وهو بذلك يخالف السكاكي الذي اجازه على نحو الحقيقة كما يبدو من ظاهر كلامه وانما لم يسوغه اعتقاداً منه ان الحاقه بالنكرة « قياس مع الفارق لتحقق قدر مشترك

---

(١) إحكام الاحكام للآمدي ج ١ ص ١٣ .

فيها يصح اخــذ التقييد بالخصوصيات على وجه الترديد بالقياس اليه بخلاف المشترك اذ لايصح اعتبار الترديد فيه ما لم يضمن او يقدر معنى ازيد وهو متضح الفساد » فاستعماله على نحو الحقيقة لا يجوز لاعتبار الترديد فيه وهو ما لم يوضع له في المشترك وكذلك استعماله مجازاً لعدم العلاقة المصححة لمثل هذا الاستعمال

وقد نزل كلام السكاكي بعد ذلك على ارادة المعنى الاول اي مفهوم احد المعاني

الثالث : « ان يستعمل ويراد به مجموع معنييه او معانيه من حيث المجموع سواء تعلق الحكم به ايضاً من حيث المجموع او تعلق به من حيث الاحاد بأن كان كل واحد منها مناطاً للحكم ومتعلقاً للنفي والاثبات »

والفارق بين هذا الوجه والوجه الاول « ان شمول المعنى المستعمل فيه لمعانيه على الاول من قبيل شمول الكلي لافراده وعلى هذا من قبيل شمول الكل لاجزائه »

وهذا القسم في رأيه كالوجه الاول « مما لا نزاع في جوازه في الجملة فمع ثبوت الوضع يكون حقيقة ومع انتفائه يتبع العلقة فيجوز معها مجازاً » .

ومن رأي استاذنا الحكيم ان هذا القسم داخل في محل النزاع « اذ الظاهر من بعض ادلة المجوزين والمفصلين دخوله في محل النزاع [1] »

كما ان الاستاذ الخضري ركز محل النزاع عليه حيث قال : « المراد بعموم المشترك ان يطلق ويراد منه جميع معانيه وهذا منعه جمهور الاصوليين واجازه فريق منهم واختار آخرون جوازه في النفي دون الاثبات ، وآخرون جوازه فيما عدا المفرد [2] » وان كان في ارجاعه الى عموم المشترك خلط بين المعنى الاول والثالث لان معنى العموم استعماله في معنى واحد ينطبق على كل منها انطباق الكلى على مصاديقه لا أستعماله في جميعها وهذا انما

---

(١) حقائق الاصول للسيد محسن الحكيم ج ١ ص ٨٩ (٢) اصول الفقه للخضري ص ١٦١

يتم اذا افترضنا له ارادة المجموع من لفظة الجميع والا رجع الى القسم الرابع مع وقوعه في الخلط بينه وبين القسم الاول .

الرابع : « ان يستعمل في كل واحد من المعنيين او المعاني على ان يكون كل واحد مرادا بانفراده كما أذا كرر اللفظ واريد منه ذلك [1] »

وهـذا القسم هو الذي وقع موقع الاخذ والرد بين الاعلام وربما انصرف كلام الكثير منهم اليه دون غيره من الاقسام للمفروغية ـ كما يقول صاحب الفصول ـ عن الاقسام السابقة نفياً او اثباتاً

وقد ذكرت فيه تفصيلات عدة لخصها صاحب القوانين المحكمة بقوله : « قيل فيه : اقوال ثالثها الجواز في التثنية والجمع دون المفرد ورابعها في النفي دون الاثبات [2] »

ومقتضى هذا التلخيص ان الاقوال في هذه المسألة اربعة :

١ — قول بالجواز مطلقاً

٢ — قول بالمنع مطلقاً

٣ — قول بالتفصيل بين المفرد وغيره

٤ — قول بالتفصيل بين النفي والاثبات

وقال بعـد ذلك : « ثم اختلف المجوزون على اقوال ثالثها كونه مجازاً في المفرد وحقيقة في التثنية والجمع [2] » اي ان اقوال المجوزين ثلاثة :

١ — قول بكون الاستعمال فيهما جاريا على نحو الحقيقة

٢ — قول بكونه جاريا فيهما على نحو المجاز

٣ — قول بالتفصيل بينهما

---

(١) راجع الفصول فيما حكيناه عنه فصل الاشتراك ط ايران (غير مرقمة)

(٢) القوانين المحكمة للمحقق القمي ص ٦٧ ج ١ .

وربما كان منشأ الخلاف فيها بين المجوزين والمانعين هو اختلافهم في حقيقة الوضع لابتناء الفصل فيها على اختيار وتركيز احد التحديدات التي قيلت فيه لتفرع الاستعمال عليه عادة

حقيقة الوضع :

اختلفوا في تحديد الوضع وبيان ماهيته على اقوال ربما عادت في اصولها الى اربعة :

١ — اعتباره من قبيل الربط الخاص المجعول « بين طبيعي اللفظ والمعنى الموضوع له بحيث يكون طبيعي اللفظ الموضوع مستعدا لاحضار ذلك المعنى في ذهن من يسمع ذلك اللفظ او يتصوره [١] »

٢ — اعتباره من قبيل الايجاد اي « ايجاد المعنى في الخارج باللفظ المستعمل فيه ايجادا تنزيليا »

«فيكون وجود اللفظخارجاً وجودا طبيعياً لماهية اللفظووجوداً تنزيلياً للمعنى [٢]»

٣ — اعتباره من قبيل العلامة اي « جعل اللفظ علامة على ارادة المعنى [٣] » مشيرة له اشارة اللافتة الموضوعة في طريق ما الى الطريق

٤ — اعتباره من قبيل « التعهد والالتزام بأنه متى ما اراد المتكلم تفهيم معنى يجعل مبرزه لفظاً مخصوصاً [٤] »

فالقائلون بالمعنيين الاولين يذهبون إلى الامتناع لايمانهم ان طبيعة الترابط بين اللفظ والمعنى على نحو ما ورد فيالتعريف الاول والوجود التنزيلي كما في التعريف الثاني يستدعيان

---

(١) الاملي في بدايع الافكار ج ١ ص ٢٩
(٢) المصدر السابق ص ٢٩
(٣) الكفاية للخراساني
(٤) اجود التقريرات للخوئي ج ١ ص ٥٢ (هامش) .

ان يكون اللفظ ـ عند الاستعمال في الموضوع له ـ ملحوظاً فانياً في المعنى والة له والملحوظ على نحو الاستقلال هو المعنى ، واستعمال المشترك في اكثر من معنى على النحو الذي وقع موقع الخلاف هو استعماله في كل من المعاني على نحو الاستقلال كما لو كان مدلولا للفظ وحده بمعنى ان اللفظ يكون دالا عليه بالدلالة المطابقية لا التضمنية ، وهذا النوع من الاستعمال يقتضي تصور كل واحد من المعاني على نحو الاستقلال فيلزم اجتماع لحاظات متعددة مستقلة في افق النفس ، واجتماع اللحاظات المتعددة في آن واحد مستحيل كما انه يستدعي ان يلحظ اللفظ الواحد بلحاظات آلية متعددة تبعاً لتعدد المعنى وهو مستحيل للزوم اجتماع المثلين أو الامثال في شيء واحد واجيب عن الاشكال الاول بأن افق النفس واسع يتسع لأكثر من لحاظ بدليل أن الحكم في الجمل مثلا يستدعي تصور كل من المحكوم والمحكوم عليه ولحاظها على نحو الاستقلال ، ثم الحكم عليهما ، واجتماع اللحاظين في آن واحد بديهي فيهما فلا محذور لدى العقل نعم اجتماع اللحاظين على ملحوظ واحد لا مدفع لاشكاله إلا على مبنى من يذهب إلى العلامية أو التعهد والالتزام إذ لا مانع لديهم من أن يجعل الشيء علامة على عدة أشياء في آن واحد لان اللفظ لا يزيد على كونه أمارة على المعنى عند الاستعمال في مبنى من يقول بالتعهد[1] أو العلامية وربما شبه في ألسنتهم بالعموم الاستغراقي « بتقريب أنه لا ريب في أن حكم العام يتعلق بكل واحد من افراده وذلك يستلزم أن يكون كل فرد من الافراد ملحوظاً بلحاظ يخصه فاذا صح تعلق الحكم الواحد بامور متعددة ملحوظ كل واحد منها بلحاظ خاص به في اطلاق واحد وآن واحد فيصح استعمال اللفظ الواحد في المعاني المتعددة الملحوظ كل منها بلحاظ خاص به[2] »

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢

(٢) بدايع الافكار للابلي ج ١ س ١٥١

وقد دفع الاملي هذا الاشكال بقوله : « إن الافراد في العام الاستغراقي لا تكون ملحوظة إلا بعنوان عام وحداني هو الذي يستعمل فيه اللفظ ويشار به إلى تلك الافراد ولا يكون كل من تلك الافراد ملحوظاً بلحاظ خاص به ولا جميع الافراد ملحوظة بلحاظ واحد على سبيل الجمع في اللحاظ وعليه يكون النقض بالعام الاستغراقي اجنبياً عن المقام [1] »

واعتقادي ـ شخصياً ـ ان شبهة كون اللفظ علامة على المعنى اما لوضعه على هذا النحو أو لأن التعهد ينتجه عند الاستعمال ـ لا يدفع محذور تعدد اللحاظ على الملحوظ الواحد لان جعل شيء علامة على شيء يستدعي لحاظ كل منهما بالوجدان عند الاستعمال ولازمه اجتماع اللحاظات المتعددة على الملحوظ الواحد ـ اعني اللفظ ـ في آن واحد وهذا ما اعترف الجميع باستحالته .

فالقول ـ بامتناع استعمال اللفظ في اكثر من معنى على نحو يكون كل منها ملحوظاً كما لو استعمل فيه اللفظ وحده أي يكون كل منها مدلولا للفظ بالدلالة المطابقية وهي دلالة اللفظ على تمام معناه ـ لا يخلو من اصالة وعمق .

أما الاستعمال في مجموع المعاني مع الغاء جانب الاستقلالية فيها واعتبار كل منها مدلولا للفظ بالدلالة التضمنية أي دلالة اللفظ على جزء معناه فلا محذور فيه ، اقصاه ان هذا النوع من الاستعمال لا يكون على نحو الحقيقة ، بل المجاز ويكون من قبيل استعمال ما وضع للجزء في الكل أي المجاز المرسل الذي يكون متوفراً على ما يسمونه بعلاقة الجزء والكل المصححة لهذا النوع من الاستعمال وكذلك لا محذور في استعماله في الجامع بينها على نحو المجاز مع وجود القرينة على ذلك .

---

(١) نفس المصدر

ومع التنزل عن القول بالامتناع والأخذ بوجهة نظر من يذهب إلى العلامية أو التعهد في تعريف الوضع فان الذي يقتضيه ظاهر الاستعمال هو الوحدة لا التعدد

يقول استاذنا الخوئي (وهو من القائلين بالامكان) : « نعم ان الاستعمال في اكثر من معنى خلاف الظهور العرفي فلا يحمل اللفظ عليه إلا مع القرينة [١] »

وإذا تم ما قلناه من استحالة هذا النوع من الاستعمال فان الاستحالة لا تختص بالمشترك بل تعم مطلق استعمالات اللفظ في اكثر من معنى لوحدة الملاك فيها فلا فرق فيما ذكرنا ـ كما يقول شيخنا النائيني ـ « بين الاستعمال في المعنيين الحقيقيين أو المجازيين أو معنى مجازي وحقيقي ولا بين المفرد وغيره ولا بين النفي والاثبات لأن الملاك في المنع هو لزوم المحال وهو في الجميع موجود [٢] »

واقصى ما اثير من الشبه في التفرقة بين المفرد وغيره هو ما ورد في كتاب (المعالم) حيث ذهب إلى استعماله حقيقة في التثنية والجمع بلحاظ « انها في قوة تكرير المفرد بالعطف والظاهر اعتبار الاتفاق في اللفظ دون المعنى في المفردات ألا ترى أنه يقال زيدان وزيدون وما اشبه هذا مع كون المعنى في الاحاد مختلفاً وتأويل بعضهم بالمسمى تعسف بعيد »

« وحينئذ فكما يجوز ارادة المعاني المتعددة من الالفاظ المفردة المتحدة المتعاطفةعلى أن يكون كل واحد منها مستعملا في معنى بطريق الحقيقة ، فكذا ما هو في قوته [٣] ».

وأفضل ما قيل في جوابه ان للتثنية والجمع وضعين احدهما يتعلق بالمادة والآخر بالهيئة فوضع الهيئة فيها ـ وهي المستفادة من ضميمة الالف والنون أو الواو والنون إلى

(١) اجود التقريرات ج ١ ص ٥٢ (هامش)

(٢) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٣) معالم الدين بحث المشترك ، ط ايران غير مرقمة

المفرد - لا يتعلق بغير افادة التعدد مما أريد من المفرد الذي دخلا عليه فاذا استحال استعمال المفرد في أكثر من معنى أستحال في التثنية والجمع لانهما لا يزيدان في الدلالة على أكثر من ارادة فردين مما دخلا عليه فكلمة (عينين) مثلا لا يمكن ان يراد منها (عين نابعة) و (عين باصرة) بل فردان من الباصرة إذا أريد من المفرد ذلك وكذا اذا أريد من المفرد النابعة مثلا

ودعوى التعسف التي ادعاها صاحب المعالم في التأويل بالمسمى عند تثنية الاعلام أو جمعها لا يعرف لها وجـه بعد ما ثبت بالتبادر من وضع الهيئات في التثنية والجمع ارادة التعدد من مدخولها ومع امتناع التعدد في العلم الشخصي لا بد من التأويل

وما يقال عن التثنية يقال عن النفي والاثبات إذ غاية ما قربت به وجهة نظر المفصلين بين الاثبات والنفي ان جواز الاستعمال في أكثر من معنى في النفي بخصوصه إنما يستفاد من تسليط النفي على اللفظة المشتركة بكل ما وضعت له مما يؤدي إلى عموم السلب عن الجميع ، ولـكن هـذه الاستفادة لا تتفق مع واقع ما يسلط عليه النفي لأن النفي إنما يسلط على ما يراد من اللفظ فاذا افترضنا استحالة ارادة أكثر من معنى واحد في استعمال واحد فلا بد أن يكون مسلطاً عليه بالخصوص فلا يدل على نفي الجميع

وإذا اتضح هذا كان علينا أن نقف في تفسير النصوص التي تتسع دلالتها اللغوية أو غيرها إلى أكثر من معنى عند معنى واحد ولا يتمحل في تحميلها أكثر مما تطيق ما دام الواقع لايتحمل غيرمعنىواحد وتشخيصه من بين المعاني التي يحتمل ارادتها إنما يكون من طريق القرائن والملابسات الخاصة ، ولـكن هذا لا يمنع من عرض مختلف المعاني المحتملة تمهيداً لاختيار أكثرها دلالة على المراد

فما ذكره بعض الاعلام من الباحثين المحدثين من ضرورة تقيد الشارح والمفسر للنصوص الأدبية باجلى المعاني وأكثرها ظهوراً لا أعرف له وجهاً ، على أن فهمى للنص

مثلا وتشخيص دلالته بين المعاني المحتملة لا يعني اصابتي لواقعه فقد يكون الواقع المراد هو أحد تلكم المعاني الأخر فوضعها أمام مختلف القراء ـ على اختلاف مستوياتهم البلاغية وفسح المجال أمامهم لاختيار أكثرها دلالة ـ أجدى من قسرهم على فهم واقع النص من خلال الكوة التي يطل منها المفسر عليه

بطون القرآن والاستعمال في اكثر من معنى :

ذكروا جملة أحاديث تؤدي إلى أن للقرآن ظاهراً وباطناً « فعن الحسن مما أرسله عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أنزل الله آية إلا ولها ظهر وبطن ـ بمعنى ظاهر وباطن ـ وكل حرف حد وكل حد مطلع [1] » وفي رواية المصابيح عن ابن مسعود « أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع [2] »

وقد بلغت بعض الروايات في البطون إلى سبعة وبعضها إلى سبعين [3]

وحاول بعضهم الربط بين هذه الروايات وجواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى باعتبار أن هذه البطون كلها معاني للقرآن ومدلولة لالفاظه بالدلالة المطابقية

مع أن لفظ البطن لا يستلزم ذلك لجواز أن تكون هذه البطون من قبيل لوازم المعنى المستعمل فيه اللفظ وان كانت أفهامنا ـ كما يقول الخراساني في الكفاية قاصرة عن ادراكها [3]، ويؤيده ما ورد في بعض الروايات من « أن الكتاب في ظاهره قصة وفي باطنه عظة » أي أنه ليس بكتاب تأريخ تساق آياته التي تعرضت لاحداث سابقة لغرض تسجيلها وبيان واقعها وإنما يراد من سوقها التماس العبر والعظات منها والاستفادة من تجاربها وهي لوازم لها ، وهناك تفسيرات أخر لا جدوى من عرضها فعلا ، تراجع في الموافقات

---

(١) الشاطبي في الموافقات ج ٣ ص ٣٨٢

(٢) الشيخ عبد الله دراز هامش الموافقات من نفس الصفحة

(٣) الكفاية ص ١٩ ج ١

للشاطبي والكفاية للخراساني [1] والهداية للكاظمي [2] وغيرها لعدم اتصالها بطبيعة بحثنا هذا

استعمال المترادفين كل في موضع الآخر :

وكما اختلفوا في جواز استعمال المشترك في أكثر من معنى اختلفوا في جواز استعمال كل من المترادفين في موضع الآخر والأقوال في المسألة أربعة :

١ – قول بالمنع مطلقاً
٢ – قول بالجواز مطلقاً
٣ – قول بالتفصيل بين وجود المانع الشرعي وعدمه
٤ – قول بالتفصيل بين اتحاد اللغة وعدمه

ادلة الأقوال :

يقول المانعون : « لو صح وقوع كل بدل الآخر لصح أن يقال بدل (الله اكبر) في افتتاح الصلاة (خداى اكبر) [3] » .

« والجواب من قبل الحنفية القول بالموجب حيث هم يصححون ذلك واما من قبل غيرهم فيجيبون أن ذلك إنما هو للمانع الشرعي وهو التعبد باللفظ المتوارث وقد قيدنا الجواز في الأصل بعدم المانع الشرعي [4] »

· أما المجوزون بشرط اتحاد اللغة فوجهة نظرهم قائمة على (ان اختلاط اللغتين مانع من التركيب [5] » يقول الخضري « وهذه مقدمة لا دليل عليها إلا أن السلف لم يفعلوا وكفى بهذا في نظرنا دليلا [6] »

---

(١) الكفاية ص ١٩ ج ١
(٢) الكفاية ص ٧٩ وما بعدها (هامش)
(٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) اصول الفقه للخضري ص ١٥٧ .

ومن هـــذا العرض تعرف مختلف وجهات النظر مع الاشارة إلى ادلتها والحقيقة أن الفصل في هذه المسألة إنما يبتني على نتيجة ما انتهى اليه الأصوليون في مسألة جواز النقل بالمعنى وعدمه لأنها من صغريات تلك الكبرى الكلية .

والذي يقتضي أن يقال هنا إن هذا النوع من الاستعمال يختلف حاله باختلاف طبيعة ما ينقل فان كان من الأمور التوقيفية التي قامت الأدلة الخاصة على لزوم التقيد فيها بنص خاص كما هو الشأن في النصوص القرآنية والأذكار المأثورة في الصلوات ومقدماتها لم يجز ابداله بمرادفه

وان لم يقم الدليل على ذلك جاز ابداله بالمرادف ولا محذور فيه نعم أن طبيعة الأمانة في النقل تقتضي الاشارة إلى أن المنقول إنما كان في المعنى وبخاصة في النصوص الأدبية التي يكون لجرس اللفظ فيها أثر في تقييم النص والحكم عليه

النجف الأشرف — كلية الفقه

محمد تقي الحكيم
عضو المجمع العلمي العراقي

دار الخلافة العباسية

« تعيين موضعها وأشهر مبانيها »

الدكتور مصطفى جواد

يراد بدار الخلافة العباسية منذ أواخر القرن الثالث للهجرة البقعة الشرقية من بغداد التي كانت فيها قصور الخلفاء العباسيين ودورهم ومجالسهم ودواوين دولتهم ومخازنها ، وبساتينهم وحدائقهم ، ودور رجال دولتهم المقربين ومماليكهم الأدنين وكان فيها أبنية أخرى لمصالح أخر ومحلات لأرباب الجاه والثراء والتجار الأغنياء وأصحاب الأملاك ، فهي دار بالاسم ومدينة في الحقيقة قال هلال بن المحسن ابن الصابي :

« كان عضد الدولة البويهي عند قدومه إلى الحضرة في سنة أربع وستين وثلاثمائة ... أحب أن يشاهد دار الخلافة ويستقري أبنيها ومجالسها ودورها وصحونها ودواخلها وغوامضها ، فصار اليها وطافها موضعاً موضعاً ، وبين يديه مؤنس الحاجب ، يريه شيئاً شيئاً ، ويعرفه مكاناً مكاناً حتى انتهى إلى دار السر المرسومة بالحُرَم وقف مؤنس فقال له عضد الدولة : ارجع بنا عنه وتجاوَزَهُ ولم يدخله [1] قال : وكانت داراً عظيمة السعة وعلى أضعاف ما هي عليه الآن من هذه البقية الرائعة ودليل ذلك أنها كانت متصلة

(١) رسوم دار الخلافة ، تحقيق الباحث ميخائيل عواد « ص ٨٧ » .

بالحُسَيرو الثُريّا ، ومسافة ما بينهما اليوم بعيدة ، وإنما انفصلا عنها وطال مداها مهابها أتى عليه الحريق والهدم من الدور والمنازل والبنيان والعمران في الفتنة عند خلع المقتدر بالله ـ ص ـ وعوده والقبض على القاهر بالله ، وقتل المكنى أبا الهيجاء ابن حمدان وما بعدها من الفتن المترادفة بالأيدي المتخالفة فان ذلك اسهلك الشطر الأكبر منها ، ومن بعض أمورها أنه كان فيها مزارع وأكرة ـ يعني الزراع ـ وعوامل ـ يعني البهائم التي يستقى عليها ـ برسمها وأربعمائة حمام لمن تحويه من أهلها وحواشيها .. » [1]

وقال الخطيب البغدادي : « حدثني هلال بن المحسن قال حدثني أبو نصر خواشاذه خازن عضد الدولة بن بويه قال : طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين » [2]

وقال ابن جبير في وصف بغداد : « وأما الشرقية فهي اليوم دار الخلافة وكفاها بذلك شرفاً واحتفالاً ، ودور الخلافة مع آخرها ، وهي تقع منها في نحو الربع أو أزيد ، لأن جميع العباسيين في تلك الديار ، معتقلين [3] اعتقالاً جميلاً ، لا يخرجون ولا يظهرون ، ولهم المرتّبات القائمة بهم ، وللخليفة من تلك الديار جزء كبير قد اتخذ فيها المناظر المشرفة والقصور الرائعة والبساتين الأنيقة » [4]

أستطيع أن آتي بنصوص أخرى في وصف دار الخلافة العباسية ولكن المهم هو تعيين موضعها من بغداد الحالية ، فأعسر الأمور في خطط بغداد هو معرفة أسمائها ومواضعها ومواقعها معاً ، لأن الأسماء تغيرت والأنهار اندفنت ، والمباني اندثرت ، والحدود زالت ، وصار الناس يحسبون أن الجانب الشرقي هو محلة الرصافة [5] ، وأن الجانب الغربي هو

---

(١) المرجع المذكور « ص ٧ » (٢) تاريخ بغداد « ١ : ١٠ »
(٣) رحلة ابن جبير(ص٢٢٦ـ٢٢٧) (٤) معتقلين حال من صاحب الخبر « في تلك الديار»
(٥) محلة الرصافة حافلة التاريخ من حيث حوادثها وخططها وسأفرد لها بحثاً مفصلا

الكرخ مع ان الرصافة كانت محلة عليها سور وكانت قرب قبر الامام ابي حنيفة ـ رضي ـ من جهة الجنوب ، وأنَّ الكرخ كان محلة مسورة بالجانب الغربي في موضع الشالجية وما يليه من الشرق ، ونجد جماعة من الناس يفتاتون على التحقيق العلمي فيسمون المواضع والمحلات والمشاهدوالمساجد كيفما شاؤوا ، من غير علم ولا تحقيق ، ويظنون أن قراءتهم للتواريخ وعنايتهم بها تبيحهم أن يتكلموا في علم الخطط فوزعوا الأسماء على حسب الأهواء لا على صحيح الأنباء وتحقيق الألباء

والبحث في خطط بغداد التطبيقي ينبغي أن يعتمد على ركائز قائمة ومنها تبدأ حركة التعيين ، فلها في الجانب الغربي قبر الأمام موسى بن جعفر ـ ع ـ وتربة الشيخ معروف الكرخي ـ رضي ـ ومشهد المنطقةالمسمى اليوم بجامع براثا ، ومسجد قرية وتربة الشيخ صندل المنسوبة إليه محلة الشيخ صندل ، وركائز البحث في الجانب الشرقي قبر الامامأبي حنيفة ـ رضي ـ وقبر أم رابعة شاه لبنىالأيوبية ، والمدرسة المستنصرية ، وجامعالخفافين المجاور لها من الجنوب ، وتربة الشيخ عبد القادر الجيلي المعروف بالكيلاني وجامع الخليفة المعروف بجامع سوق الغزل ، ومواضع وقطع من سور شرقي بغداد قلت بالهدم أخيراً ، فاذا قال لنا القائل كيف استدللتم على أن هذا الجانب الشرقي من بغداد العتيقة غير الرصافة ؟ قلنا : قال ياقوت الحموي في مادة الرصافة من معجم البلدان : « رصافة بغداد بالجانبالشرقي ، لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربي واستتم بناءها أمر ابنه المهديَ أن يعسكر في الجانب الشرقي وأن يبني له فيه دوراً ، وجعلها معسكراً له ، فالتحق بها الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور ، وعمل المهدي بها جامعاً أكبر من جامع المنصور وأحسن ، وخربت تلكالنواحي كلها ، ولم يبق إلا الجامع وبلصقه مقابر الخلفاء لبنيالعباس وعليهم وقوف ـ أي أوقاف ـ وفراشون برسم الخدمة ولو لا ذلك لخربت وبلصقها محلة أبي حنيفة الإمام وبها قبره ، وهناك محلة وسويق وتلاصقها دار الروم ، لم يبق شيء غير

هذا .. » فالموضع الملاصق محلة الإمام أبي حنيفة ـ رضي ـ لا يمكن أن يكون منها على مسافة أكثر من كيلو مترين كشرقي بغداد العتيقة الحاليّ ، إذن كيف تعيّن موضع دار الخلافة ولم يبق من بنيانهـــا شيء ولا من مرافقها أثر ؟ نعيها باتخاذ المدرسة المستنصرية ركيزة للتعيين ، قال ابن أبي الحديد عبد الحميد شارح نهج البلاغة في ذكر المستنصرية :

مخيمة على نهر المعـــلى فدجلة لا المنيفة فالضمار

فالمستنصرية مخيمة على نهر المعلى المستمد ماءه من نهر موسى ، المستمد ماءه من نهر بين ، المستمد ماءه من النهروان فوق الجسر أعني فوق بلدة جســـر بوران التي كانت على النهروان على مقربة مما يسمى بكاسل بوست الآن

وقال الخطيب البغدادي في وصف دار الخلافة راوياً عن غيره : « كانت دار الخلافة التي على شاطيء دجلة تحت نهر المعـــلى قديماً للحسن بن سهل وتسمى القصر الحسني » [1] . فالمستنصرية كانت توصف بأنها مخيمة على نهر المعلى ودار الخلافة كانت على شاطيء دجلة تحت نهر المعلى ، فهي تحت المستنصرية بالتحقيق ، فينبغي تحديد هذا « التحت » أقريب هو أم بعيد ؟ قال أبو الفداء في تاريخه في الكلام على سيرة الخليفة المستنصر بالله : « وهو الذي بنى المدرسة ببغداد المسماة بالمستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة » [2] وهـذا قول جمال الدين محمد بن واصل الحموي المؤرخ الفيلسوف في كتابه « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » وقد طبع منه ثلاثة أجزاء ولم يصل الطبع إلى هذا القول ، قال في سيرة المستنصر « وعمرت البـلاد في أيام المستنصر بالله رحمه الله عمارة عظيمة ، وأثر فيها الآثار الجميلة من ذلك أنه بنى على شط دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة مدرسة سميت بالمستنصربـة لم يبن على وجه الأرض مدرسة أحسن منها ولا أكثر وقفاً » [3]

---

(١) تاريخ بغداد « ص ٩٩ » (٢) المختصر في أخبار البشر « ٣ : ١٧٩ » .

(٣) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٧٠٣ و ٤٠ »

وبما قدمنا علمنا أن دار الخلافة كانت على مقربة من المدرسة المستنصرية من الجنوب بحيث كان موضعها يلي دار الخلافة أي يقرب جداً منها ، وهذا الفعل « يلي » يستعمل كثيراً لبيان القرب الذي هو دون الملاصقة ، قال أبو الفرج بن الجوزي في ذكر زوارق جاءت في دجلة : « فربطت فيما يلي باب المدرسة »[1] . وهذا القرب يقاس بهذا الفعل حين لا تكون المسافة مقيسة بمقاييس الطول القديمة المعروفة ، وحين لايكون قياسها ذا فائدة توجب ذكره

فهذه هي الطريقة العلمية في تعيين المواضع العمرانية التي ذهب عمرانها وزالت آثارها ، وخفيت معالمها كدار الخلافة العباسية الأخيرة ، وقد علمنا بما نقلنا من النصوص الجغرافية التاريخية أنها كانت على مقربة من المدرسة المستنصرية من جهة الجنوب ، وقد ذكرنا أنها كانت ذا سعة قدّرها ابن جبير بأكثر من ربع الجانب الشرقي ، وقال ياقوت الحموي في مادة « الحريم » من معجم البلدان : « حريم دار الخلافة ببغداد ، ويكون بمقدار ثلث بغداد ، وهو في وسطها ودور العامة محيطة به وله سور يتميز ، ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إلى دجلة كهيأة نصف دائرة ، وله عدة أبواب ، أولها من جهة الغرب باب الغربة وهو قرب دجلة جداً ثم باب سوق التمر وهو باب شاهق البناء أغلق في أول أيام الناصر لدين الله ابن المستضي ، واستمر غلقه إلى هذه الغاية ثم باب البدرية ثم باب النُّوبي وعنده العتبة التي تقبلها الرسل والملوك إذا قدموا بغداد . ثم باب العامة وهو باب عمورية أيضاً ثم يمتد [السور] قرابة ميل ليس فيه باب إلا باب البستان قرب المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا ثم باب المراتب ، بينه وبين دجلة نحو غلوتي سهم في شرقي الحريم ، وجميع ما يشتمل عليه هذا السور من دور العامة ومحالها وجامع القصر ، وهو الذي تقام فيه الجمعة ببغداد ، يسمى الحريم ، وبين هذا الحريم المشتمل على منازل الرعية وخاص دور الخلافة التي لا يشركه فيه

(١) المنتظم « ١٠ : ٢ ١ » يعني باب المدرسة النظامية

أحد سور آخر يشتمل على دور الخلافة وبساتين ومنازل نحو مدينة كبيرة »[1]

وأعاد ياقوت كلامه على حريم دار الخلافة في كتابه : المشترك وضعا المختلف صقعا ، وزاد شيئاً في بعض المواضع منـه قال : « الحريم بفتح الحاء وكسر الراء وياء ساكنة ، الأول حريم دار الخلافة ببغداد وهو مقدار ثلث مدينة السلام بغداد وعليه سور من دجلة إلى دجلة كهيأة الهلال أو نصف دائرة ، وله أبواب أولها باب الغربة على دجلة ثم باب سوق التمر : باب شاهق البناء ، وأغلق في أول أيام الناصر ، واستمر غلقه إلى الآن [يعني سنة ٦٢٦] ثم باب البدرية ثم باب النُّـوبي وفيه العتبة التي تقبلها الرسل ، والملوك إذا قدموا بغداد ثم باب العامة ويقال له أيضاً باب عمّورية وبين هذين البابين محال يسكنها عامة الناس بينهم وبين دار الخلافة سور آخر فيه عـــدة أبواب منها باب الدُّوامات وباب علّيان وباب الحرَم وغير ذلك ثم يمتد نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان في آخر المأمونية تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا في الأعياد ثم باب المراتب بينه وبين دجلة من جهـة باب الأزج نحو رميتي سهم ، وجميع ما يشتمل عليه هذا السور يسمى حريم دار الخلافة فيه محال وأسـواق وخانقاهات ـ يعني ربط الصوفية أي تكياتهم ـ ودور كثيرة للرعية كأ كبر مدينة ، وبين منازل الرعية وبين دجلة سور آخر من دون دور الخلافة لا يشركه فيه شيء من منازل غيره ، وإنما بسطنا القول في هـــذا وذكرناه لـكثرة ما يجيء ذكره في التواريخ والأخبار وربما نسب إليه بعض الرواة[2] »

وذكر شمس الدين الذهبي في كتابه المشتبه في أسماء الرجال في الحريمي حريم دار الخلافة في نسب الحريمي وذكر « باب النصر » مكان باب البستان وهذه التسمية أطلقها على هـذا الباب الخليفة المسترشد بالله باعث النهضة الأخيرة في الدولة العباســية ، أطلقها تقليداً

(١) معجم البلدان في مادة « حريم »

(٢) المشترك وضعاً المختلف صقعاً في مادة « حريم » ونسي هنا ياقوت « باب الخاصة » وذكره في مادته من المعجم المذكور

للفاطميين في تسميتهم أحد أبواب القاهرة « باب النصر » ، كما قلد المنصور هشام بن عبد الملك في تسمية مقر المهدي في الجانب الشرقي بالرصافة ، فلهشام رصافة في بلاد الشام كما هو معروف مشهور . ولم يذكر أحد قبلنا سبب اختيار المنصور اسم الرصافة

إن وصف سور الحريم المذكور بالهلال ونصف الدائرة يقرب من أذهاننا شكله ، ولا بد للسور في أصول العمارة القديمة الزمان من مساحة كالساحة تفصل بينه وبين غيره تمهيداً للدفاع في يوم الهجوم والقراع ، وهذا الفاصل قد زال واتخذ دوراً ومنازل ومرافق أخرى كالدكاكين والأسواق وكان ذلك بعد زوال دولة بني العباس ، فلذلك يصعب علينا تحديده فضلا عن تعيينه إلا أن جامع القصر الذي هو جامع سوق الغزل يكون في نقطة هندسية من نقاطه الشرقية من غير شك ، والظاهر أنها أبعد نقطة من الشرق

وأصح الشوارع مطابقة لمبدأ سور دار الخلافة الكبير هو شارع السموءل الممتد من شارع الرشيد والمنهي إلى المشرعة عند قهوة الشط ، وفي هذا الشارع ينبغي أن يُظن وجود الأبواب العليا قديماً أعني أبواب السور ، وأولها باب الغربة ، نسبة إلى شجرة غرب كانت مغروسة عنده في أول انشائه ، وهو مطابق لباب شارع المستنصر الحالي ، المسمى قبل عدة سنوات ، بشارع النهر . ولقائل أن يقول: ولماذا لا تعد سوق البزازين الكبيرة القريبة من شارع السموءل الموازية له تقريباً ، الشارع أو الدرب المحاذي لسور دار الخلافة ؟ والجواب أن هذه السوق كانت من أقسام سوق الثلاثاء ببغداد ، قال ابن بطوطة في رحلته في ذكر الجانب الشرقي من بغداد ، وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق عظيمة الترتيب ، وأعظم أسواقها سوق تعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدة ، وفي وسط هـذه السوق المدرسة النظامية العجيبة ، التي صارت الأمثال تضرب بحسنها ، وفي آخره المدرسة المستنصرية ونسبها إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر [1] » نخط سور

---

(١) تحفة النظار في غرائب الامصار (١ : ١٢١)

دار الخلافة يبدأ إذن من آخر شارع السموأل المفضي إلى شط دجلة ويمتد شرقاً على خط نصف دائرة ، على التقريب حتى ينتهي في الجنوب عند شط دجلة أيضاً ، كما يستخلص من النصوص التي آثرناها وأثرناها . ولكن كيف نعين موضعه في الجنوب ؟ نعينه بذكر باب قديم العهد من أبواب دار الخلافة هو « باب الخاصة » الجديد [1] ، قال ياقوت في معجم البلدان : « باب الخاصة كان أحد أبواب دار الخلافة المعظمة ببغداد أحدثه الطائع لله تجاه دار الفيل وباب كلواذا ، واتخذ عليه منظرة تشرف على دار الفيل وبراح واسع واتفق أن كان يوماً في هذه المنظرة وجوّزت عليه جنازة ... الزاهد المعروف بغلام الخلال فرأى الطائع منها ما أعجبه فتقدم أي أمر بدفنه في ذلك البراح الذي تجـــاه المنظرة وجعل دار الفيل وقفاً عليــه ووسع به في تلك المقبرة وهي الآن على ذلك إلا أن هذا الباب لا أثر له اليوم ، ويتلو هذا الباب من دار الخلافة باب المراتب ولهذه الأبواب ذكر في التواريخ

فالزاهد المعروف بغلام الخلال هو الخلالي ، وقد دفن كما مر في النص في البراح المقابل لباب الخاصة المذكور ، وبه نعلم تقدير المسافة بين سور دار الخلافة من الجانب الشرقي وقبر الشيخ الخلالي ، وقولي « باب الخاصة القديم » لأن باب البدرية المقدم ذكره آنفاً كان يسمى في أيام المعتضد بالله « باب الخاصة » ثم نسب الى بدر احد الامراء المماليك فقيل باب بدر ثم قيل باب البدرية من أجل المحلة المنشأة حياله ، ولعله بدر المعتضديّ والظاهر أن الشعب هو الذي سماه بذلك الاسم فغلبت تسمية الشعب على غيرها

فسور دار الخلافة من جهة الجنوب كان يصل إلى محلة المربعة ولا يتجاوز محلة رأس الساقية ، وفيها اليوم الشارع الممتد من شارع الرشيد إلى تربة الشيخ الزاهد عبد القادر الجيلي ، ويؤيد ما قلت ما ذكره ابن جبير في تعيين الموضع الذي رأى فيه أبا الفرج بن الجوزي يعظ الناس فيه ، قال : « ثم شاهدنا صبيحة السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه

---

(١) قلت ذلك لئلا يلتبس بباب الخاصة العتيق ، وهو باب بدر ، تراجع « منظرة الريحانيين » من معجم البلدان ، والمراصد ، وكان في أعلى دار الخلافة العباســـية ، يراجع كتاب « رسوم دار الخلافة ص ٧٦ » لتصحيح التعليق

الامام الأوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي بازاء داره ، على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره ، على اتصال من قصور الخليفة ، وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي [1] فباب البصلية هو باب كلواذا آخر أبواب بغداد الشرقية من جهة الجنوب الشرقي وهو اليوم الباب الشرقي

وتسأل بعد ذلك ما كان داخل سور دار الخلافة الصغير القائم وراء سورها الكبير المحيط بدور الخلفاء ومجالسهم ومرافقها ومنازهها ؟ ذكرنا آنفاً قول الخطيب البغدادي : « كانت دار الخلافة التي على شاطىء دجلة تحت نهر المعلى قديماً للحسن بن سهل » وزير المأمون وحميه أي والد زوجه السيدة خديجة بوران ، وذكر بعد ذلك أنها تسمى أي الدار (القصر الحسني) فلما توفي الحسن بن سهل صارت الدار لابنته بوران فاستنزلها عنها الخليفة المعتمد على الله قبل سنة ٢٧١ فاستنظرته أياماً لتفريغها وتسليمها ثم رمتها وعمرتها وجصّصها وبيضتها وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت أصناف الستور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يصلح للخلفاء ، ورتبت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة اليه ، فلما فرغت من ذلك انتقلت من الدار وأرسلت إلى المعتمد على الله تدعوه إلى الانتقال اليها ، فانتقل وبهذا الانتقال تركت عاصمة الدولة سامرا ونقلت الخلافة إلى بغداد واتخذت عاصمة كما كانت في أيام المنصور ومن بعده من الخلفاء حتى عهد المعتصم بالله المنتقل إلى سامراء .

ولما ولي الخلافة المعتضد بالله استضاف إلى تلك الدار مما جاورها كل بقعة توسعها وتكبرها ، وبنى عليها سوراً جمعها به وحصنها وتولى الخلافة بعده ابنه المكتفي بالله فبنى قصر التاج على دجلة وأنشأ عنده قبابا ومجالس تناهى في توسعتها وتعليتها ، واستخلف المقتدر بالله فزاد في ذلك مما أنشأه واستحدثه من البنيان [2] »

---

(١) رحلة ابن جبير (ص ٢٢٠)

(٢) تاريخ بغداد (١ : ٩٩) .

لم يذكر المؤرخون أوصاف البنيان ، بحيث يستفيد من وصفهم أبناء هذا الزمان ، فالتاج العظيم لم نعلم من وصفه إلا ما ذكره ياقوت من أن وجهه ـ ولا تقل واجهته ـ كان مبنياً على خمسة عقود كل عقد على عشر أساطين بخمسة أذرع ، وفي أيام المقتفي لأمر الله في أواسط القرن السادس وقعت صاعقة عليها فتأججت فيها ، وفي قبة الحمار التي كان يصعد اليها في مدرج على حمار صغير ، وكانت عالية على شكل نصف دائرة ، وشبت النار في الدار التي فيها القبة وبقيت النار تستعر تسعة أيام ثم أطفئت ، وقد صيرت القصر كالفحمة ثم أعاد المقتفي البناء على الصورة الأولى ولكن بالجص والآجر أي الطابوق بغير أساطين رخام وأهمل إتمامه حتى مات وبقي كذلك إلى عهد المستضيء بأمر الله فأمر بنقضه وإبراز المسناة التي بين يديه حتى تحاذي مسناة التاج فشق الأساس ووضع البناء على خط مستقيم من مسناة التاج واستعملت أنقاض التاج مع ما كان أعد من الآلات في عمل هذه المسناة ، وأنشيء هناك صحن وهو الصحن الذي يبايع الناس فيه الخلفاء في العادة[1]

ومن أشهر المباني في دار الخلافة « دار السيدة بنفشة » حظية الخليفة المستضيء بأمر الله وكانت في موضع خان الدامرجي ، وما حوله وكانت تشرف على شط دجلة وكانت تسمى أيضاً « دار سوق التمر » قال صفي الدين عبد المؤمن البغدادي في مراصد الاطلاع : « دار سوق التمر هي الدار المتصلة بباب الغربة ومن الجهة الأخرى بالبدرية وهي دار عظيمة من دار الخلافة مشرفة على مشرعة الابريين لها باب عال ودركاه في صدر المخلطيين » وقال تاج الدين ابن الساعي : « بنى الامام المستضيء ، بأمر الله للسيدة بنفشة داراً مجاورة لباب الغربة الشريف على شاطيء دجلة فجاءت عالية البناء واسعة الفناء تشتمل على مقاصير وحجرات ومناظر ومتنزهات ، ويجاور هذه الدار أربعة دواليب تستقي الماء من دجلة الى دار الخلافة المعظمة كل واحد أعلى من الآخر ، فيأخذ الأول من دجلة والثاني من الأول

(١) تاريخ بغداد (١ : ٩٩)

والثالث من الثاني والرابع من الثالث »[1]

وكان في دار الخلافة قصر الفردوس الذي أنشأه المعتضد بالله ودار الشجرة المعلومة الأخبار ، وخان الخيل وهو دار أكثرها أروقة بأساطين رخام ، ودار السباع ، والجوسق المحدث ، وهو دار بين بساتين في وسطها بركة رصاص قلعي ، حواليها نهر رصاص قلعي أحسن من الفضة المجلوة ، طول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وكان فيها الدار المربعة ، والدار المثمنة التي قعد فيها هولاكو في احتلاله بغداد ، لما رغب في أن يرى دار الخلافة ، وقد صحفتها التواريخ الفارسية الى « دار الميمنة » مع أنها المثمنة أي الثمانية الجدران ذكر ذلك الخطيب البغدادي وياقوت الحموي ورشيد الدين

وكان فيها دار الفلك أنشأها الخليفة الناصر لدين الله رباطا للنساء العابدات سنة ٥٨٦ ورتب فيها رئيسة للزاهدات ابنة الأمير السيد العلّوي الملقبة بست الخدور[2] . ولم نقف على صريح اسمها فيما وقع إلينا من التواريخ ، وأبوها فقيه علويّ حنفيّ مشهور .

وبعد أن ذكرنا نموجز أخبار التأسيس لدار الخلافة العباسيّة نقلاً من تاريخ الخطيب ، نذكر أخبار التأسيس مفصلة أكثر مما ذكره ياقوت الحمويّ مهما في كلامه على « التاج » قصر المكتفي في معجم البلدان ، وهذا التفصيل وجدناه في بعض تواريخ المؤرخ الكبير تاج الدين علي بن أنجب ابن الساعي ، حيث ذكر سيرة السيدة خديجة بوران بنت الحسن ابن سهل إحدى زوجات المأمون ، قال :

« وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر أنّ بوران توفيت يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين وقد بلغت من السن ثمانين سنة . قلت : وكانت وفاتها ببغداد لأنها كانت تسكن بالقصر الحسني المنسوب إلى أبيها الحسن بن سهل،

(١) جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء (طبعة دار المعارف ص ١١٣)

(٢) مرآة الزمان « ٨/١ ٢)

وهذا القصر كان أولاً يسمى (القصر الجعفري) نسبة إلى جعفر بن يحيى بن خالدالبرمكي، وهو أول بناء وضع في قديم الزمان بمدينة السلام [1] أخبرني أبو القاسم علي بن عبدالرحمن بن علي [ابن الجوزي] إذناً عن أبي محمد عبد الله بن الخشاب النحوي قال حدثنا أبو القاسم الربعي أخبرنا أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي أخبرنا أبو علي الأزدي قال حدثنا أبو جز (كذا) قال حدثنا أبو العيناء قال: كان جعفر بن يحيى البرمكي شديد الشغف بالاخوان، كثير المحبة للقيان، قد أعطى اللذات قياده، وجعل مواسم القصف واللهو أعياده، وكثر ذلك منه، واشتهر عنه، وتكلم الأعداء فيه بسببه، فخلا به والده وأنكر عليه فعله وقال له: إذا لم يكن لك قدرة على الاستتار في لهوك وشربك، والكتم لمجالس أنسك ولعبك، فاتخذ لنفسك قصراً بالجانب الشرقيّ، تجمع فيه ندماءك وقيانك، وتقطع معهم زمانك، وتبعد عن أعين العامّة، وتخفي أمورك على أكثر الخاصة، ويقل القول فيك، وينقطع الكلام عنك، ويكون أصلح لشأنك عند سلطانك فعمد جعفر الى الجانب الشرقيّ واتخذ به قصراً شيّد بناءه، وأوسع فناءه وفضاءه، واتخذ فيه بستاناً ذا رياض مخصبة مريعة، وغرس به من أنواع الشجر ما يثمر بكل ثمرة بديعة، وبالغ في إنفاق الأموال، وجمع الصناع والرجال، فلما قارب الفراغ من بنائه، صار إليه ومعه أصحابه وفيهم مؤنس بن عمران، وكان عاقلاً لبيباً كاملاً فطاب به واستحسنه، وقال من حضر من أصحابه في ذلك فأكثروا القول، ومؤنس ساكت، فقال له جعفر: مالك لا تتكلم؟ قال: فيماذا؟ قال: فيما قال أصحابنا قال: كفاني قولهم ولا زيادة فيه، وكان جعفر ذكياً، فعلم أن تحت قول مؤنس معنىً، فقال: وأنت أيضاً فقل، قال: هو ما قالوا، قال [جعفر]: أقسمت عليك لتقولنّ فقال له: إذ أبيت إلا أن أقول أفتصبر على الحق؟ قال: نعم قال: أريد خلوة فلما خلا به قال: أأطيل فيما أقول أم أختصر؟ قال:

(١) لعله أراد «أول بناء في أسفل الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد»

بل اختصر. قال : أسألك إن خرجت الساعة فررتَ بدار لبعض أصحابك تُشبه دارك هذه أو تقاربها ما كنت صانعاً وقائلاً ؟ قال : قد فهمت ، فما الرأي ؟ قال : هو رأي إن أخرته عن ساعتك هذه فات قال : وما هو ؟ قال : لست أشك في أنّ أمير المؤمنين قد طلبك وسأل عن خبرك يُخبرّ أنك قد ركبت إلى قصرك ، فضجر من تأخرك ، فأطِل اللبث هاهنا ثم امض إليه من فورك ، وعليك أثر الغبار ، فاذا سألك عن حالك ، فقل : صِرتُ إلى القصر الذي بنيته للمأمون ثم أتبع ذلك من القول عما أنت أعلم به وكان جعفر قد اتخذ في هذا القصر ثلاث مئة وستين مرفقاً ما بين مجلس ومستشرف وحجرة وخيش وخزانة ، وكتبت إلى كل ناحية بأن تُتخذ لكل مقصورة فرش على مقادير أبنيتها ، وكان القول قد كثر جداً في ذلك البناء وما كتب في استعماله من الفرش له ، فأقام جعفر في القصر هُنيأة ثم مضى من فوره فدخل على الرشيد ، فسأله [الرشيد] عن خبره ومن أين جاء ؟ قال : كنت في القصر الذي اتخذته لمولاي المأمون بالجانب الشرقي على دجلة . فقال له الرشيد : أو للمأمون بنيته ؟ قال : نعم ، فانك يا أمير المؤمنين في ليلة ولادته شرّفتني بأن جعلته في حجري قبل جعله في حجرك واستخدمتني له ، وعرفت محله من قلبك فدعاني ذلك إلى أن اتخذت له هذا القصر بالجانب الشرقي في موضع معتدل الهواء ، طيب الثّراء ، ما بين رياض زاهرة ، ومياه جارية ، بعيداً من أصوات الناس والدخاخين المؤذية ، والرّوائح المنتنة ، ليتسكنه حواضنه وداياته ، وجواريه وقهرماناته ، فيصح بذلك مزاجه ، وينمّ نشوؤه ، ويصفو ذهنه ، ويذكو قلبه ، وينمو لبه ، ويضيء فهمه ، ويحسن لونه ، ويزيد جسمه ، ومع ذلك فانني قد كتبت إلى النواحي جميعاً باتخاذ فرش لهذا البناء على مقاديره ، وبقي شيء لم يتهيأ اتخاذه إلى الآن ، وقد عوّلنا على خزائن أمير المؤمنين ، إمّا عارية أو هبة قال : بل هبة وأسفر إليه ، وأقبل وجهه عليه ، وقال : أبى [الله] أن يقال عنك إلا ماهو لك ، وان يُطعن فيك ، إلا عما يرفعك ويعليك ، والله لاسكنه أحد لاسواك ، ولا

ثم ما يعوزه من المفارش إلا من خزائننا وزال من نفس الرشيد بتلك الفعلة ما كان حمل عليه من السعايات ، وظفر بالقصر ، وانقطعت الأقاويل عنه ولم يزل جعفر يتردد إليه في كل أوقات أفراحه ، إلى حين واقعهم ، وانقضاء دولتهم ، وإلى حينئذ كان يسمى (القصر الجعفريّ) »

وقال ابن الساعي بعد ذلك :

ذكر انتقال هذا القصر وكيف صار إلى المأمون وما أضاف اليه من الأبنية

ذكر بعضهم أنّ هذا القصر صار إلى المأمون، وكان من أكمل القصور وأبهاها ، وأحب المواضع اليه وأشهاها ، لاطلاله على دجلة وكماله في النظر ، واشتماله بالعروض والشجر ، واكتسائه بالنور المشرق النائر ، والزهر المؤنق الزاهر ، فنزل بساحته ، وحلّ به حبى راحته ، وجرّ على رياضه ذيوله ، وطارد في ميدان سروره خيوله ، ملتذاً بسكناه ، معتداً بهواه ، وصار منزل صيده وقنصه ، ومحلّ نزهه وفُرصه ، واقتطع جملة من البرية ، فعملت ميداناً لركض الغلمان ، واللعب بالكرة والصولجان ، وحيراً لجمع الوحوش في أوقات تصيده ، وفتح له باباً شرقياً إلى جانب البر ، واتخذ على أعلاه منظرة تشرف على مَرام واسعة ، لمن عساه يصل من طريق خراسان ، ونواحي همذان وأذربيجان ، وأجرى على ذلك الباب نهراً ساقه من نهر المعلى ، وابتنى عليه وقريباً منه منازل برسم خاصته ، وأصحابه وحاشيته ، سميت المأمونية وهي الآن محلة الشارع الأعظم [1] فيما بين عقدي المصطنع والزرّادين »

وعنون ابن الساعي بعد هذا كلامه بما يلي السطر :

« ذكر انتقال هذا القصر إلى الحسن بن سهل واشتهاره به وما زاد فيه من الأبنية

(١) الشارع الأعظم في شرقي بغداد كان في موضع الشارع الكبير الذي يشتق الجانب الشرقي من محلة عقد القشل الى محلة الصدرية المجاورة لمحلة باب الشيخ عبد القادر الجيلي المعروف بالكيلاني - ر ح -

كان المأمون بخراسان مع والده ، فلما توفي والده هناك بويع المأمون بخراسان وبويع أخوه الأمين ببغداد وجرت الفتن العظيمة إلى أن قتل الأمين ـ رحمة الله عليه ـ ، فلما وصل البريد بخبر قتله إلى المأمون أرسل الحسن بن سهل خليفة له على العراق (١) ، لتدبير الأمور بها ، فوردها بعد انقضاء فتنة الأمين في سنة ثمان وتسعين ومئة ، ونزل القصر المأموني المذكور ، وتزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل عمرو ، بولاية عمها الفضل بن سهل : فلما قدم المأمون من خراسان في يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر من سنة أربع ومائتين دخل إلى قصر الخلافة بالخلد بالجانب الغربي فسكنه ، وبقي الحسن بن سهل مقيما بالقصر المأموني إلى أن عمل عرس بوران بفم الصلح ونقلت إلى بغداد وأنزلت بالقصر وطلبه الحسن من المأمون فكتبه له ، ومذ ذلك الوقت أضاف اليه ما حوله ، وغلب اسم الحسن عليه وعرف به ونسب اليه ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد قال : حدثني بعض مشايخنا قال : لما بنى الحسن بن سهل قصره هذا جعل بين سوره وبين شط دجلة فضاء كبيراً ، فقيل له : لو جعلته راكباً على دجلة كان أحسن، فقال : ما أنا والنزهة والاشراف إلى دجلة !؟ إنما يفعل هذا أهل الفراغ والبطالة ونحن عن النزهة في شغل ثم ابتاع الموفق بالله هذا القصر ونزله ثم هدمه المعتضد بن الموفق وبناه وزاد فيه ومدّه إلى حدّ (٢) نهر بين ونزله المكتفي (٣) »

وقال الخطيب البغدادي : « ثم استضاف المعتضد بالله إلى الدار مما جاورها كل ما وسعها به وكبرها وعمل عليها سوراً جمعها به وحصنها ، وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهى في توسعته وتعليته ، ووافى

---

(١) قال الجوهري في الصحاح : « والعراق بلاد يذكر ويؤنث وقيل هو فرسي معرب »

(٢) يعني المؤرخ بمده الى نهر بين (على وزن تين) فتح طريق تحت الارض مؤزج أي معقود السقف يؤدي الى قصره الجميل المعروف باسم الثريا المتصل بحير الوحوش

(٣) جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء « ص ٧٢ — ٧٨ طبعة دار المعارف بمصر »

المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه ، وكان الميدان والثريا وكذا حير الوحش متصلا بالدار [1] » وقد قدمنا ذلك ثم قال في ذكر جوامع بغداد : « فلم تكن صلاة الجمعة تقام بمدينة السلام إلا في مسجدي المدينة والرصافة إلى وقت خلافة المعتضد ، فلما استخلف المعتضد أمر بعمارة القصر المعروف بالحسني على دجلة سنة ثمانين ومائتين ، وأنفق عليه مالاً عظيما ، وهو القصر المرسوم بدار الخلافة ، وأمر ببناء مطامير في القصر رسمها هو للصناع ، فبنيت بناءاً لم ير مثله ، على غايـة ما يكون من الاحكام والضيق ، وجعلها محابس للأعداء ، وكان الناس يصلّـون الجمعة في الدار ، وليس هناك رسم لمسجد ، وإنما يؤذن للناس في الدخول وقت الصلاة ، ويخرجون عند انقضائها ، فلما استخلف المكتفي في سنة تسع وثمانين ومائتين نزل [2] القصر وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد بناها ، وأمر أن يجعل موضعها مسجد [3] جامع في داره ، يصلي فيه الناس ، فعمل ذلك وصاروا يبكرون إلى المسجد الجامع في الدار يوم الجمعة فلا يمنعون من دخوله ، ويقيمون فيه إلى آخر النهار ، وحصل ذلك رسماً باقياً إلى الآن [4] » توفي الخطيب سنة ٤٦٣

وقد أنشيء لهذا المسجد مئذنة وهي التي تعرف غالباً باسم المنارة ، وآخر منارة له هي هذه القائمة اليوم فيما بقي من المسجد المعروفة بمنارة جامع سوق الغزل المطلة على شارع الجمهورية المشتق في هذه الأيام ، وكانت قد جددت سنة « ٦٧٠ » في أيام الملك أباقا بن هولاكو الايلخاني وولاية علاء الدين عطا ملك الجويني إلا أنها سقطت ، ثم أعيد

---

(١) تاريخ بغداد « ١ : ٩٩ »

(٢) في نسخة تاريخ الخطيب المطبوعة بمصر « ترك القصر » وهو ضد المراد والمعروف

(٣) هو المسجد المعروف بجامع سوق الغزل في أيامنا وكان يسمى جامع القصر نسبة الى قصر التاج وجامع الخليفة نسبة إلى منشئه ثم سمي جامع الخلفاء ، وليس هـذا الجامع جامع الرصافة الذي أنشأه المهدي في الرصافة قرب تربة الامام الأعظم

(٤) تاريخ بغداد « ١ : ١٠٩ »

بناؤها على هذه الصورة المائلة من الضخامة والقوة والمتانة والرصانة ، وإن تحيّفها الزمان ، وأثرت فيها الرياح والأمطار على اختلاف الأعصار ماتؤثره في أمثالها من البنيان ، من الآجر ومشتقاته لامن الحجر والصوان ، جاء في أخبار سنة « ٦٧٠ » ما هذا نصه :

« وفيها أمر علاء الدين صاحب الديوان بتجديد عمارة منارة جامع الخليفة ، وكان صدر الوقوف[1] يومئذ شهاب الدين علي بن عبدالله ، فشرع في ذلك ، وانتجزت في آخر شعبان ثم سقطت في شهر رمضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح ولم يتأذّا أحد ممن كان هناك[2] »

وفي سنة ٦٧٨ تمّ تجديد سمارتها الحالية ، فقد جاء في أخبارها ما هذا نصه « وفيها تمت عمارة منارة عمارة جامع الخليفة ، وكانت قد سقطت في شهر رمضان سنة سبعين [وستمائة][3] »

وقد ذكر هذا المسجد ومنارته العلامة الراحل السيد محمود شكري الآلوسي ـ رح ـ في كتابه تاريخ مساجد بغداد وآثارها قال : « كان هذا هو المسجد الجامع أيام الدولة العباسية[4] ... وكان مصلّى خليفة المسلمين من بني العباس ، ومصلاه يومئذ يسع جمعاً لا يحصون ، بعمارة تروق الناظر إحكاماً وصنعة ، وفيه مئذنة شامخة تناطح السحاب ، فلما دارت دوائر البلى على مدينة السلام انهدت أركانه ، واندرست رسومه وآياته ، ولم يبق

---

(١) يعني الأوقاف

(٢) كتاب الحوادث الذي سماه المحقق الراحل يعقوب نعوم السركيسي « الحوادث الجامعة » وتابعته في ذلك ونشرته بذلك الاسم ثم تبين لي أنه غير الحوادث الجامعة وإن كانت التسمية تدعو الى ذلك الحسبان والظاهر لي أنه تاليف « محب الدين أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن ابي بكر العلوي الكرجي ثم البغدادي المقرىء المؤرخ شيخ دار القرآن البشيرية على شاطيء دجلة بالجانب الغربي ، المتوفى ببغداد سنة ٧٢١ ترجمه ابن الفوطي في كتابه تلخيص مجمع الآداب في الملقبين بمحب الدين من الأحمدين .

(٣) كتاب الحوادث المذكور « ص ٤٠٨ »

(٤) يعني في القرن الثالث وما بعده .

منه إلا مئذنته التي بقيت تندب قومها وتبكيهم ، ثم صار هذا الجامع محلّة كبيرة وسوقاً واسعة تسمى (سوق الغزل) وبقيت عرصة خالية ، فعمر فيها أبو سعيد سليمان باشا والي بغداد في سنة ١١٩٣ مسجداً إبقاءاً لذكرى هذا المعبد الشهير وعيّن له مدرساً وإماماً وجملة من الخدم [1] » وقد اهتمت مديرية الأوقاف في هذه الأيام ثم وزارتها الحالية بهذا الجامع المبارك فامتلكت بالشراء عدّة دور كانت قد اغتصبته أرض الجامع قديماً لتنشيء على أرضها مسجداً صغيراً يحفظ على هذا المعبد الاسلامي العظيم حرمته وكرامته وتاريخه الزاهي ، ونعم ما فعلت

مصطفى جواد

---

(١) تاريخ مساجد بغداد وآثارها « ص ٣٩ ، ٤ »

الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية

الدكتور محمد طه الحاجري

الصلة بين الوراقة والحضارة صلة وثيقة دائمة ، والنسبة بين اسهلاك شعب ما للورق ومبلغ نصيبه من الحضارة نسبة ثابتة مطردة ؛ فبقدر إحساسه بالحاجة إلى هذه المادة ، واستجابته لهذا الأحساس ومضيه معه ، وقيامه بهذه الحاجة ، يكون حظه من الحضارة بجانبيها : المادي والمعنوي وقد أولع الناس باستنباط المقاييس المختلفة التي يعايرون بها حضارة هذا الشعب وذاك ، ويوازنون بها بين مستوى الحياة هنا ومستوى الحياة هناك ، كلما جـــد جديد وذاع في عالم العلم والصناعة والاختراع فمرة هو الصلب ، وأخرى هو البترول ، وثالثة هو الكهرباء ، وأخيراً هو الذرة ، إلى غير ذلك ولكن مقياس الورق مقياس قديم جـديد ثابت دائم ، ظل ـ وسيظل أمداً طويلاً فيما نعتقد ـ معياراً صحيحاً دقيقاً للحضارة في صورها المادية والمعنوية

وللورق في الحضارة الاسلامية مكان ظاهر ممتاز حقاً ، يثير العجب ويبعث على الاعجاب ، وله فيها تاريخ رائع حافل ، نستطيع أن نتبين في مراحله ووجوهه المختلفة المعالم البارزة لهذه الحضارة ، كما نستطيع أن نعرف فيها كثيراً من العوامل المؤثرة في تطور

هذه الحضارة وتوجيهها وان يكن ـ مع هذه المكانة التي لا شك فيها ـ تاريخاً مغموراً ، توزعت أجزاؤه ، وتبعثرت أشلاؤه ، وتقطع سياقه ، وذهب في غمار القرون ولكنا سنحاول هنا أن نجلو بعض وجوه ذلك التاريخ ، بأن نتبين خطوطه الكبرى ومعالمه الرئيسية ، ولعلنا نستطيع بذلك أن نجلو صفحة من أمجد صفحات الحضارة الاسلامية ، وأقواها تعبيراً عنها ، ودلالة عليها

ـ ١ ـ

ونحن حين نطلق كلمة « الورق » فانما نعني بها ذلك الجنس الذي يشمل أنواعاً مختلفة المادة والصورة ، مما جعل ليكتب فيه ، على نحو ما نرى عند ابن النديم في فهرسته في الباب الذي جعله لـ « الكلام عن أنواع الورق » وقد نخصص ذلك الجنس العام ، فنطلق كلمة « الورق » على ما دخلته الصناعة وهذبته أساليب الحضارة ومقتضياتها ، فنخرج بذلك عن تلك الصور البدائية الفجة التي تتمثل في مثل أكتاف الابل واللخاف والعسب وما اليها ، والتي نراها في مثل قول لبيد يصف كاتباً :

متعود لحن يعيد بكفه قلما على عسب ذبلن وبان [١]

وذلك على النحو الذي نراه عند القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » في الجملة التي جعلها « في بيان أسماء الورق الواردة في اللغة ومعرفة أجناسه » ، متجاوزاً تلك الانواع البدائية التي إنما تذكر ـ في حقيقة الأمر ـ من باب الاستقصاء التاريخي

ومهما يكن من أمر في إطلاق كلمة الورق فهي كلمة عامة يندرج تحتها أنواع مختلفة ، على النحو الذي سنرى تفصيل القول فيه هنا ولكن هذه الكلمة الشائعة التي تتسع دلالتها لتلك الانواع المختلفة هي أول ما يلفت نظر الباحث في هذا الموضوع من ناحية

(١) الأمالي ١ : ٥

تاريخ إطلاقها ، إذ كنا لا نعلم في حقيقة الأمر أنها كانت مستعملة بهذا الاطلاق أو لشيء من هذه الدلالة في العصر الجاهلي أو الإسلامي الأول إنما كانت تعني ورق الشجر ، كما جاءت متعينة الدلالة على هذا في القرآن في غير موضع : « ما تسقط من ورقة إلا يعلمها [١] » « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة [٢] » ، « فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة [٣] » ومن كلمة الورق بهذا المعنى جاءت مشتقاتها في مثل : ورقت الشجرة وأورقت ، فهي مورقة وورقة ووريقة ووارقة ، وفي مثل تورق الظبي أي أكل الورق ، كما جاء في قول امرىء القيس :

وقد ركدن وسط السماء نجومها ركود نوادي الربرب المتورق

ومن هذا المعنى الأول لكلمة الورق جاءت معانيها الأخرى ، من إطلاقها على المال من إبل وغنم ودراهم ، كما في قول كثير :

فما ورق الدنيا بباق لأهله ولا شدة البلوى بضربة لازب [٤]

وعلى ما استدار على الأرض من الدم ، وعلى نضرة الشباب ، إلى غير ذلك من المعاني التي توردها كتب اللغة ، ونراها في آثار الجاهلية والعصر الاسلامي الأول . وليس بين

---

(١) سورة الانعام ، آية ٥٩ (٢) سورة الاعراف ، آية ٢٢

(٣) سورة طه ، آية ١٢١

(٤) اصلاح المنطق ، ص ٣٢٠ ، ط دار المعارف ١٩٤٩ ويرى الأب انستاس الكرملي ان اطلاق كلمة الورق على الدراهم لا يرجع الى ذلك الأصل وانما يرى ان هذه الكلمة بهذا المعنى فارسية الأصل أو يونانيته ، من (بره) أو (باره) الفارسية ومعناها قطعة ، « ومنها البارة التي كانت مستعملة ، ولا تزال تستعمل في ديار الترك ، لنقد صغير من النحاس » أو من الكلمة اليونانية Baros « ومعناها ثقل أو حمل ، ومعلوم أن أصل الأوزان والاثقال مأخوذ من ثقلها وهكذا وضعوا المثقال والرطل والأوقية الى غيرها » انظر ص ١٦٣ — ١٦٤ من كتاب النقود العربية وعلم النميات ، المطبعة العصرية ، ١٩٣٩

هـــذه المعاني المختلفة ذلك المعنى الذي غلب على الـكلمة فيما بعد ، حتى كاد يهدر كل تلك المعـاني

وقد يقع الباحث في الشعر الجاهلي والآثار الاسلامية الأولى على بعض النصوص التي توهم استعمال كلمة « الورق » في ذلك المعنى ، كهذا البيت من شعر ذي الخرق الطهوى :

لمـا رأت ابلي جاءت حلوبتها هزلى عجافاً عليها الريش والورق[1]

ولـكن الأشبه أن تكون كلمة الورق هنـا بمعنى ورق الشجر على أن هناك رواية أخرى تضع كلمة « الخرق » موضع كلمة « الورق » ، وقيل إنه من أجل هـــذا البيت - بهذه الرواية - سمي الشاعر « ذو الخرق »

ولعل بيت حسان :

عرفت ديار زينب بالـكثيب كخط الوحي في الورق القشيب

أقوى إيهاماً ، لولا أن هناك رواية أخرى تضع كلمة « الرق » موضع كلمة « الورق » بل لولا هذه الرواية لـكان في البيت دلالة قوية على استعمال كلمة الورق بذلك المعنى في ذلك العصر ، ولـكن وجود هذه الرواية يسقط هـــذا الدليل ، إذ كان قد تطرق اليه الاحتمال ، فبطل به الاستدلال

وهناك شبهة أخرى تعرض فيما أورده أبو موسى الاصبهاني في كتابه « غريب الحديث » من حديث عرفجة ، أنه « لما قطع انفه يوم الـكلاب اتخذ أنفاً من ورق فأنتن ، فاتخـــذ أنفاً من ذهب » والذي يجعل من هذا النص مثاراً للشبهة هو انكار الاصمعي أن يكون المراد بالورق ، في هذا النص ، الفضة ، كما هو المتبادر ، وقوله في توجيه انكاره هذا : « انه إنما اتخذ أنفاً من ورق ، بفتح الراء ، أراد الرق الذي يكتب فيه ، لان الفضة لاتنتن » فان صح هذا الذي ذهب اليه الأصمعي في تحرير كلمة الورق وتعيين المراد بها في حديث

(١) الاصمعيات ص ١٢٣ .

عرفجة هذا ، كان في هذا النص دليل صريح على أن هذه الكلمة كانت مستعملة ، منذ ذلك العصر ، في معنى الرق الذي يكتب فيه

ولكن ما ذهب اليه الأصمعي في ضبط هذه الكلمة وتحرير المراد منها لم يبنه ـ كما هو ظاهر ـ على رواية يرويها ، بل على استنتاج يستنتجه مما يعتبره في الفضة وأنها لا تنتن فاذا لم يكن هذا الاستنتاج متعيناً فلا قيمة له ، كما أنه إذا سقط ذلك الاعتبار الذي يبنى عليه استنتاجه هذا فقد سقط ذلك الاستنتاج وبطل ما ذهب اليه ، وبقيت كلمة الورق في هذا النص مكسورة الراء ، بمعنى الفضة والواقع أن هذا الاعتبار الذي بنى عليه الأصمعي استنتاجه لم يسلّم له ، فقد عقب عليه القتيبي بقوله : « وكنت أحسب أن قول الأصمعي إن الفضة لاتنتن صحيحاً حتى أخبرني بعض أهل الخبرة أن الذهب لا يبليه الثرى ، ولا يصدئه الندى ، ولا تنقصه الأرض ، ولا تأكله النار ؛ فأما الفضة فإنها تبلى وتصدأ ويعلوها السواد والنتن [1] »

فقد سقط ذلك الاعتبار كما نرى ، وسقط بذلك استنتاج الاصمعي ، فقد سقطت الشبهة إذن وبقي ذلك الفرض قائماً لا اعتراض عليه ، وهو أن كلمة الورق لم تعرف بمعناها الغالب الشائع المتعارف لا في العصر الجاهلي ولا في عصر صدر الاسلام إذا صح استقصاؤنا

ثم تمضي بعد ذلك فترة أخرى نتفقد فيها هذه الكلمة بهذا المعنى ، فيما بين أيدينا من الآثار الأدبية المختلفة فلا نظفر بشيء ولكنا لا نكاد نوغل قليلا بعد ذلك حتى نراها شائعة ذائعة ، تملأ الأفواه وترددها المجامع ، وقد اشتقت منها كلمة « التوريق » وكلمة « الوراقة » للدلالة على تلك الصناعة ، وكلمة « الوراق » لمحترف الوراقة ، وحتى نرى

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ : ٢١٨ ، ط الخيرية ، القاهرة ، ١٣٢٢ هـ وانظر : لسان العرب مادة : (ورق)

أسواق الوراقين ودكاكين الوراقين ، تمثل صورة بارزة من صور الحياة في الأمصار الاسلامية ، وتصبح عنصراً خطير الأثر في الحياة العلمية والأدبية ، وحتى نرى هذه الكلمة قد غلبت على سائر الكلمات التي كانت مستعملة من قبل للدلالة على المادة التي يكتب فيها ، فضمها اليها ، وأدرجها في عمومها ، وصارت تدل عليها جميعاً دلالة واحدة وبهذا كان لها ذلك العموم الذي أشرنا منذ قليل اليه

وبتتبع هذه الكلمات ، وتعرف ما تنطوي عليه كل منها من دلالات ، نستطيع أن نتبين كثيراً من الوجوه والأطوار في تاريخ الورق والوراقة وأحسب أنه يكفينا من ذلك أن نتتبع هذه الأصول الخمسة ، وهي : الصحيفة ، والرق ، والمهرق ، والقرطاس ، والكاغد .

— ١ —

فاما الصحيفة فهي من الكلمات العامة التي ينطوي تحتها أكثر من صورة ، وتختلف دلالتها باختلاف العصور ، كما يتغير مفهومها بتغير السياق واختلاف الملابسات وقد جاءت في القرآن ، في صيغة الجمع ، في غير موضع :

« وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ، أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى [(١)] » ، « أو لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى [(٢)] » ، « إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى [(٣)] » ، « بل يريد كل مهم أن يؤتى صحفاً منشرة [(٤)] » ، « رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ، فيها كتب قيمة [(٥)] »

ولا ريب أن صحف موسى في هذه الآيات هي التي أشار اليها القرآن في مواضع

---

(١) سورة طه ، آية : ١٣٣ (٢) سورة النجم ، آية : ٣٦ ، ٣٧
(٣) سورة الأعلى ، آية : ١٨ ، ١٩ (٤) سورة المدثر ، آية : ٥٢
(٥) سورة البينة ، آية : ٢ ، ٣ .

أخرى ، وسماها بالألواح ، في قوله تعالى :

« وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء [١] » ، « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي ، أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه [٢] » ، « ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون [٣] »

وإذن فقد كانت الصحيفة تطلق أحياناً بمعنى اللوح ، ومادة اللوح الخشب ، كما ينص على ذلك أهل اللغة ، وكما يستفاد من قوله تعالى في التعبير عن السفينة : « وحملناه على ذات ألواح ودسر [٤] »

وجاءت الصحيفة أيضاً في الشعر الجاهلي ، في مثل شعر المتلمس عن الصحيفة المنسوبة اليه ، كقوله :

أودى الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار حياته المتلمس
ألق الصحيفة ، لا أبالك ! إنه يخشى عليك من الحباء النقرس [٥]

وإذا كنا لا نستطيع أن نعرف من هذا الشعر كيف كانت صحيفة المتلمس هذه ، وأي شيء كانت مادة الصحف في ذلك العهد ، فقد جاء في شعر المتلمس نفسه ما يشير لنا إلى هذا ، وذلك إذ يقول في إحدى قصائده التي قالها في هجاء عمرو بن هند ، بعد لحاقه بالشام :

ورهنتني هندا ، وعرضك في صحف تلوح كأنها خلل [٦]

---

(١) سورة الاعراف ، آية : ١٤٥ (٢) سورة الاعراف ، آية : ١٥٠ .
(٣) سورة الاعراف ، آية : ١٥٤ (٤) سورة القمر ، آية : ١٣
(٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ١٣٢ ، ط دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ
(٦) الأغاني ٢١ : ١٣٥ .

والخلل هي جفون السيوف ، وكل جلدة منقوشة خله ، كما يقول صاحب اللسان وإذن فقد كانت مادة الصحيفة في عهد المتلمس الجلد

وقد ظلت هذه هي صورة الصحيفة إلى ما بعد الاسلام ، كما يدل على هذا إطلاق كلمة « المصحف » على مجموع الصحف التي كتب القرآن فيها ، فانما كان القرآن يكتب على الرقوق وحدها [1] ثم كما قد يفهم من هذه العبارة التي قالها الجاحظ على لسان أحد بخلائه ، في سياق حديثه عن استخراج وجوه المنفعة من الكساحة : « وما كان من الصحف فلرءوس الجرار [2] » ، فانما هو الجلد الذي يتصور غناؤه في هذا وكذلك يقول أبو عبد الله الاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ : « والصحف ما كان من جلود [3] »

ثم لم تلبث كلمة « الصحيفة » أن أصبحت تطلق على القرطاس ، وهو الورق بمعناه الخاص ، إلى جانب اطلاقها على الرق المصنوع من الجلد ، فيقول الزمخشري في التعريف بها : « قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه [4] » ثم أصبحت بعد ذلك مرادفة لكلمة القرطاس بذلك المعنى ، حين بطل استعمال الرقوق أو كاد ، كما نرى ذلك عند القلقشندي ، إذ يقول : « القرطاس والصحيفة ، وهما بمعنى واحد ، وهو الكاغد [5] »

— ب —

أما الرق فهو نوع خاص من الورق مادته الجلد ، وقد هذب وعولج بالصناعة ، حتى يصلح لما يراد له من الكتابة عليه فهو ـ كما يقول المبرد ، فيما يحكيه القلقشندي عنه ـ ما يرقق من الجلود ليكتب فيه . وقد رأيناه في بعض مفهومات كلمة « الصحيفة » وقد

(١) صبح الاعشى ٤ : ٤٧٥ ط المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩١٣

(٢) البخلاء ص ١٢٩ ط دار الكاتب المصري

(٣) مبادىء اللغة ص ٩٠ ، مطبعه السعادة ١٣٢٥ ﻫ

(٤) اساس البلاغه ، مادة (ص ح ف) (٥) صبح الأعشى ٢ : ٤٧٤

وردت كلمة « الرق » في القرآن في قوله تعالى : « والطور وكتاب مسطور في رق منشور [١] » .

ويظهر أن صناعة الرقوق صناعة فارسية في أصلها ، وعلى هذا تدل هذه العبارة التي ذكرها الجهشياري في التعليق على خبر أورده عن المنصور ، إذ استكثر القراطيس في خزائنه ، فهم ببيعها ، ثم بدا له فعدل عن ذلك ، إذ « ليس يؤمن حادث بمصر فتنقطع القراطيس بسببه » قال الجهشياري : « ولهذه العلة كانت الفرس تكتب في الجلود والرق ، وتقول : لا نكتب في شيء ليس في بلادنا [٢] »

— ج —

فاذا انتقلنا إلى كلمة « المهرق » وجدنا نوعاً آخر من الورق ، أدل على الحضارة ، وأدخل في باب الصناعة ، وأوثق صلة بالحياة المترفة ، كما سنرى بعد قليل في تفسير هذه الكلمة وهي لم ترد في القرآن كما ورد غيرها ، ولكنها جاءت في الشعر الجاهلي ، وخاصة في شعر الشعراء الذين اتصلت اسبابهم بالحيرة ، فنراها مثلا في شعر الاعشى ، في مثل قوله:

ربي كريم لا يكدر نعمة وإذا يناشد بالمهارق انشدا [٣]

أو في مثل هذا البيت الذي ينسبه الصولي له :

وأنى ترد القول دار كأنها لطول بلاها والتقادم مهرق [٤]

كما نراها في شعر الحارث بن حلزة ، إذ يقول في معلقته :

حذر الجور والتعدي ، وهل ينـ ـقض ما في المهارق الاهواء

(١) سورة الطور ، آية ١ — ٣

(٢) الوزراء والكتاب ، ص ١٣٨ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٨

(٣) ديوان الأعشى الكبير ، ص ٢٢٩ ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ١٩٥

(٤) أدب الكتاب ، ص ١٠٦ ، ط السلفية ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ

وإذا كانت كلمة المهرق في البيت الثاني من هذه الأبيات لا تؤدي أكثر من صورة بيانية مشهورة ، ولا تدلنا في سياقه على شيء من خصائص هذا النوع من الورق أو صفاته ، فإنا نستطيع أن نرى في البيتين الأخيرين شيئاً من الدلالة على بعض وجوه استعمال المهارق مما تختص به ، وهو تدوين الدين وتسجيل العهود والمواثيق . وذلك مصداق ما يذكره الجاحظ في بعض سياق كلامه عن الكتاب ، إذ يقول : « والمهارق ليس يراد بها الصحف والكتب ، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين ، أو كتب عهود وميثاق وأمان » [١] .

وإذن فنحن من « المهرق » بازاء نوع خاص من الورق ، خصص بوجوه معينة من الاستعمال لا يعدوها إلى غيرها من سائر وجوه الكتابة وقد يكون هذا التخصيص راجعاً إلى غلاء مادته وتكاليف صناعته حيث كان يصنع ، في بلاد الفرس ، وقد يرجع إلى قلته أو ندرته في الجزيرة العربية ، أو إلى الملابسات الأولى التي لابست دخوله إليها واستعماله فيها

وكلمة « المهرق » كلمة دخيلة على اللغة العربية ، وقد وجدت سبيلها إليها — كما وجدت المهارق سبيلها إلى البيئات العربية — في هذه الصلات الدائمة التي تربط بين العرب ومجاوريهم ، يقول الخطيب أبو زكريا التبريزي ، فيما كتبه شرحاً على أحد أبيات عارق الطائي ، من شعراء الحماسة : « والمهارق جمع مهرق ، وهو فارسي معرب وكانت العرب تصقل الثياب البيض ، وتكتب فيها كتب العهود ، وما أرادوا بقاءه على الدهر » [٢] ، كما يقول في موضع آخر : « والمهارق الصحف ، واحدها مهرق ، فارسي معرب ، خرزة

(١) كتاب الحيوان ١ : ٧٠ ، ط مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة

(٢) شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٣٠ ، ط المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ٢٩٦ هـ

يصقلون بها ثياباً كان الناس يكتبون فيها ، قبل أن تصنع القراطيس في العراق »[1] أما صاحب اللسان فقد احتفظ لنا في كلامه عن هذه المادة بما يزيد هذا التفصيل بياناً ، ويشير إلى طريقة تهيئة هـذا النوع من الورق ، إذ يقول في التعريف بالمهرق : « ثوب حرير أبيض ، يسقى بالصمغ ويصقل ، ثم يكتب فيه ، وهو بالفارسية « مهره كرد » وقيل « مهره » لأن الخرزة التي يصقل بها يقال لها بالفارسية كذلك »

فالمهرق — كما نرى — كلمة فارسية وصناعة فارسية ولا عبرة بكلمة « العرب » في عبارة الخطيب التبريزي ، فقد تكون تصحيفاً أو سهواً ، كما قد يكون المقصود بها أهل العراق بعد الاسلام ، و « قبل أن تصنع القراطيس في العراق » وإلى الفرس كان العرب ينسبون هذا النوع من الورق ، كما نرى في هذا البيت من شعر الحارث ابن حلزة :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس[2]

على ان صاحب اللسان يورد في كلامه عن المهرق شطر بيت للحارث بن حلزة أيضاً ينسب فيه المهارق الى « الحبش » ، وكأنما هو عجز ذلك البيت ، وقد وضعت فيه كلمة « الحبش » مكان كلمة « الفرس » فاذا كانت الرواية صحيحة ، وكانت هذه الكلمة في صورها كما قالها الحارث ، فلعل ذلك يدل على أن الأحباش كانوا في بعض الحالات واسطة

(١) شرح القصائد العشر ، ص ٢٦٨ ، ط دار الطباعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ولم تكن القراطيس تصنع بالعراق ، وانما يريد بالقراطيس الورق أو الكاغد

(٢) المفضليات ، ص ٥٣ ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٢٦

انتقال « المهارق » من الفرس إلى العرب ، وبذلك وقعت نسبتها إليهم ، وتفسير هذا قريب يسير .

— و —

وإلى جانب الرقوق المصنوعة من الجلد ، والمهارق المصنوعة من الحرير ، كان هناك نوع آخر من الورق ، أدل منها على الحضارة ، وأدخل منها في باب الصناعة ، وهو « القراطيس » وقد ورد القرطاس في القرآن مفرداً ومجموعاً :

« ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم ، لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين »[1] ، « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً »[2]

وظاهر من هاتين الآيتين أن القراطيس كانت في ذلك العهد من أدوات الكتابة المعروفة في بلاد العرب ، وانها كانت مما يتخذه اليهود لأنفسهم يكتبون فيها كتبهم المقدسة ، كما كانت السنة الفارسية أن تكتب كتب الدين في المهارق ، كما رأينا . على أن مما هو جدير بالملاحظة أن أولى الآيتين مكية ، فالحديث فيها عن أهل مكة ، ولهذا دلالته – فيما نحسب – على أن القراطيس كانت معروفة بينهم ، لخبراتهم التجارية والصلات التي أتاحتها لهم

(١) سورة الأنعام ، آية : ٧

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٩١

هذه الحيـاة ، وصلتهم بالبيئات التي كانت تسـتعمل القراطيس ، كالشام مثلاً ، مما أتاح للقراطيس أن تداخل — بشكل ما — حياتهم

وطرفة يذكر القرطاس في معلقته فيسميه « قرطاس الشآمي » ، وذلك إذ يقول :

وخد كقرطاس الشآمي ، ومشفر   كسبت اليماني قـدّه لم يحرد

وهذه القراطيس التي صارت تطلق فيما بعد إطلاقاً عاماً على الورق في صوره المختلفة ، كانت في ذلك العهد تعنى نوعاً خاصاً منه ، يخالف الرقوق والمهارق ويتميز عنها تميزاً تاماً ، فهي متميزة في صورهـا وفي مادتها ، كما تتميز في مصدرها وفي الجهة التي تجيء إلى بلاد العرب منها ، فلم تكن تجيء من الشرق من بلاد كسرى ، كما كانت تجيء الرقوق والمهارق ، وإنما كانت تجيء من بلاد الشـام وبلاد الروم ، وكان مصدرها الأول هو مصر بلد الفراعين ، حيث ينبت ذلك النبات الذي يسمى بالبردي وقد استطاعت الحضارة المصرية منذ عهد موغل في القدم أن تستغل هذا النبات في صناعة ذلك النوع من الورق الذي جاء فريداً في بابه وقد افتنت في صنعه وتجويده بحيث يغالب الزمن وصروفه ، واستطاعت أن تـكفل به حاجاتهـا الدينية والأدبية ، وأن عضي به شؤونها السياسية والادارية ، كما استطاعت أن تذيع به مكانتها في أنحاء العالم المتحضر ، حيث انتشر فيها ، وأصبح ضرورة من الضرورات التي لامعدى عنها

فلم يـكن عجيباً إذن أن يعرفه العرب ، ولا سيما أهل مكة ويثرب ، وهم - كما نعلم — أصحاب تلك المنزلة الظاهرة في التجارة القـديمة ، وبلادهم تقع على أحد الطرق الـكبرى للقوافل التجارية التي تربط بين أجزاء العالم القديم

وكلمة « قرطاس » التي عرف بهـا العرب ذلك النوع من الورق هي بعينها الـكلمة

اليونانية التي تدل عليـــه : خرتاس (Khartés) ، وهي التي جاءت منها الـكلمة اللاتينية Charta بذلك المعنى . وكذلك نقل الجواليقي والخفاجي أن هذه الـكلمة غير عربية الأصل [1]

وقد أنـكر شارح معرب الجواليقي ، الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر ، هذا الرأي ، معلقاً على عبارة الجواليقي بأن « هذا قول شاذ لم يحـكه غير المؤلف » ولـكن شذوذه — على فرض صحته — لا يمنع أنه قول صحيح صريح على الوجه الذي بينا ، من غير أن يدفعه أو يوهنه أن الـكلمة قرآنية ، كما يقول الأستاذ الشيخ أحمد شاكر في تعليقه ولم يجادل أحد من أهل اللغة في أن القرطاس يعني ذلك النوع الخاص من الصحف المتخذ من بردي مصر ، لا الصحيفة إطلاقاً ، كما يريد الأسـتاذ الشيخ شاكر أن يقول كما لا جدال — فيما هو ظاهر — أن العرب إنما عرفوه من هؤلاء الروم الذين كانوا يستوردونه من مصر ، فمن الطبيعي الذي لا غضاضة فيه أن يكون العرب قد عرفوه ، منذ عرفوه ، باسمه الذي كان يطلقه هؤلاء الروم عليه ويعرفونه به ، كما عرفوا المهارق باسمها الفارسي ولا فرق في هذا بين أن تـكون الـكلمة جاءت في القرآن أو لم تجيء فيه

على أنه إذا كان العرب قد عرفوا القراطيس — كما رأينا — في جاهليهم ، فليس يعني هذا شيوع آستعمالها بينهم ، إذ لم يكن أسلوب الحياة عندهم يدعو إلى كثرة آستعمال الورق ، إنما كان اصطناعهم إياها في نطاق ضيق محدود ومن ذلك ما نراه من أنهم كانوا في معظم أحوالهم يكتبون — حين لا يكون من الـكتابة بد — على هذه الأدوات البدائية المشتقة

---

(١) المعرب ، ص ٢٧٦ ، ط دار الـكتب المصرية ، شفاء الغليل ، ص ١٥٩ .

من بيئتهم ، كأكتاف الإبل والعسب واللخاف وما إليها . أما القراطيس فقدكانت ـ ولا ريب ـ بالقياس إلى هذه الحياة البدوية لوناً من ألوان الترف ، وهيهات أن يكون للترف نصيب في البادية . وكذلك كان من الطبيعي أن يقتصر بالقراطيس — كما كان يقتصر بالمهارق والرقوق — على ما كان يعتبر من مظاهر الحياة المتحضرة ، من كتابة العهود وتسجيل المواثيق وتدوين الكتب المقدسة ، عند سراتهم وأهل المنزلة الدينية الممتازة بينهم . أما ما عدا ذلك ففي تلك الأدوات البدائية القريبة اليسيرة ما فيه الكفاية .

وحسبنا في بيان هذا والدلالة عليه أن نذكر أن القرآن الكريم كان يكتب وقت نزوله على تلك المواد الأولية ، وظل مكتوباً عليها حتى اتجه أبو بكر الصديق إلى جمعه وضم بعضه إلى بعض ، ونسخه في الصحف . وقد كان ذلك الصنيع أمراً محتوماً لا بد منه ولا معدى عنه ، وعلى أن تلك الصحف التي كتب القرآن فيها لم تكن قراطيس ، وإنما كانت رقوقاً ، كما نجد النص على ذلك فيما أورده القلقشندي ، إذ يقول : « وأجمع الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرق ، لطول بقائه ، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ »[1] .

وأكبر الظن عندنا انه كان لكل من هذين الاعتبارين الذين ذكرهما القلقشندي مكان في اتخاذ المسلمين الرقوق في ذلك الوقت لصحف المصحف دون القراطيس . فهي — ولا ريب — أبقى على الدهر ، وأصبر على عوادي الأيام ، ولا سيما في تلك البيئة ؛ وهي ، من ناحية أخرى ، أوفر عندهم ، ولا سيما في زمان أبي بكر ، قبل فتح مصر ، وفي إبان تلك الحروب التي جعلت الدولة الاسلامية الناشئة تشنها على دولة الروم صاحبة السيطرة على مصر ، منبت البردي ومصدر القراطيس . وقد كانت الشام — وهي المصدر المباشر للقراطيس في بلاد العرب ، كما رأينا — هي مسرح هذه الحروب إذ ذاك .

وفتح المسلمون مصر في أيام الخليفة عمر بن الخطاب ، وبذلك أصبح أمر مصانع

---

(١) صبح الأعشى ٢ : ٤٧٥ .

القراطيس فيها إليهم ومع ذلك ظل استعمال هذا النوع من الورق في الدولة الاسلامية محدوداً ، إذ كان ما يزال يحمل اعتباره القديم لدى العرب ، وهو انه صنف رفيع مترف بالقياس إلى الرقوق وإن كانت ضرورات الحياة الجديدة في هذه الدولة الجديدة ، وحاجات التنظيم الاداري فيها ، ومقتضيات العلاقات السياسية المختلفة لها ، إلى غير ذلك مما استحدث من شؤون ، مما يضاعف — بطبيعة الحال — الشعور بالحاجة إلى مثل هذا النوع من الورق ، إذ هو على الأقل أيسر تداولاً وأخف محملاً ولكن أمر استعمال القراطيس ظل مرتبطاً بهذه الحاجة في أضيق حدودها ، وحيث لا يغنى عنها غيرها

وينقل القلقشندي عن محمد بن عمر المدائني ، صاحب كتاب القلم والدواة ، « أن الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها ، من عهد معاوية »[1] وفي هذا دلالة واضحة على أن صفة الترف ظلت ملازمة للقراطيس في الاعتبار العام ، حتى إن استعمال الخلفاء لها كان يعد من باب الامتياز الذي عتاز به على غيرها ، كما يقول المدائني، وبذلك ظلت الرقوق — كما كانت من قبل — المادة العامة الغالبة للصحف والكتابة ، كما ينص على ذلك ابن خلدون إذ يقول : « وكانت السجلات أولا لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد »[2] وقد استمر الأمر على ذلك أمداً غير قصير ، كما سنرى بعد

ولم يغير فتح العرب مصر شيئاً من صناعة القراطيس فيها وتجارها ، فقد ظلت المصانع على شأنها في إنتاج هذا النوع من الورق ، كما كانت تنتجه من قبل ، وظلت بلاد الروم تستورده منها كما كانت تستورده من قبل ، وكانت — فيما يبدو — أكبر عميل لهذه المصانع لم يتغيرشيء فيما يتصل بهذه الصناعة بتغير الولاية على مصر وتبدل الحالة السياسية

(١) صبح الأعشى ١ : ١٨٩

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٧ ، المطبعة الشرقية ، ١٣٢٢ هـ

فيها ، حتى لقد ظلت هذه القراطيس محتفظة بطرازها القديم المنقوش في رءوسها منذ كانت مصر بلداً من بلاد المسيحية ، لم يتغير منه شيء ، كأن لم تنتقل الولاية على مصر إلى الدولة الاسلامية ، ولم يصبح الاسلام دينها الرسمي ، وبقي الأمر على ذلك زمناً ، إلى أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ) ، وهو العهد الذي نضج فيه كيان الدولة السياسي ، وجعلت تنتبه إلى تحقيق مظاهر سيادتها المختلفة . وإذ ذاك أخذت الدولة تلتفت إلى هذه القراطيس وتوليها شيئاً من العناية ، فاتجهت إلى أن يكون طابعها طابعاً إسلامياً ، باعتبارها صناعة إسلامية ، إلى جانب كونها صناعة مصرية ، وهي بذلك إنما تحقق ذلك المظهر من مظاهر سيادتها ، بعد أن أغفلته أو غفلت عنه هذا الزمن الطويل ، إذ « كانت الأقباط — كما ينقل عن عوانة بن الحكم — تذكر المسيح في رءوس الطوامير ، وتنسبه إلى الربوبية ... وتجعل الصليب مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) »

ذلك كان طراز القراطيس المصرية منذ العهد المسيحي وسلطان الدولة الرومانية ، لم يتغير إلى أيام عبد الملك بن مروان ، وقد بلغت الدولة في أيامه غاية نضجها كما قلنا ، واستكملت سائر مقوماتها ، فكان من الطبيعي إلى تنتبه إلى ذلك الشذوذ ، وتغير ذلك النكر وكذلك طبعت الدولة القراطيس المصرية في ذلك العهد بطابعها الاسلامي. فجعلت مكان الطراز المسيحي القديم الذي يشير اليه عوانة بن الحكم طرازاً يعارضه : يرمز للعقيدة الاسلامية ويعبر عن الأصل فيها وكان هذا الصنيع الذي اتخذته سبباً في نشوب أزمة بينها وبين دولة الروم ، كما كان سبباً في تحقيق مظهر آخر من مظاهر سيادتها ، على النحو الذي نراه في القصة التي يحكيها البلاذري ، إذ يقول :

« قالوا : كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رءوس الطوامير ، من (قل هو الله أحد) وغيرها من ذكر الله ، فكتب اليه ملك الروم :

،نكم أحـــدثتم في قراطيسكم كتابـاً نكرهه ، فان تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه قال : فكبر ذلك في صـدر عبد الملك ، فكره أن يترك سنة حسنة سنها ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال له : يأبا هـاشم ، إحدى بنات طبق ! وأخبره الخبر . فقال : أفرخ روعك يا أميرالمؤمنين حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها ، واضرب للنـاس سككا ، ولا تعف هؤلاء الكفرة ممـــا كرهوه في الطوامير قال عبد الملك : فرّجتها عني ، فرّج الله عنك وضرب الدنانير [1] »

ومنذ ذلك الوقت طبعت القراطيس المصرية بالطابع الاســـلامي ، وحققت الدولة الاسلامية بذلك مظهراً من مظاهر سيادها ، كما أتاحت لها تلك الأزمة أن تحقق مظهراً آخر من مظاهر هذه السيادة في ناحية أخرى هى ناحية « النقد ، أو السكة » ، فصار لها نقدها الخاص بها ، بعد أن حرّمت دنانير الروم في بلاد الاسلام ومنع التعامل بها وقد كان من الآثار التي ترتبت على طبع القراطيس بالطابع الاسلامي ونشوء تلك الأزمة بين الدولتين بسبب ذلك أن امتنع تصدير القراطيس زمناً إلى بلاد الدولة الرومانية ، وكان ذلك ـ ولا ريب ـ أمراً شديداً على الروم ، لأن صناعة الورق كانت حتى ذلك الوقت ـ فيما يبدو ـ احتكاراً مصرياً خالصاً ، إذ لم يكن الورق الصيني قـد دخل بعد في نطاق التجارة العالمية

— ه —

ظلت صناعة الورق في الدولة الاسلامية صناعة مصرية خالصة ، طوال القرن الأول وأوائل القرن الثاني [2] ، حتى أخذ الورق الصيني ، وهو ما يسمى بالكاغد ، مكانه إلى جانب القرطاس المصري ، وأصبح صناعة من الصناعات الاسلامية .

---

(١) فتوح البلدان ، ص ٢٤١ ، المطبعة المصرية ، ١٩٣٢

(٢) ظاهر اننا نعنى بالورق هنا ما عدا الرقوق والمهارق

وكان ذلك الحدث الخطير في تاريخ الحضارة الاسلامية بعد أن امتدت فتوح المسلمين إلى ما وراء النهر ، وتاخمت بذلك الدولة الاسلامية بلاد الصين ، فكانت هذه المتاخمة سبباً في بعض المناوشات والمعارك التي كانت ما تزال تنشب بين الحاميات الاسلامية في ما وراء النهر وبين أهل الصين ، فنشأ بذلك نوع من الاتصال بين هؤلاء وأولئك ، ثم كان من آثار هذا الاتصال ان انتقلت صناعة الورق الصيني من بلاد الصين إلى بلاد المسلمين

وقصة هذا الانتقال أن جماعة المسلمين رجعوا في إحدى هذه المناوشات بطائفة من الأسرى، اسكنوهم سمرقند ، قصبة بلاد الصغد ، فاستقروا فيها ، وكانوا من صناع الورق الصيني ، فأنشأوا بها مصنعاً لصناعة ذلك النوع من الورق ، كما يذكر ذلك الثعالبي عن صاحب كتاب المسالك ، إذ يقول : « إنه وقع من الصين إلى سمرقند ، في سبي سباهم زياد بن صالح ، من اتخذ الكواغيد بها ، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند ، فعم خيرها والارتفاق بها الآفاق [1] »

وهكذا دخلت العربية كلمة جديدة ، هي كلمة « الكاغد » ـ ويقول هيار Huart ، في الفصل الذي كتبه تحت هذه الكلمة في دائرة المعارف الاسلامية ، إنها فارسية لعلها من أصل صيني ـ دالة على ذلك النوع من الورق المصنوع بذلك الاسلوب الخاص من الحشائش والالياف وانواع العشب الصيني ، كما كانت تطلق كلمة « القرطاس » على ذلك النوع الآخر المصنوع من البردي وكما انتهى الأمر بكلمة « القرطاس » إلى أن فقدت مدلولها الخاص ، واصبحت اطلاقاً عاماً على الورق ، كذلك كان شأن كلمة « الكاغد » ؛ حتى لنرى الفيروز بادي يقول في التعريف بها إنها القرطاس ، وحتى نرى هيار Huart في الفصل الذي أشرنا اليه ، وقد عقده للكلام عن الورق عامة ، يضع هذا الفصل تحت عنوان « الكاغد ».

(١) لطائف المعارف ، ص ١٢٦ ، ط بريل ، ليدن

وقد لا يكون من اليسير أن نعين على وجه الدقة والتحقيق التاريخ الذي اجتازت فيه صناعة الكاغد حدود الصين إلى بلاد المسلمين ، بالرغم مما استظهرناه في اجمال منذ قليل . وقد كان هذا التاريخ موضع خلاف عند المتقدمين ، كما نرى ذلك فيما ذكره ابن النديم عنه إذ يقول : « فاما الورق الخراساني (ويعنى به الكاغد ، كما هو ظاهر) فيعمل من الكتان ويقال إنه حدث في أيام بني أمية ، وقيل في الدولة العباسية ، وقيل إنه قديم العمل ، وقيل إنه حديث [1] » إذ يخلص من النص أن المتقدمين ذهبوا ثلاثة مذاهب في ذلك التاريخ ، يرى احدها أن الكاغد قديم في خراسان ، أي قبل الاسلام ، ويرى الآخر أنه دخلها في أيام الأمويين ، ويذهب الثالث إلى أنه إنما دخلها بعد قيام الدولة العباسية

على أن النص الذي أوردناه قبل لصاحب المسالك والممالك عن الأسرى الصينيين الذين رجع بهم زياد بن صالح إلى سمرقند وأسكنهم بها يعين أنها صناعة محدثة ، وأنها إنما دخلت خراسان في هذه الظروف ، وفي خلال تلك الغارات والمناوشات الناشبة بين المسلمين وأهل الصين ، في هذه الفترة التي كان يتولى فيها هذه المناوشات ويقود هذه الغارات زياد بن صالح هذا فمن عسى أن يكون هذا الرجل ؟ وفي أي وقت كان مناوشاته هذه ؟

هناك فيما وقع لنا ، فيما تتبعنا وتقصينا ، غير واحد يحمل هذا الاسم ، غير أن الذي يغلب على الظن وترجحه القرائن أن المقصود به في نص صاحب المسالك والممالك هو زياد بن صالح الخزاعي ، أحد نقباء الدعوة العباسية ، كما يذكر ابن جرير الطبري في حوادث سنة ١٣٠ وكان هو الذي استخلفه أبو مسلم الخراساني على الصغد وأهل بخارى بعد أن اخضعهم ، وفرغ من بناء حائط سمرقند ، وكان ذلك سنة ١٣٤ ولكنه لم يلبث إلا قليلا حتى ثار عليه ، وجمع حوله طائفة من خصومه ، فشخص أبو مسلم اليه . وانتهى أمر زياد بن صالح بأن قتل بيد أحد الدهاقنة ، سنة ١٣٥

---

(١) الفهرست ص ٣٢ ، ط مصر

هذا هو زياد بن صالح الخزاعي[1] ، فاذا صح ما رجحناه من أنه هو المقصود في ذلك النص ـ وتاريخ حياته على الصورة التي رأيناها يدعو إلى القول بأنه هو ـ كان لنا أن نقول في غير كبير تحرج إن تلك المناوشات التي كان من نتائجها ادخال صناعة الكاغد إلى خراسان ، إنما كانت في خلال تلك الفترة القصيرة التي تولى فيها أمر الصغد ، وكان فيها أميراً على سمرقند ، فيما بين سنة ١٣٤ ، ١٣٥

وبهذا نستطيع القول بأن هذه الصناعة قد انتقلت إلى بلاد الدولة الاسلامية في أوائل قيام الحكم العباسي ، أي في الوقت الذي أخذت فيه الدولة الاسلامية والجماعة الاسلامية جميعاً تتهيآن لاستقبال مرحلة جديدة من مراحل التعقد الحضاري ، في جميع صوره السياسية والاجتماعية والعلمية .

ولا ريب أن صناعة « الكاغد » أتاحت للحضارة الاسلامية مادة كان لا بد منها لهذه الحضارة التي أخذت في فترة قصيرة من الزمن تبسط اجنحتها وتمد نشاطها وتستولي على شتى الميادين التي يمكن أن تتمثل فيها ، كما أخذت تداخل حاجات الناس المادية والمعنوية مداخلة دائبة ملحة . فقد كان انتقال هذه الصناعة إذن إلى البلاد الاسلامية نوعاً من الاستجابة لهذه الحاجات الحضارية الملحة وأكبر الظن أنه لو لم تهيء الاقدار لها أن تنتقل من بلاد الصين إلى بلاد المسلمين ، على ذلك النحو الذي رأينا ، وفي مثل تلك الملابسات التي اتيحت لها ، لكان لا بد لهذه الصناعة أن تستحدث استحداثاً وأن تبتدأ ابتداء ، فقد كانت هذه الحاجات في حقيقة الأمر أقوى قوة وأعنف الحاحاً وأشد تغلغلا

---

(١) هناك شخصية أخرى تحمل اسم زياد بن صالح ، هي شخصية زياد بن صالح الحارثي ، وكان أميراً من أمراء الدولة الأموية ، إذ كان أمير الكوفة وقت قيام الدولة العباسية ، وكذلك كان من قواد الشام في موقعة واسط وقد خلط بين الشخصيتين واضع فهارس تاريخ الطبري ، فجعلهما شخصاً واحداً ، وجمعهما بهذا الاسم : زياد بن صالح النقيب الحارثي الخزاعي

في نواحي الحياة ، من أن يمكن الاكتفاء في الاستجابة لها بالرقوق ، أو بما تقدمه مصر من القراطيس ، محدوداً بحدود طاقاتها التي تتوقف أول شيء ، بطبيعة الحال ، على تلك المادة الأولية التي تصنع منها ، وهي « البردي » المقصور نباته على بعض النواحي من أرض مصر ، كما تتوقف على غير ذلك من الاعتبارات الصناعية

ومنذ تركزت في « سمرقند » صناعة الكاغد أصبحت من المدن المذكورة الكبيرة المنزلة في الدولة وفي أنحاء البلاد الاسلامية وقد استطاعت أن تحتفظ بهذه المكانة زمناً طويلا وسنرى فيما نستقبل من هذه الدراسة كيف كانت مصر في القرن الرابع تستورد الكاغد منها ، وما أبعد المسافة التي تصل بين مصر وبينها ، وذلك بالرغم من قيام كثير من المصانع التي تصنع الكاغد في أنحاء البلاد الاسلامية ولكن كاغد سمرقند كان صنفاً مشهوراً ، وكان له من المزايا والخصائص ما كان يجعل كثيراً من الخاصة يؤثره ويحرص عليه

وبإزاء الحاجات الحضارية المختلفة التي كانت تتضاعف باطراد ، كان من الطبيعي أن تصبح سمرقند قاصرة عن أن تكفيها وتفي بها . وبذلك قامت المصانع في كثير من أنحاء البلاد الاسلامية ، كما قلنا ، من العراق إلى الشام إلى الاندلس وان كنا لا نستطيع أن نتحقق ، على وجه الضبط واليقين العلمي ، متى بدأت صناعة الكاغد تتجاوز سمرقند إلى غيرها وإنما غاية ما نملك القول به هو أن القرن الرابع شهد عدداً من مصانع الكاغد مبثوثاً في مختلف البلاد ، مما نرجو أن نعرض له بعد أما قبل ذلك فليس لنا إلا ما ذكره ابن خلدون من أن الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي أنشأ صناعة الكاغد في بغداد على غرار ما رأى في سمرقند [1] ، وهو قول لا نجد في أنفسنا الطمأنينة اليه ، كما سنفصل القول فيه في موضعه من هذا البحث ، ان شاء الله

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٢١

ومهما يكن من أمر ، فقد أصبح الكاغد مادة من المواد الشائعة في الكتابة والتدوين ، كما اصبحت صناعته من الصناعات الاسلامية المنبثة في نواحي البلاد ، وقد اتخذت أفانين مختلفة

وفي أثناء ذلك كانت المنافسة التي امتحنت بها الرقوق والقراطيس من الكاغد منافسة جادة ، وكانت ما تزال تشتد شيئاً فشيئاً ، وقد أخذ شأنها يضعف في هذه المنافسة التي لم يستطيعا أن يصمدا لها ، لما كانت تمتاز به صناعة الكاغد من ممكنات صناعية لم تتح لهما ، ثم لأن الكاغد كان يمتاز ، فضلا عن ذلك ، بيسره وأنه أكثر ملاءمة للكتابة ، إذ كان على حد تعبير الثعالبي : « أحسن وانعم وأرفق وأوفق »

وقد انتهت هذه المنافسة بالنتيجة الطبيعية لها ، فقضى الكاغد على الرقوق والقراطيس ، وانفرد بأمر الكتابة ، كما أصبح هو وحده الذي يطلق اسم الورق عليه

للبحث بقية

الدكتور محمد طه الحاجري

أثر اللغة العربية في اللغة التاجيكية

الدكتور حسين علي محفوظ

القسم الثاني

[١٠]

المعاني الجديدة

ولا بد — في الكلام على تأثر التاجيكية بالعربية — من الاشارة الى اختلاف معاني الألفاظ بين العربية والتاجيكية ، واستعمال طائفة من الكلمات العربية بمعانٍ جديدة ، أو غريبة ؛ فمعنى :

(أ)

أخبار ـ خبر

استقامت ـ الحياة ، العيش

اشراف ـ شريف

اعضاء ـ عضو .

افكار عامه ـ الرأي العام .

ايجادات ـ آثار

(ب)

بديع ـ فني

بديعي ـ أدبي

بلاغت ـ البلوغ .

(ت)

تدارك ـ تحضير

تردد ـ تحضير ، اعداد ، هيئة

(ج)

جلب ـ مومس

جماعة ـ الشعب ، الأمة ، الناس

جواري مكه ـ الذرة .

(ح)

حاضر ـ الآن .

حافظ ـ مطرب ، مغني ، موسيقار .

حافظه ـ مطربة .

حجّت ـ وثيقة .

حسن وحسين ـ التوأمان ، الذكران الاكبر حسن والاصغر حسين

حق قلم ـ حقوق التأليف

حولي ـ فِناء الدار ، البيت .

(خ)

خلق ـ أمة ، شعب

خير ـ في دعة الله (عند التوديع) .

(ر)

رحمت ـ شكراً !

(س)

ساحة ـ موضوع ؛ حقل التخصُّص

(ش)

شمال ـ العاصفة ، الريح الشديدة

(ص)

صحّت ـ سالم

صحرا ـ مزرعة

صحنه ـ ساحة

صنف ـ طبقة

(ض)

ضعيف ـ امرأة

(ع)

عجيب ـ حسن ، جيّد ، زين

عنعنه ـ عادة ، سنّة .

عيب ـ الخطأ ، الغلط

(ف)

فاطمه و زُهرا ـ التوأمان الأنثيان كبراهما فاطمه أمّا اذا كانا ذكراً وانثى ، فان كانت الانثى أكبر فهي فاطمه وهو حسين وان كان الذكر اكبر ، فهو حسن وهي زهرا

فايض ـ بالمائة ./.

فلم حجّتي ـ فلم وثائقي

(ق)

قصبه ـ قرية .

قطار ـ سلسلة .

(ك)

كسل ـ مريض

(م)

مال تصادفي ـ البضاعة المستعملة

محنت ـ العمل .

مراتبه ـ مرّة .

مرحمت ـ تفضّل !

مركّبي ـ معقد .

مصلحت ـ رأي ، نصيحة

معقول ـ صحيح ، موافق

مفصّل ـ تام ، كامل .

مقابل ـ ضدّ

مورد ـ جهات ، نواحي ، نقاط .

(ن)

نهر ـ بحر .

(و)

وكيل ـ ممثّل .

ولا ننسى التنبيه ـ أيضاً ـ على تغيير صور جملة من الألفاظ ، مثل :

أبلاه اكبر ـ الله اكبر

اوقات ـ أقوات أي طعام ، غداء

اهاءله ـ اهالي .

لبى ـ لبيك .

مراتبه ـ مرتبة .

مطاءله ـ مطالعة

برز ـ نذر

نعلت ـ لعنة ... الخ

[١١]

الألفاظ العربية في الشعر المعاصر

وقـد احصيت الالفاظ العربية المستعملة في الشعر التاجيكي المعاصر ، في آثار سبعة عشر شاعراً ، هم :

صدر الدين عيني ـ الربع

أبو القاسم لاهوتي ـ الخمس

ميرزا ترسونزاده ـ اقلّ من الربع

پيرو سليماني ـ الربع

مير سيد مير شكر ـ الربع

عبد السلام دهاتى ـ الثلث

حبيب يوسفي ـ أقل من النصف .

باقي رحيم زاده ـ الثلث

محيي الدين امين زاده ـ أقل من النصف .

سهيلي جوهري زاده ـ أقل من النصف تقريباً

محمد جان رحيمي ـ أقل من الربع

امين جان شكوهى ـ النصف

محيي الدين فرحت ـ الربع

فيض الله انصاري ـ أقل من النصف

راضيه آزاد ـ اكثر من الربع .

گل چهره سليمانوه ـ اكثر من الثلث

اعظم صدقى ـ اكثر من النصف (١)

فعدّة الكلمات العربية :

النصف عند شاعر واحد ، والنصف تقريباً عند خمسة ، والثلث عند ثلاثة ، والربع عند ثلاثة ، والربع تقريباً عند ثلاثة أيضاً ، والخمس عند واحد

[١٢]

المآخذ التاجيكية من المعاني العربية

أما المآخذ التاجيكية من المعاني العربية ؛ ففي شعر الرودكي ٦٥ . وفي شعر كمال الخجندي ١١٦ ، وفي شعر مشفقى ٤٨ ، وفي شعر سودا ٥٦ ، وفي شعر شاهين ٤٦ ؛ غير ما تطفح به منظومته « ليلى ومجنون » وقد فصلت ذلك في كتابي « المآخذ التاجيكية من المعاني العربية » لكن اكتفي بانموذج من الشواهد

(١) نمونه هاي اشعار شاعران ساويتي تاجيك ص ٧ ، ١٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٨٤ ، ٩٦ ، ١٢٩ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ٢١١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ .

الرودكي

المتوفى سنة ٣٢٩ هـ

از شمار دوچشم يك‌تن كم | وزشمار خرد هزاران بيش [1]
[فلما رأوه وحده قبل جيشه | دروا أنّ كل العالمين فضول] [2]

***

رازيكه‌دلم زجان‌همى داشت نهفت | اشكم بزبان حال باخلق بگفت [3]
[وكاتم الحب يوم البين منهتك | وصاحب الدمع لاتخفى سرائره] [4]

***

تادرگه او يابى ، مگذر بدركس | زيرا كه حرامست تيمم بلب يم [5]
[وزارك بي دون الملوك تحرّج | اذا عن بحرٍ لم يجز لي التيمم] [6] [7]

***

زشت ونافرهخته ونا بخردى | آدمى روئى ، ودرباطن بدى [8]

و :

دانش او نخوب وچهرش خوب | زشت كرداروخوب‌ديدارست [9]
[اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت | له عن عدوٍ في ثياب صديق] [10] [11]

***

(١) آثار أبو عبد الله رودكي ص ٨٧ . (٢) ديوان المتنبي ص ٥١٩

(٣) آثار أبو عبد الله رودكي ص ١١٥ (٤) ديوان المتنبي ص ٦١

(٥) آثار أبو عبد الله رودكي ص ١٥٩

(٦) ديوان المتنبي ص ١٨١

(٧) أصل المعنى من الآية ٤٣ سورة النساء « ..فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » القرآن ٤ : ٤٣

(٨) آثار أبو عبد الله رودكي ص ٢١٢ . (٩) المرجع المذكور ص ٥٦

(١٠) ديوان أبي نواس ص ٩٦

(١١) أصل المعنى من حديث : « إياكم وخضراء الدمن » تراجم المجازات النبوية ص ٦١

به نو بهاران بستای ابر گریان را

که از گریستن اویست این زمین خندان [1]

[والارض تبسم عن بکاء سماء] [2]

***

میلفنج دشمن‌که دشمن یکی فزونست،ودوست‌ازهزار اندکی [3]

[وان قليلاً الف خل وصاحب وان عدواً واحداً لكثير] [4]

***

هردم که مرا گرفته خاموش پیچیده بعافیت چوفرغند [5]

[سلامة الانسان في حفظ اللسان] [6]

***

دایم برجان او بلرزم زیراك مادر آزادگان کم آرد فرزند [7]

[وامّ الصقر مقلات نزور] [8]

***

زهی فزوده جمال‌تو زیب آرارا شکسته سنبل زلف‌تومشك سارارا [9]

---

(١) آثار أبو عبد الله رودكي ص ٢٣٨

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ج ٢ ص ٢٤٧

(٣) آثار أبو عبد الله رودكي ص ٢٢٢

(٤) شرح المضنون به على غير أهله ص ٢٠ (٥) آثار أبو عبد الله رودكي ص ٢٤٢

(٦) مائة كلمة — أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ص ٤

(٧) آثار أبو عبد الله رودكي ص ٦٩

(٨) الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ج ٢ ص ٣٢٨

(٩) آثار أبو عبد الله رودكي ص ٤٩

[واذا الدر زان حسن وجوهٍ كان للدرحسن وجهك زينا][1][2]

***

این همه روزمرگ یکسانند نشناسی زیکدگرشان باز [3]

[ارى قبر نحّام بخيل بماله كقبر غويٍّ في البطالة مفسد] [4]

كمال الخجندى

المتوفى سنة ٧٩٦ ﻫ

بد هید گو طبیبان بکمال مرهم جان

چو سپرد جان بجانان چه کند دگردوار [5]

[كيف الرجاء من الخطوب تخلّصاً من بعد أن انشبن فيّ مخالبا] [6]

***

چشمت از گوشه تقوی بدرآوردمرا

مست وغلطان سوی اهل نظر آوردمرا [7][8]

[وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق][9]

***

(١) شرح المختار من شعر بشار ص ٧٤ .

(٢) وفي ديوان المتنبي ص ٣١٥ : « وفي عنق الحسناء يستحسن العقد »

(٣) آثار أبو عبد الله رودكي ص ٨٤

(٤) شعر طرفة / العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين ص ٥٨

(٥) أشعار منتخب كمال خجندي ص ٢٥

(٦) ديوان المتنبي ١٧٣ (٧) أشعار منتخب كمال خجندي ص ٢٢ .

(٨) المرجع المذكور ص ٢٦ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٢٩٠ ، ٣٠ فقد تكرر المعنى في شعره

(٩) ديوان المتنبي ص ٤٩٨

وصف روی تو کمال ارنکند نقصان نیست

نبود حاجت مشّاطه رخ زیبارا [1]

[وما الحلى إلا زينة لنقيصة تكتم من حسن اذا الحسن قصّرا]

[فأما اذا كان الجمال موفّرا كحسنك لم يحتج إلى أن يوفّرا] [2]

*
**

بمهر یوسف ازجان قطع کن قطع

به تیغی دست ببریدن چه کارست [3]

[الآية ۳۱ ـ سورة يوسف : « فلما رأينه أكبرنه وقطعن ايديهن »] [4]

*
**

باتو در دوزخ مرانار وعذاب وسلسله

خوشتر از رخسار وزلف حوریان جنتست [5]

[فاطلب العز في لظى وذر الذلّ ـ ولو كان في جنان الخلود] [6]

*
**

شهید تیغ عشق اربیگنا هست بجنت،جای مادر پیشگاه‌است [7]

[من عشق وعفّ فمات فهو شهيد] [8]

---

(۱) أشعار منتخب كمال خجندي ص ۳۲

(۲) الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق ص ۱۵۸

(۳) أشعار منتخب كمال خجندي ص ۱۸

(٤) القرآن ۱۲ : ۳۱

(٥) أشعار منتخب كمال خجندي ص ۸٥ (٦) ديوان المتنبي ص ۳٤

(۷) أشعار منتخب كمال خجندي ص ۱۱۲ .

(۸) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ج ۲ ص ۱۷۱

مشفقی

المتوفى سنة ٩٩٦ ﻫ

مشفقی از آن لب ودندان رسم روزی بکام

باید از ضعف بدن همچون خلالی شدمرا [(١)]

[روح تردد في مثل الخلال اذا　　أطارت الريح عنه الثوب لم يبن] [(٢)]

* * *

پیش جمال تو ماه تاب ندارد　　پرتومه تاب آفتاب ندارد [(٣)]

[الآية ٢ ـ سورة « والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها »] [(٤)]

[الآيـة ٤٠ ـ سورة يس « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار »] [(٥)]

* * *

چو شام تیره بود بی چراغ حسن تو روزم

اگر دروغ بگویم باین چراغ بسوزم [(٦)]

[فان نهاری ليلة مـدلهمة　　على مقلة من فقدكم في غياهب] [(٧)]

* * *

چون شکر را هوس لعل تورنجور کند

مـگسی رانتواندکه زخود دور کند [(٨)]

[طار الوشاة على صفاء ودادهم　　وكذا الذباب على الطعام يطير] [(٩)]

---

(١) منتخبات عبد الرحمن مشفقي ص ١٢٢　　(٢) ديوان المتنبي ص ٥

(٣) منتخبات عبد الرحمن مشفقي ص ١٢٢　　(٤) القرآن ٩١ : ٥

(٥) القرآن ٣٦ : ٤

(٦) منتخبات عبد الرحمن مشفقي ص١٤٥　　(٧) ديوان المتنبي ص ٣٢٧

(٨) منتخبات عبد الرحمن مشفقي ص ١٧١　　(٩) ديوان المتنبي ص ١٢

[وجلّ قدري فاستحلوا مساجلتي   انُ الذباب على الماذيّ وقّـاع] [1]

* * *

بى خيال روى خوبان نيست نظم مشفقى
گرچه صورت نيست برآب روان صورت پذير [2]

[الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء] [3]

سودا

المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ

از نيك وبد هرآنچه تخمى فشانده ئى
در مزرع اميدتو رويد گياه عمر [4]

[كلٌّ يحصد ما زرع ويجزى بما صنع] [5]

* * *

كنون اى دل‌أفروز فرّخ بنال   درائيم به‌ميدان سحر حلال [6]

[إن من البيان لسحرا] [7] [8] [9] [10] [11]

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي — شرح الواحدي ص ١٢٠

(٢) منتخبات عبد الرحمن مشفقى ص ١٩٢

(٣) شرح المقامات الحريرية — الشريشي ج ٢ ص ٣٤٨

(٤) منتخبات سودا ص ٩٩

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ص ١٧٣   (٦) منتخبات سودا ص ١٥٥

(٧) حديث ، في قصة الزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الاهتم — تراجع المجازات النبوية ص ٩٤ ، ومجمع الأمثال ج ١ ص ٥ ، وزهر الآداب ج ١ ص ٦ .

(٨) ولعمر بن عبد العزيز — في وفد أهل الحجاز — « هذا السحر الحلال » تراجع زهر الآداب ج ١ ص ٧

(٩) ولاحظ كلمة أبي تمام في مدح أبي‌سعيد محمد بن يوسف الطائي، في زهر الآداب ج ١ ص ٨ .

(١٠) مراسلات ابن العميد / زهر الآداب ج ١ ص ٨

(١١) واستعملها — أيضاً — علي بن العباس ؛ تراجع زهر الآداب ج ١ ص ٩

زمن داده نستان ومیکن طلاق مرامنتی‌نـه که‌هذا فراق [1]

[الآية ٢٠ ـ سورة النساء « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » [2] ، والآية ٧٨ ـ سورة الكهف « هذا فراق بيني وبينك » [3]

* * *

دل من کنون از سخن‌شـد دژم خموشی گزیم که جفّ القلم [4]

[جفّ القلم بما أنت لاقٍ] [5]

شاهين

المتوفى سنة ١٣١١ هـ

خیال روی‌تو پرتودهد به سینهٔ من که ماه رانشود درکتان نهان عارض [6]

بهیچ کسـوتم أزتن نرفت عریانی فروغ ماهم ودرجامهٔ کتان شده‌أم [7]

[القمر .. يبلى الكتان] [8]

* * *

مرا ازدردی می‌درد وداغ أو نرفت‌أزدل

که نتوان چهرهٔ خورشیدومه أندودن أزگلها [9]

---

(١) منتخبات سودا ص ١٥٩

(٢) القرآن ٤ : ٢٠

(٣) القرآن ١٨ : ٧٨

(٤) منتخبات سودا ص ١٦٣

(٥) تسهيل التحصيل ص ١٦٥

(٦) أشعار منتخب شاهين ص ٩٣

(٧) أشعار منتخب شاهين ص ١٠٥

(٨) الطرائف واللطائف في المحاسن والأضداد ص ١٦٧

(٩) أشعار منتخب شاهين ص ١٥

[من يقدر على ردّ أمس وتطيين عين الشمس] [1]

* * *

چون مه‌بدور چرخ هرانکس کمال یافت

جزکاستن أزونتوان چون هلال یافت [2]

[إذا تمّ أمرٌ بدا نقصه   توقع زوالاً إذا قيل تمّ] [3]

[متى ما ازددت من بعد التناهي   فقد وقع انتقاصي في ازدياد] [4]

* * *

زروزگار مجوقدر اگر تراهنرست   كه‌قدر أهل هنر روزگار میشكند [5]

[أفاضل الناس أغراض لذا الزمن   يخلو من الهم أخلاهم من الفطن] [6]

* * *

ببين تاچه سان گشته برشاخه خشك   گل اندرخسك همچو درنافه مشك [7]

[فإن تفق الأنام وأنت منهم   فإن المسك بعض دم الغزال] [8]

---

(١) مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٩٩

(٢) أشعار منتخب شاهين ص ٣٥

(٣) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ٢٨٥

(٤) ديوان المتنبي ص ١٣٨

(٥) أشعار منتخب شاهين ص ٥٩

(٦) ديوان المتنبي ص ٢٥٣

(٧) أشعار منتخب شاهين ص ٢٣٥

(٨) ديوان المتنبي ص ٢٩١

[كرمتما واعتــدى باللؤم غــيركما
والشوك والورد موجودان في غصن] [1] [2]

* * *

بيــاد زلف رخت روز من قرين شب‌ست
بدان خدای که‌لیل آفریده است و نهار [3]

[شمس النهار تقلّ ليلاً مظلما] [4]

[الآية ٣٣ - سورة الأنبياء « وهو الذي خلق الليل والنهار » [5]]

* * *

نــکند قطع طمع محتسب از رشوه بلی بجز ازخاك سيه پرنشود چشم بخيل [6]

[ثلمة الحرص لايسدها الا التراب] [7]

* * *

جز ببــالاي تورخسار نواى أفســـون خلق
هیچ‌کس دیدست در روی صنوبر قرص ماه [8]

[فكأنما كسى النهار بها دجا ليل واطلعت الرماح كواكبا] [9]

* * *

---

(١) قلائد العقيان ص ٣١٣

(٢) وفي لامية ابن الوردي :

وكذا الورد من الشوك وما ينبت النرجس إلا من بصل

تراجع ديوان ابن الوردي ص ٣٤

(٣) أشعار منتخب شاهين ص ٨٤

(٤) ديوان المتنبي ١٨

(٥) القرآن ٢١ : ٣٣

(٦) أشعار منتخب شاهين ص ١٠١

(٧) أساس الاقتباس ص ٨٤

(٨) أشعار منتخب شاهين ص ١٣٩

(٩) ديوان المتنبي ص ١٧٥

يك شهر ودوپادشه نگنجد　　　دوسر بيكى كله نگنجد [1]
[لا يجتمع فحلان في أجمة] [2]

* * *

هرچيز ترا رضاي خاطر　　　آنم شده مدّعاي خاطر [3]
[رضاك رضاي الذي أوثر　　　وسرّك سرّي فما أظهر] [4]

* * *

قاليست مرا چوفرش خانه　　　گوخيز حصير ازميانه [5]
[قوإصد كافور توارك غيره
ومن قصد البحر استقل السواقيا] [6]

* * *

سالى دوأ كرچه اوست بادوست　　　مانند دو مغز دريكى پوست [7]
[عهدى بنا والوصل يجمعنا　　　كاللوز توأمتين في قشر] [8]

[١٣]

الحكم والأمثال

وقد أوصلتني الموازنة بين الأمثال التاجيكية والعربية إلى أصل ١٥٠ من الحكم والأمثال التاجيكية في المأثور من طرائف الحكم وغرر الأمثال العربية ، منها :

١ — أول همراه بعد راه .

(١) أشعار منتخب شاهين ص ٢١٣
(٢) المتنبي وسعدي ص ١٣٢
(٣) أشعار منتخب شاهين ص ٢٤٥
(٤) ديوان المتنبي ص ٥١١
(٥) أشعار منتخب شاهين ص ٢٤١
(٦) ديوان المتنبي ص ٦٢٥
(٧) أشعار منتخب شاهين ص ٢٩٢
(٨) المتنبي وسعدي ص ١٨٣ .

الرفيق ثم الطريق [1]

٢ — اگر خواهی برتو ایراد نگیرند توبرخود ایراد بگیر

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا [2]

٣ — اگر خواهی روزی تراکسی نداند ، بادوست مگو ، کی اوهم دوست دارد

فلا تفش سرك إلا إليك فان لكل نصيح نصيحا [3]

٤ — اگر خواهی خفه نشوی حاسد مباش

الحسد داء لايبرأ [4]

٥ — ازبیم بلا بلاخوبست

در بلا باش ودر بیم بلانه

خبر مرگ بدتراز مرگ

ازبیرون بلا بودنه بدرون بلا باش

اذا هبت أمراً فقع فيه فان شدّة توقيه اعظم مما تخاف منه [5]

٦ — ازکوزه بیرول همان تراود کی دروست

كل اناء يرشح بما فيه [6]

٧ — بدانا اشارت باناداں کلتك

بدانا يك اشارت بس است

العبـــد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه الاشاره [7]

---

(١) أساس الاقتباس ص ١٠٣

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٢٥٠

(٣) الكامل ـ المبرد ج ٢ ص ١٥

(٤) مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٠٦

(٥) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩٤

(٦) مجمع الأمثال ج ٢ ص ٧٣

(٧) مجمع الأمثال ج ١ ص ٣١٤

۸ — بلا بآدم از زبان است

بلاء الانسان من اللسان [۱]

۹ — بلا وابسته با گپ

بلا وابسته باسخن است

ان البلاء موكّل بالمنطق [۲]

۱۰ — بالای مرده صد چوب

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرحٍ بميت ايلام [۳]

۱۱ — گل طرب بیخار طبع نتوان چید

والشوك لا يشكو جنايتـه   من كان مطلبه جنى الورد [٤]

۱۲ — زخم زبان بد راز زخم شمشیر

اززخم سخن زخم تبر به

زخم سنان برتن است وزخم زبان برجان

وجرح السيف تـدمله فيبرا   وجرح الدهر ما جرح اللسـان

جراحات الطعان لهـا التئام   ولا يلتام ماجرح اللسان [٥]

۱۳ — علت رود وعادت نه

ترك عادت امر محال

انتزاع العادة شديد [٦]

١٤ — انسان بکاری‌که منع کرده شده‌است حریصتر میشود .

---

(۱) أساس الاقتباس ص ٦٣
(۲) أساس الاقتباس ص ٦٦
(۳) ديوان المتنبي ص ۲۱۰ .
(٤) خريدة القصر ج ۱ ص ٤٣
(٥) المحاسن والأضداد ص ۲۰
(٦) مجمع الأمثال ج ۲ ص ۲۰۱

ابن آدم حريص على ما منع منه [1] .

١٥ — انسان بندهٔ احسان .

الانسان عبد الاحسان [2]

١٦ — آهن سرد كوفتن

هيهات تضرب في حديد بارد [3]

١٧ — پردمدازمورچو سرگش رسيد

اذا أراد الله اهلاك النملة انبت لها جناحين [4]

١٨ — رأى وتدبير از شجاعت بهتراست

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني [5]

١٩ — صبر كليد فرج است

صبر تلخ است وليكن برشيرين دارد

صبر تلخ عاقبتش شيرين

لئن كان بدء الصبر مرّاً مذاقه لقد يجتني من غبه الثمر الحلو [6]

٢٠ — صبر وظفر هر دودوستان قديمند .

النصر مع الصبر [7].

٢١ — سكوت علامت رضا .

السكوت أخو الرضا [8]

---

(١) تتبعات في اللغة والتاريخ والجغرافيا والادب ـ الدكتور حسين علي محفوظ

(٢) أساس الاقتباس ص ٤٢ (٣) مجمع الأمثال ج ٣ ص ٢٢٩

(٤) مجمع الأمثال ج ١ ص ٥٧ (٥) ديوان المتنبي ص ٥٩٤

(٦) الذخائر والأعلاق ص ٦٤ ، و « الصبر مفتاح الفرج » أساس الاقتباس ص ٤٤

(٧) أساس الاقتباس ص ٤٤ (٨) مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٤١

٢٢ — تدبير نصف معيشت
الاقتصاد نصف العيش [١]
٢٣ — تانفسست آرزو باقي
يشيب ابن آدم ويشب معه اثنان ؛ الحرص وطول الأمل [٢]
٢٤ — تا ترياق از عراق اورده شود آدم مار گزيده بميرد .
الى أن يجيء الترياق من العراق قد مات الملسوع [٣] .
٢٥ — عذر بد تراز گناه
عذر أحمق بد تراز جرمش
عذره أشد من جرمه [٤]
٢٦ — فرزند اگرچي عيبناك است درچشم پدر زعيب پاكست
فرزند بصورت أرچي زشتست درچشم پدر نكوسرشتست
زيّن في عين والدٍ ولده [٥]
٢٧ — فرزندميوهٔ إنسان أست
فرزند نغز باغ پدر .
ثمرة القلب الولد [٦]
٢٨ — غرقه در بحرچه انديشه كند طوفانرا
أنا الغريق فما خوفي من البلل [٧]
٢٩ — فارغ ست أزمدح وتعريف آفتاب
وصفات نور الشمس تذهب باطلا [٨]

---

(١) أساس الاقتباس ص ٧٢
(٢) أساس الاقتباس ص ٨٤ .
(٣) مجمع الأمثال ج ١ ص ٥٨ .
(٤) أساس الاقتباس ص ٥١
(٥) أساس الاقتباس ص ٩٥
(٦) الجامع الصغير ج ١ ص ٩٦ .
(٧) ديوان المتنبي ص ٤٨٨ .
(٨) سرح العيون ج ١ ص ٣٢ .

٣٠ — قدر نعمت بعد اززوال نعمت

قدر صحت را كسل ميداند

قدر آزادی‌را اسير داند

الصحة لايعرف مقدارها إلا من أصابه مرض [١]

٣١ — قدر آدم‌را آدم ميداند

انما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل [٢]

٣٢ — حولى نخر وهمسايه خر

الجار ثم الدار [٣]

٣٣ — حركت وبركت

الحركة بركة [٤]

٣٤ — هركى عيب ديگران پيش‌تو آوردوشمرد

بيـگمان عيب توپيش ديگران خواهــد برد

سبّك من بلّغك السب [٥]

٣٥ — هركى شيرين بفروشد بوى مگس بجوشد

ان الذباب على الماذىّ وقّاع [٦]

٣٦ — جواب أحمق سكوت

إذا كنت ذا عـلم وما أنت جاهل فاعرض ففي ترك الجواب جواب [٧]

---

(١) الذخائر والأعلاق ص ١٧٦ (٢) الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٤

(٣) أساس الاقتباس ص ١٠٦ (٤) مجمع الأمثال ج ١ ص ١٥٥ .

(٥) مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٢١ (٦) ديوان المتنبي ص ١٢٠

(٧) أساس الاقتباس ص ٦٦ ، ومجمع الأمثال ج ٢ ص ١٤٥

٣٧ — جهالت نقش برآب است

مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الصخر ، والذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء [١]

الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر [٢]

(٣٨) جان باجان خون باخون

« وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاذن بالاذن والسنّ بالسن والجروح قصاص » [٣]

---

(١) شرح المقامات الحريرية ج ٢ ص ٣٤٨ .

(٢) اللؤلؤ المرصوع ص ٣٤

(٣) سورة المائدة / ٥ : ٤٥ .

المراجع

(١) آثار أبو عبد الله رودكي (استالين آباد ١٩٥٨)

(٢) أساس الاقتباس ـ اختيار الدين بن السيد غياث الدين الحسيني (القاهرة ١٣٢٣ هـ)

(٣) أصول الفاظ اللهجة العراقية ـ محمد رضا الشبيبي (بغداد ١٩٥٦)

(٤) الافصاح في فقه اللغة ـ عبد الفتاح الصعيدي ، وحسين يوسف مرسي (مصر ١٣٤٨/١٩٢٩)

(٥) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ـ ابن السيد البطليوسي (بيروت ١٩٠١)

(٦) برهان قاطع ـ محمد حسين بن خلف التبريزي (طهران ١٣٣٦ ش)

(٧) تاج العروس ـ السيد محمد مرتضى الزبيدي (مصر ١٣٠٧)

(٨) تاجيكسكي رسكي سلفر (موسكو ١٩٥٤)

(٩) تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ج ٣ (مصر ١٩٣١)

(١٠) تاريخ بيهقي ـ خواجه أبو الفضل محمد بن حسين بيهقي (طهران ١٣٢٤ ش)

(١١) تحرير النحو العربي ـ إبراهيم مصطفى ، وجماعة (مصر ١٩٥٨)

(١٢) تذكرة الشعراء ـ أمير دولتشاه السمرقندي (ليدن ١٣١٨)

(١٣) ترجمه سرگذشت حاجي باباى اصفهاني ـ حاجي شيخ أحمد كرماني (كلكته ١٩٢٣)

(١٤) تسهيل التحصيل ـ أوغوست فيشر (ليبسيغ ١٩١٣)
(١٥) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ـ الجلال السيوطي (القاهرة ١٣٥٨ هـ)
(١٦) چهار مقاله ـ عروضي سمرقندي (ليدن ١٣٢٧ هـ)
(١٧) الحكمة الخالدة ـ جاويدان خرد ـ مسكويه (القاهرة ١٩٥٢)
(١٨) الحوادث الجامعة ـ ابن الفوطي ؟! (بغداد ١٣٥١ هـ)
(١٩) خريدة القصر وجريدة العصر ـ العماد الاصفهاني (القاهرة ١٣٧٠ هـ)
(٢٠) داود پوتا ـ تأثير الشعر العربي في تطور الشعر الفارسي / بالانكليزية (بمبي ١٩٣٤)
(٢١) ديوان ابن الوردي (قسطنطينية ١٣٠٠)
(٢٢) ديوان أبي الطيب المتنبي/شرح الواحدي ـ فريدرخ ديتريصي (برلين ١٨٦١)
(٢٣) ديوان أبي نؤاس (القاهرة ١٢٧٧ هـ)
(٢٤) الذخائر والاعلاق في آداب النفوس ومكارم الاخلاق ـ سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الاشبيلي (القاهرة ١٢٩٨)
(٢٥) رحلة ابن بطوطة ـ محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم الطنجي المعروف بابن بطوطة (مصر ١٣٤٦/١٩٢٨)
(٢٦) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ـ محمد بن قاسم بن يعقوب (القاهرة ١٢٨٠ هـ)
(٢٧) زهر الآداب وثمر الألباب ـ الحصري القيرواني (القاهرة ١٩٥٣)
(٢٨) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ـ ابن نباتة المصري ، هامش الغيث المسجم (القاهرة ١٣٠٥ هـ)
(٢٩) سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار ـ الحاج شيخ عباس القمي (النجف ١٣٥٥ هـ)

(٣٠) سودا ـ منتخبات (استالين آباد ١٩٥٩)
(٣١) شاهين ـ أشعار منتخب (استالين آباد ١٩٥٩)
(٣٢) شذا العرف في فن الصرف ـ الشيخ أحمد الحملاوي (القاهرة ١٣٤٥/١٩٢٧)
(٣٣) شرح المختار من شعر بشار صنعة الخالديين ـ التجيبي (القاهرة ١٣٥٣ هـ)
(٣٤) شرح المضنون به على غير أهله ـ عبيدالله بن عبد الكافي بن عبد المجيد العبيدي (القاهرة ١٩١٥)
(٣٥) شرح المقامات الحريرية ـ الشريشي (القاهرة ١٣٠٦ هـ)
(٣٦) ضرب المثل ومقالهاي تاجيكي ـ نشريات دولتي تاجيكستان (ستالين اباد ١٩٦٠)
(٣٧) الطرائف واللطائف في المحاسن والأضداد ـ أبو نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسي (بغداد ١٢٨٣ هـ)
(٣٨) عبد الرحمن مشفقي ـ منتخبات (استالين آباد ١٩٥٩)
(٣٩) العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين (غريفزولد ١٨٦٩)
(٤) عيون الانباء ـ إبن أبي أصيبعة (بيروت ١٩٥٧)
(٤١) غرر الحكم ودرر الكلم ـ الآمدي (صيدا ١٣٤٩ هـ)
(٤٢) الفائق ـ الزمخشري (حيدر آباد ١٣٢٤ هـ)
(٤٣) فرهنگنامه هاي عربي بفارسى ـ منزوى (طهران ١٩٥٩)
(٤٤) القاموس المحيط ـ مجد الدين الفيروز ابادي (القاهرة ١٩١٣)
(٤٥) القرآن / الموافق للمصحف الاميري طبعة سنة ١٣٤٢ هـ (القاهرة ١٣٥٧ هـ)
(٤٦) قلائد العقيان ـ الفتح بن خاقان (القاهرة ١٣٢٠ هـ)
(٤٧) الكامل ـ المبرّد (القاهرة ١٣٥٥ هـ)
(٤٨) كتاب أشعار الحماسة (بن ١٨٢٨)

(٤٩) كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ـ حفني بك ناصف، وجماعة (القاهرة ١٣٣٧/١٩١٩)
(٥٠) كمال خجندي ـ أشعار منتخب (استالين آباد ١٩٥٩)
(٥١) اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع ـ القاوقجي الحسني المشيشى (القاهرة ١٣٠٥ هـ)
(٥٢) لباب الألباب ـ محمد عوفي (ليدن ١٣٢٤ هـ)
(٥٣) مائة كلمة ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام/الجاحظ (صيدا ١٣٢٤هـ)
(٥٤) المباحث اللغوية في العراق ـ الدكتور مصطفى جواد (القاهرة ١٩٥٥)
(٥٥) المتنبي وسعدي ـ الدكتور حسين علي محفوظ (طهران ١٩٥٧)
(٥٦) المجازات النبوية ـ الشريف الرضي (القاهرة ١٩٣٧)
(٥٧) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، الجزء الاول (مصر ١٩٣٥)
(٥٨) مجمع الامثال ـ الميداني (القاهرة ١٣١٠ هـ)
(٥٩) المحاسن والأضداد ـ الجاحظ (القاهرة ١٣٥٠ هـ)
(٦٠) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ـ الراغب الأصبهاني (القاهرة ١٣٢٦ هـ)
(٦١) مختار الصحاح ـ الرازي (القاهرة ١٩٣٦)
(٦٢) المخصص ـ ابن سيده (القاهرة ١٣١٦ هـ)
(٦٣) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ سبط ابن الجوزي (حيدر آباد الدكن ١٣٧٠ هـ)
(٦٤) معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة (دمشق ١٩٥٧)
(٦٥) عونه هاي أشعار شاعران ساويتي تاجيك (استالين آباد ١٩٥٨)
(٦٦) نهج البلاغة ، المختار من كلام مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ طبعة مطبعة الاستقامة بمصر
(٦٧) الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ـ الشيخ حسين المرصفي (القاهرة ١٢٩٢ هـ)

فهرست المخطوطات العربية
في خزانة قاسم محمد الرجب ببغداد

بقلم كوركيس عواد

تمهيد

في أثناء اختلافي إلى « مكتبة المثنّى » ببغداد ، وقفت في جملة ما تزدخر به من كتب ، على طائفة من المخطوطات العربية ففاتحت صاحب المكتبة ، صديقي الأستاذ قاسم محمد الرجب ، برغبتي في اقتناء شيء منها فأعلمني انه لا يبغي بيعها ، بل يود أن يحتفظ بها في خزانته الخاصة التي أنشأها في داره

ثم وقفت بعد ذلك في تلك المكتبة ، على طائفة أخرى من المخطوطات ولما تساءلت عنها ، أُجبت أن أمرها أمر سالفتها

ولما بان لي أن لا سبيل إلى اقتناء ما رغبت في اقتنائه من هذه المخطوطات ، طلبت من الأستاذ الصديق ، أن أتولى « فَهْرَسَةَ » مجموعها ، خدمةً للثقافة العربية ، وتعريفاً للأدباء والباحثين بهذه المخطوطات التي لا تخلو من نوادر ونفائس . فلم يتردد في أن يضع بين يديّ جميع هاتيك المخطوطات ، لأطّلع عليها وأتفرّغ لتأليف « فهرست » بها

فأقبلت على تصفحها واحدةً واحدة ، ووضعت فيها هذا الفهرست الموجز ، الذي أُرجو ان يجد فيه محبو التراث العربي والمعنيون بشؤون المخطوطات العربية بعض الفائدة

يبلغ عدد مجلدات هـــذه المخطوطات التي أفهرسها اليوم (١٦٥) مجلداً أكثرها مقتنىً بين سنة ١٩٥٠ و ١٩٦٣ من العراق ومصر وسوريا وقد أخبرني الأستاذ قاسم ، انه لن يألو جهداً في توسيع مجموعته الخطية وتنميها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ولعلّي أوفق في المستقبل لفهرسة ما قد أحرزه من مخطوطات أخرى

أما الطريقة التي اتّبعها في تأليف هذا الفهرست ، فهي إني ذكرتُ اسم الكتاب ، ثم اسم مؤلفه ، وسنة وفاته ، وتاريخ كتابة المخطوطة ما أمكن ذلك فالأرقام المسبوقة بحرف « ن » تدل على الســـنة التي توفي فيها المؤلف اما الأرقام المحصورة بين قوسين (   ) فتشير إلى سنة كتابة المخطوطة وكلا التاريخين بالسنين الهجرية

وقد بوّبت هذه المخطوطات ، وفق الموضوعات الآتية :

ارقام المخطوطات

١ ـ ٧٠ الدين (القرآن الكريم علوم القرآن الحديث الفقه . العقائد الأدعية التصوف الردود المناظرات)

٧١ ـ ٨١ اللغة (المعجمات الالفاظ اللغوية الصرف النحو) .

٨٢ ـ ١٠٤ الأدب (النثر الشعر القصص)

١٠٥ ـ ١١٧ التاريخ والتراجم والسِيَر

١١٨ ـ ١٣٢ العلوم (الطب . البيطرة الرياضيات الفلك الكيمياء)

١٣٣ ـ ١٣٩ موضوعات شتى (الإجازات الفلسفة الخراج الفتوة الخط الحسبة الصناعات)

١٤٠ ـ ١٦٥ المجاميع

وقد وضعت بازاء كل مخطوط ، رقماً تسلسلياً ولم يَفُتْني ان أثبت ذلك الرقم على المخطوط نفسه ، تيسيراً للمراجعة

رجعتُ في تأليف هذا الفهرست ، إلى مراجع كثيرة ، أهمها :

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : لاسماعيل باشا البغدادي

معجم المطبوعات العربية والمعرّبة : ليوسف اليان سركيس

الأعلام : لخير الدين الزركلي

معجم المؤلفين : لعمر رضا كحّالة .

فهرست دار الكتب المصرية

مخطوطات الموصل : للدكتور داود الجلبي

الكشّاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف [ببغداد] : للدكتور محمد أسعد طلس

الذريعة إلى تصانيف الشيعة : للشيخ اغا بُزُرْك

فهرست المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية

Brockelmann , Geschichte der Arabischen Litteratur

١ — الدين

١ أحكام الأواني والظروف وما فيها من الظروف : لابن العماد (رسـالة تملّكها بعضهم سنة ١١٩٨

٢ إحياء علوم الدين : لابي حامد الغزالي ت ٥٠٥ الجزء الأول منه (٨٠٢)

٣ إرشاد المريد لجوهرة التوحيـد : لعبد السلام بن ابراهيم اللقاني المالكي ت ١٠٧٨ (١٠٤٢)

٤ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ويعرف بتفسير البيضاوي : لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي . ت ٦٨٥ نسخة كاملة بخط دقيق ٩٣٧

٥ البستان ، أو بستان العارفين (في الأحاديث والآثار الواردة في الآداب الشرعية والخصال والأخلاق وبعض الاحكام الشرعية) : لأبي الليث السمرقندي ت ٣٧٥ ناقص الآخر

٦ بيان المَغْنَم في الوِرْد الأعظم : لأحمد بن ابراهيم الشهيد المعروف بابن النحّاس الدمشقي ت ٨١٤ (٩١٤)

٧ التوضيح على مقدمة الصلاة لأبي الليث السمرقندي : لمصطفى القَرَمَاني . ت ٨٠٩ (٨٤٠)

٨ التيسير في القراءات السبع : لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت ٤٤٤ نسخة قديمة (٧٣٠)

٩ التيسير في القراءات السبع : نسخة ثانية (١٠٨٧)

١٠ الجامع الصحيح : لمحمد بن اسماعيل البخاري ت ٢٥٦ الجزء الثالث من نسخة عتيقة جداً

١١ الجامع الصغير من حديث البشير النذير : لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ (١١٦٠)

١٢ الجامع الصغير : نسخة ثانية نفيسة (١١٥٧)

١٣ حاشية على شرح جمع الجوامع (في أصول الفقه) : لعلي بن أحمد البخاري الشعراني الشافعي ، فرغ منها سنة ٩٧٠ (١٢٨٢)

١٤ الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين : لمحمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي ت ٨٣٣ (٩٩٥)

١٥ الحصن الحصين : نسخة ثانية

١٦ حواش على فتح المجيب والقول المختار في شرح أبي شجاع المسمى بالتقريب وغاية الاختصار : لشهاب الدين أحمد القليوبي ت ١٠٦٩ (١١٨٠)

١٧ دامغة المبتدعين وناصرة المهتدين (تصوّف) : لحسام الدين حسن بن شرف التبريزي : ت نحو ٧٩٠ نسخة عتيقة

١٨ الرسالة (في الفقه المالكي) : لأبي محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني ت ٣٨٩ (١٠٩٦)

١٩ روضة المتقين : لمحمد بن عبد اللطيف بن الملك الرومي كان حياً قبل ٨٠٦

٢٠ شرح أصول البزدوي : كتب في بخارى سنة ٦٨٦ .

٢١ شرح الحضرمية : لابن حجر الهيتمي ت ٩٧٤ شرح فيه « المقدمة الحضرمية » في الفقه الشافعي لعبد الله بن عبد الرحمن الحضرمي ت ٩٠٣ (١٢٦٩)

٢٢ شرح الشاطبية ، المعروف بـ « سراج القاري المبتدي وتذكرة المقري المنهي » : لعلاء الدين علي بن عثمان ابن القاصح ت ٨٠١ (٩٦١)

٢٣ شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور : لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ ناقص الاول (١٠٣٠)

٢٤ شرح طوالع الأنوار (في علم الكلام) : الطوالع للقاضي البيضاوي ت ٦٨٥ والشرح لمولانا يوسف جلالي (٨٢٤)

٢٥ شرح عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة : لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي ت ٧١٠ (٩٧٧ ؟)

٢٦ شرح المقدمة الجزرية (في التجويد) : لطاش كوبري زاده ت ٩٦٨

٢٧ شرح المقدمة الحضرمية في فقه السادة الشافعية (١٠٥٤)

٢٨ شروح القـدوري المسمى بالكشف (في فروع الحنفية) بخط قاسم بن عبد الله (٨٥٦)

٢٩ شرعةالاسـلام إلى دار السلام : لمحمد بن أبي بكر بن فضل بن ابراهيم ، المعروف بإمام زاده (٩٤٢)

٣٠ الصارم القرضاب في نحر مَن سبّ أكارم الصحاب : ديوان شعر لعثمان بن سند البصري ت ١٢٤٢ على رواية

٣١ عيون الأخبار (في المواعظ) : لأبي محمد عيسى بن أحمد بن علي اللخمي الاشبيلي الأندلسي ت ٤٢٠ (١٢١٤)

٣٢ الغاية القصوى في دراية الفتوى : للقاضي البيضاوي ت ٦٨٥ (٧٢٣)

٣٣ غنية المتملّي في شرح مُنية المصلّي : لابراهيم الحلبي ت ٩٥٦ (١١١٢) .

٣٤ فتاوى شرعية : لعبد الله المدرس بمدرسة يوسف باشا (١١٠٤)

٣٥ الفتح المبين لشرح الأربعين : لابن حجر الهيتمي ت ٩٧٤

٣٦ [كتاب] الفرائض بخط تعليقي حسن

٣٧ [كتاب] القُدُوري على مذهب الإمام الاعظم أبي حنيفة نسخة جيدة مذهبة

٣٨ القرآن الكريم نسخة قديمة كبيرة الحجم

٣٩ القرآن الكريم نسخة مذهبة القرن ١٣ هـ

٤٠ القرآن الكريم نسخة مذهبة

٤١ القرآن الكريم نسخة مذهبة حسنة (١٠٨٨) .

٤٢ القرآن الكريم نسخة مذهبة (١٢١٥) .

٤٣ القرآن الكريم نسحة مذهبة (١٢٠٠)

٤٤ القرآن الكريم (١٢٤٤) .

٤٥ القرآن الكريم . نسخة مذهبة حسنة الخط

٤٦ القرآن الكريم نسخة حسنة مذهبة (١٢٥٦) بخط محمد حمدي بن عثمان القروي الشهير بصقاللي زاده

٤٧ القرآن قطع صغير

٤٨ جزء من القرآن الكريم مذهب بخط مصطفى حلمي تلميذ الحاج محمد الوصفي (١٢٨٥)

٤٩ جزء من القرآن الكريم . مذهب بخط محمد عبد المحسن بن حسن باشا (١٢٦٨) .

٥٠ [كتاب] القسطاس : لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥ نسخة حديثة غير كاملة

٥١ قطعة من كتاب في الحديث النبوي قديمة ، مذهبة ، حسنة .

٥٢ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي . ت ٩٠٢ تملكها بعضهم سنة ١٠٣٩

٥٣ كتاب في الفقه بالتركية (١١٢٢)

٥٤ كتاب في قراءات القرآن (١٢٦٨)

٥٥ كنز الدقائق في فروع الحنفية : لأبي البركات النسفي ت ٧١٠ (١١٣٢)

٥٦ المختار للفتوى : لعلي بن أبي بكر المرغيناني ت ٥٩٣ نسخة حسنة قديمة

٥٧ مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين من أحاديث سيد المرسلين (١٠٩٩)

٥٨ مشارق الأنوار ومسارح الانظار (حديث) ، ويعرف بمشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية : لرضي الدين حسن بن محمد الصغاني ت ٦٥٠ (٨٢٥)

٥٩ مشارق الأنوار نسخة ثانية (٨٢٤)

٦٠ مصابيح السُنّة (في الحديث) : للحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦

٦١ مصابيح السُنة نسخة ثانية عتيقة

٦٢ مصابيح السُّنّة . الجلد الثاني من نسخة أخرى (٩٨١)

٦٣ المكرّر فيما تواتَرَ من القراءات السبع وتحرّر : لسراج الدين أبي حفص عمر بن قاسم المصري الأنصاري المشهور بالنشار (٩٣٨)

٦٤ ملتقى الأبحر (في فروع الحنفية) : لابراهيم الحلبي ت ٩٥٦ (١١٦٤) .

٦٥ مهاج العابدين : لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥ (٧٩٦)

٦٦ المواهب اللدنية : لأحمد بن الخطيب القسطلاني ت ٩٢٣ المجلد الأخير

٦٧ النجم الوهّاج في شرح المنهاج : لكمال الدين الدميري ت ٨٠٨ المجلد الرابع (٩٨٠)

٦٨ النحو المفيد لأهل السلوك في علم التوحيد : لعلي بن ميمون المغربي ت ٩١٧

٦٩ نضد القواعد الفقهية على مذهب الامامية : للمقداد بن عبد الله بن حسين السيوري الحلي الأسدي ت ٨٢٦ و « القواعد » لمحمد بن مكي الملقب بالشهيد الأول ت ٧٨٦ (٨٨٥)

٧٠ اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر لعبد الوهاب الشعراني ت ٩٧٣ (١١٣٦)

٢ — اللغة

٧١ شرح التصريف العزي : لسعد الدين التفتازاني . ت ٧٩٣ (٨٦٨)

٧٢ شرح ديباجة المصباح (في النحو) : للسيد علي زاده و « المصباح » للمطرزي ت ٦١٠ (٩٥٤)

٧٣ شرح ديباجة المصباح نسخة ثانية

٧٤ شرح الشافية (في علم الصرف) : لفخر الدين أحمد الجار بردي ت ٤٧٦ (٧٣٤) .

٧٥ شرح قطر الندا وبلّ الصدا : لابن هشام الأنصاري النحوي ت ٧٦١ (١١٨٣)

٧٦ شرح كتاب في النحو (١١٧٠)

٧٧ شرح كتاب في النحو (٨٦٣)

٧٨ الفائق في اللغة : لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ نسخة جيدة

٧٩ كتاب سيبويه (في النحو) : لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه ت ١٨٠ . كتبت لخزانة الشيخ علي الليثي (١٢٩٥)

٨٠ المفصّل في صناعة الإعراب : لجار الله الزمخشري ت ٥٣٨ نسخة قديمة ، يلي الكتاب قصيدة في « المؤنثات السماعية »

٨١ مقدمة الأدب (في اللغة) لجار الله الزمخشري ت ٥٣٨ آخرها مخروم

٣ — الأدب

٨٢ تخميس البُردة نسخة حسنة الخط

٨٣ تخميس همزية البوصيري : لمحمد الملقب بالرضا ابن الشيخ أحمد النحوي . نسخة مذهبة نفيسة جداً (١٣٠٧)

٨٤ الُخطَب : لأحمد البوني ت ٦٢٢ (٧٤٣)

٨٥ الُخطَب : النباتية ، وتُعرف بديوان خُطب ابن نباتة : لعبدالرحيم ابن نباتة الفارقي. ت ٣٧٤ نسخة قديمة حسنة ، بخط أبي عبدالله محمد بن علي بن مظفر النقاش البغدادي (٥٩٩)

٨٦ ديوان ابن معتوق : لشهاب الدين الموسوي الحويزي المعروف بابن معتوق ت ١٠٨٧ نسخة نفيسة (١٢٣٣)

٨٧ ديوان البُرَعي : لعبد الرحيم بن أحمد البُرَعي اليمني ت ٨٠٣

٨٨ ديوان بهاء الدين زهير ت ٦٥٦ نسخة حديثة (١٢٧٧)

٨٩ ديوان الحماسة : لأبي تمّام ت ٢٢٨ نسخة حسنة (١٣٠٤) قابلها وصححها السيد أحمد الفحّام

٩٠ رشف الزلال من السحر الحلال : لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ نسخة حديثة بخط جميل

٩١ رشف الزلال . نسخة ثانية منقولة بالآلة الكاتبة

٩٢ روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار : لابن الخطيب قاسم ت ٩٤٠ (٩٦٧)

٩٣ شرح البديعية في مدح النبي : لناظمها اسماعيل بن محمد بن أبي بكر المقري الشافعي اليمني ت ٨٣٧ (٨٥٨)

٩٤ شرح الهمزية في المدائح النبوية : لابن حجر الهيتمي ت ٩٧٤ (١٠٤٤) .

٩٥ الشهاب في الحِكَم والآداب : لمحمد بن سلامة بن حكمون القضاعي الشافعي ت ٤٥٤ . نسخة نفيسة حديثة (١٣٠٧) .

٩٦ غُرر الفوائد ودُرر القلائد : المعروفة بأمالي السيد الشريف المرتضى . نسخة حسنة في أولها فهرست هذا الكتاب مقسماً على مجالس بلغت اثنين وثمانين مجلساً بخط محمد بن أحمد الحسيني النجفي الطالقاني (١١٤٩)

٩٧ كتاب في الصَبوح : سقط شيءٌ من أوله ، فلم يُعرف مؤلفه الذي يبدو انه من أهل القرن الرابع للهجرة . ومن فصوله :

الورقة ٣٦ ب الأمراء والوزراء وطرائف أخبارهم في الشراب
« ٥٠ ب الطبقة الثالثة : في العامة والُخلعاء والمُجّان .
« ٥٦ ا الطبقة الرابعة : في أخبار الشعراء ونادر ما جرى لهم من حديث وشعر
« ٦٣ ا ذكر المتنزهات والشرب على المياه والبساتين المورقة والرياض المونقة
« ٨٧ ب ذكر ما قيل في الثقلاء ومَن اختار الوحدة

كتبت النسخة سنة ٦٨٨

٩٨ كتاب في المحاضرات الأدبية : جمع محمد بن الحسين بن أحمد الدامغاني رتبه على خمسة أقسام :

القسم الأول : في ذكر لله تعالى واكتساب الفضائل والعلم والآداب وما يتعلق بها وهو ستون باباً

القسم الثاني : في الرذائل والاخلاق الذميمة وما يناسبها وهو خمسة عشر باباً

القسم الثالث : في المكاتبات وما يتعلق بها وهو ثلاثة وعشرون باباً

القسم الرابع : في العشق والمحبة وذكر المحبوب والوصال والهجران وما يتعلق بها . وهو اثنا عشر باباً

القسم الخامس : في الأشياء المتفرقة والأصناف المتنوعة . وهو ثمانية وأربعون باباً

تاريخ النسخة (٨١٠)

٩٩ مجموعة موشحات لابن سناء الملك : بشكل سفينة .

١٠٠ المروج الزكية في توشية الدروج الخطابية : لعبد الله بن محمد بن عبد الله الزكي العزي الحنفي المشهور بابن الحنبلي منه نسخة في الاسكوريال مؤرخة بسنة ٨٩٧ . والكتاب في صناعة الانشاء نفيس

١٠١ المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية : لابن مرزوق التلمساني المغربي المالكي ت ٩٠١ (١١٥٧)

١٠٢ مُفيد العلوم ومُبيد الهموم : لأبي بكر الخوارزمي ت ٣٨٣ نسخة جيدة قديمة

١٠٣ مقاصد القصائد في شرح قصيدة البردة : لمحمد بن محمد سعدي المعروف بابن الشيخ نسخة حديثة

١٠٤ نسيم الصبا : لابن حبيب الحلبي . ت ٧٧٩ (١٢٧٩)

١٠٥ أخبار عمر بن عبد العزيز : لم يذكر فيه اسم مؤلفه الذي يبدو لنا أنه متأخر عن أزمنة من ألّف في سيرة عمر بن عبدالعزيز، كابن عبدالحكم (ت ٢١٤)، وأبي بكر محمد ابن الحسين الآجرّي (ت ٣٦٠)، وأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧) فقد وجدناه (الورقة ١٢ آ) يروي عن ابن الجوزي رتبه على اثني عشر باباً نسخة عتيقة حسنة الخط، ناقصة الأول والآخر

١٠٦ الانتصار للأولياء الأخيار : ليوسف بن الملا عبد الجليل بن مصطفى الخضري الجليلي الموصلي . ت ١٢٤١ (١٣٠٩)

١٠٧ تاج التراجم في طبقات الحنفية : لقاسم بن قطلوبغا ت ٨٧٩ نسخة كتبت في القسطنطينية (١٠٥٤)

١٠٨ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : لحسين بن محمد الديار بكري ت ٩٦٦ الجزء الأول

١٠٩ تاريخ الخميس : للديار بكري الجزء الثاني

١١٠ جواهر السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك انتهى به مؤلفه الى حدود سنة ١١٩٤ هـ . النسخة بخط مغربي

١١١ السرّ الصفي في مناقب سيدي شمس الدين محمد الحنفي : لعلي بن عمر الشهير بابن البتنوني الحنفي (كان حياً في أواخر القرن التاسع للهجرة) وقد توفي شمس الدين محمد الحنفي سنة ٨٤٧ نسخة قوامها جزآن في مجلد واحد تاريخ الأول ١١٠١ والثاني ١٠٣٩

١١٢ عجائب المقدور في أخبار تيمور : لأحمد بن عبد الله الدمشقي الأنصاري المعروف بابن عرب شاه ت ٨٥٤ (١٢٧٣)

١١٣ قصص الأنبياء : لا يعرف مؤلفه وهو غير « قصص الأنبياء » للكسائي ، وللثعلبي رتبه مؤلفه على مجالس المجلد الأول منه : وينتهي عند آخر المجلس الثاني والعشرين نسخة قديمة قُوبلت في حلب سنة ٧٨٩

١١٤ الكواكب الدرّية في مدح السادة الصوفية : لعبد الرؤوف المناوى ت ١٠٣١ (١٠١١)

١١٥ مختصر السيرة النبوية ، المعروفة بالسيرة الحلبية : لعلي بن برهان الدين الحلبي ت ١٠٤٤ (١١٣٧)

١١٦ وفيات الأعيان : لابن خلكان ت ٦٨١ المجلد الأول

١١٧ وفيات الأعيان المجلد الثاني (١١١٣) .

٥ — العلوم

١١٨ أصول صناعة الأحكام وجُملها والطرق الى التصرّف فيها واستعمالها (في التنجيم) : لأبي الحسن كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي (كان حياً سنة ٤٥٩)

١١٩ أقراباذين الأسباب : وكتاب « الأسباب والعلامات » [في الطب] لنجيب الدين السمرقندي ت ٦١٩ مجلد منه ، يبدأ بأدوية الرأس (٧٨٠) .

١٢٠ تحرير كتاب أوقليدس : لنصير الدين محمد بن محمد الطوسي . ت ٦٧٢ وهو في أصول الهندسة والحساب ، تتخلله أشكال هندسية (١٠٩٠)

١٢١ تذكرة الكحّالين في العين وأمراضها : لعلي بن عيسى الكحّال ت ٤٣٠ . نسخة عتيقة من القرن السادس للهجرة ضاع شيء من أولها وآخرها

١٢٢ تقويم فلكي : لرضوان أفندي الفلكي بخط المؤلف (١١٢٢)

١٢٣ الدرّ المنظم في السرّ الأعظم ، المعروف بكتاب مفتاح الجفر : لابن أبي طلحة العدوي الجفّار ت ٦٥٢ . نسخة حسنة يتخللها صور ملونة (١١٠٤)

١٢٤ الرحمة في الطب والحكمة : لمحمد المهدي بن علي الصبيري اليمني ت ٨١٥ . (١١٨٠) .

١٢٥ شرح تذكرة الكحالين في العين وأمراضها (٨٠٥) والأصل لعلي بن عيسى الكحال ، وقد مرّ في الرقم ١٢١

١٢٦ شرح تذكرة المعرفة لأبقراط (في الطب) : لبدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك الطبيب (كان حياً سنة ٦٤٥) (١٠٩٠) .

١٢٧ شرح المقدمة المنظومة في علم الحساب : لعلي الأُجْهُوري ت ١٠٦٦

١٢٨ غاية الانتفاع في معرفة الدائر وفضله من الفلك من قبل الارتفاع (في علم الميقات) . في صفحة العنوان أنه لأبي العباس أحمد الصوفي وفي « فهرس المخطوطات المصورة » (٣ [العلوم : الفلك ـ التنجيم ـ الميقات] ص ٧٦ الرقم ١٤٩) أنه لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ت ٣٩٩ (١٢١٢)

١٢٩ غاية السرور في شرح ديوان الشذور وكتاب « شذور الذهب » في الأكسير: لأبي الحسن علي بن موسى الحكيم الأندلسي ت ٥٠٠ وشرحه لبرهان الدين أيدمر الجلدكي ت ٧٦٢ (١٠٩١)

١٣٠ كامل الصناعتين البيطرة والزردقة : لأبي بكر ابن المنذر البيطار ، أحد البياطرة باصطبل الملك الناصر محمد بن قلاوون ت ٧٤١ ويُعرف هذا الكتاب أيضاً « الناصري » نسبة الى السلطان الملك الناصر ، و « كاشف الويل في معرفة أمراض الخيل » نسخة حديثة

١٣١ كتاب البيطرة ، وما يتعلق بالدواب الجيد منها والرديء والصحيح والسقيم وما يلائم ذلك من الأمراض والعلل وكيفيها والأسباب العارضة لذلك وعلاماتها : لا يعرف مؤلفه نسخة حسنة (٩٠٢)

١٣٣ الموجز في الطب : لعلي بن أبي الحزم القرشـــي المعروف بابن النفيس ت ٦٨٧ .
نسخة كُتبت في حلب (٩٤٤)

٦ — موضوعات شتى

١٣٣ إجازة علميــة : أجاز بها علي رضا بن يوسف ضيــا المغلوي ، تلميــذه مصطفى عاصم ابن محمد طاهر بن مصطفى عاصم العشاقي ، في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٣٤

١٣٤ تهافت الفلاسفة : لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥ (١٢٩٧)

١٣٥ كتاب الخراج : للإمام أبي يوسف الأنصاري ت ١٨٢

١٣٦ رقاع خطية : بالخط الفارسي الجميل ، مجلدة في مجلد قد زُوّقت هوامشه

١٣٧ كتاب الفتوّة في طريق الشـــدّ والعد : لا يُعرف مؤلفه أوله : « الحمد لله الذي جعل الفتوّة لباس التقوى » . (١١١١)

١٣٨ النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتـــاج إليها في علم الميقات [الليقات] : لشمس الدين محمد بن أبي الخير الحسنى الأرميوني المالـكي (القرن ١٠ هـ)

١٣٩ نهاية الرتبة في طلب الحسبة : لعبد الرحمن بن نصر الشـــيزري ت نحو ٥٨٩
مكتوبة في القرن ١٢ هـ

٧ — المجاميع

١٤٠ مجموعة فيها :

١ ـ كتاب في الطب : ناقص الأول .

٢ ـ منهاج الدكان ودستور الأعيــان : لأبي المنى داود بن أبي النصر المعروف بالعطار الاسرائيلي ناقص الآخر

١٤٩ مجموعة فيها :

١ ـ الحكم المشرقية : وهي قصة حي بن يقظان وسلامان وابسال لابن طفيل. ت ٥٨١

٢ ـ رسالة في الأدعية

٣ ـ الحكم العطائية ، وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة : لابن عطا الله السكندري ت ٧٠٩ (١٢٠٥) .

٤ ـ فائدة في الحث على ملازمة حضور الجماعة في الصبح والعصر

٥ ـ قصيدة في الصعود الى الطور ومشاهدة موضع المناجاة المشهورة بتجلي النور : لعلي الدرويش ت ١٢٧٠

٦ ـ قصيدة ، مطلعها : « يا زائراً القبرقف بالقبرمعتبراً» : للأمير الشرفي المغربي .

٧ ـ رسالة في النحو والصرف والمعاني : لعبدالله الشبراوي(كان حياًسنة١٢٥٧) .

٨ ـ فوائد في أعمال الليق : ناقصة الأول والآخر

٩ ـ أرجوزة في علمي البيان والمعاني

١٠ ـ قصيدة تسمّى الغالية في ذكر الأطعمة الحالية وتسمى أيضاً « الأنيسة في ذكر الأطعمة النفيسة » : نظمها علي بن عبدالرحيم الشبكشي السيوطي المالكي.

١١ ـ القصيدة الشاذلية

١٢ ـ قصيدة في الأدعية

١٣ ـ منهج الطلاب : قصيدة لحسن بن علي البدري العوضي الحسيني المقري

١٤ ـ مجموع مشتمل على أحزاب وأدعية وغير ذلك .

١٥ ـ إرشاد الغوي لمعنى اللفظ اللغوي : لعبد الله الادكاوي (١١٧٨) .

١٦ ـ صلوات على سيد السادات

١٧ ـ وظائف السادة الصوفية (١٢٦١) .
١٨ ـ النسجة النفحية في نظم الرسالة الفتحية : وهي منظومة في علم الجيب
١٩ ـ أسماء الصحابة البدريين
٢٠ ـ رسالة في معرفة سياسة الخيل : لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ (١٢٦٤)
٢١ ـ عقيدة أبي مدين في التوحيد
٢٢ ـ المقدمة في علم الحساب (١١٧٢)

١٤٢ مجموعة فيها :
١ ـ كتاب الأربعين في أصول الدين : لفخر الدين الرازي . ت ٦٠٦ .
٢ ـ فائدة من معارج القدس (تصوف)
٣ ـ في الكشف عن الخواطر من كتاب التعرّف في مذهب أهل التصوّف
٤ ـ رسالة في أهوال أهل القبور
٥ ـ مختصر إحياء علوم الدين للغزالي .
٦ ـ رسالة بالفارسية : للغزالي
٧ ـ كتاب الشيخ أبي سعيد أبي الخير الى الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا ، وجواب ابن سينا عليه .

١٤٣ ـ مجموعة فيها :
١ ـ فوائد منقولة من شرح ديوان ابن الفارض
٢ ـ الوصية اليوسفية على حروف المعجم
٣ ـ كتاب وجيز في تدوين علم الكُمُون والبروز مشيراً الى الحقائق والدقائق والكنوز (فلسفة) نسخة نفيسة
٤ ـ الايساغوجي في المنطق : لأثير الدين الأبهري ت ٦٦٣ . (١٢٦٠)

٥ ـ تاج العروس في تهذيب النفوس (تصوف) : لابن عطا الله السكندري الشاذلي ت ٧٠٩ .

٦ ـ الكوكب السيّار الى قبور الأبرار : لعلي بن جوهر السكري ذكر فيه بعض ما بقي من بقايا الأضرحة الموجودة في زمانه بالقرافتين الكبرى والصغرى وسفح الجبل المقطم وغير ذلك

١٤٤ مجموعة فيها :

١ ـ القصيدة الهمزية في المدائح النبوية : لمحمد بن سعيد البوصيري ت ٦٩٦

٢ ـ البُردة ، وتعرف بالكواكب الدرية في مدح خير البرية : له

١٤٥ مجموعة فيها :

١ ـ كتاب في علم الفرائض (٨٢٦)

٢ ـ مسائل الفرائض : ليحي بن أبي بكر الحنفي

١٤٦ مجموعة فيها :

١ ـ المكتسب في زراعة الذهب (في الكيمياء) : لأيدمر بن علي الجلدكي . ت ٧٦٢

٢ ـ ترتيب الاكسير : لبرهان الدين ابن أرفع رأس ت ٥٩٣

١٤٧ مجموعة فيها :

١ ـ تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على كتاب شفاء الأجسام وكتاب الرحمة : لابراهيم بن علي بن ابي بكر الأزرق اليمنى ألّفه سنة ٧٩٣

٢ ـ قصيدة من كتاب كنز العلوم تجمع أصل علم الطب ومراعاة حفظ الصحة .

٣ ـ برء الساعة : لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازي ت ٣٢٠

٤ ـ حجاب عظيم (في الأدعية)

١٤٨ مجموعة فيها :

١ ـ الرحمة في الطب والحكمة : للصبيري . وأنظر الرقم ١٢٤

٢ ـ السيف الباتر : وهي رسالة في الردود : لعلي بن أحمد الهيتي (كان حياً سنة ١٠٢٥) . (١١٨٤)

١٤٩ مجموعة فيها :

١ ـ القصيدة الهمزية في المدائح النبوية : للبوصيري ت ٦٩٦

٢ ـ القول المبين في التكبير سنة المكيين (١١١٨)

٣ ـ رسالة في القراءة : لسعد الدين بن أحمد بن مصطفى البصير الموصلي ، أجاز بها ولده محمد أمين (١١٧٨)

٤ ـ شرح الجزرية في القراءات (١٠٧٧) .

٥ ـ رسالة في القراءات (ناقصة الأول)

٦ ـ القواعد المقررة والفوائد المحررة (في القراءات) : لمحمد بن قاسم بن اسماعيل البقري الشافعي ت ١١١١

١٥٠ مجموعة فيها :

١ ـ فوائد منقولة من كلام القصيري في اصطلاح الصوفية : جمع فيها مصطلحات الصوفية على حسب السياق الهجائي ، وشرحها

٢ ـ شرح كلمات يتداولها أهل طريق الله : لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥

٣ ـ باب يذكر فيه جماعة من الصوفية من المتقدمين منهم : وهو في تراجم جماعة من رجال الصوفية

٤ ـ باب في تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة (الصوفية)

٥ ـ منتخبات من كتاب « مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم » في

التصوف : لمحيي الدين ابن عربي ت ٦٣٨

١٥١ مجموعة فيها :

١ ـ التحريرات الرائعة : لمحمد بن محمد المغربي الغيلالي ألفها سنة ١١٥٥ في حياة النبي وقبره

٢ ـ النفحات المعنوية في المبشرات النبوية : له (١٢٧٥) .

٣ ـ الاعلام بحكم عيسى عليه السلام : لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ . (١٢٧٥).

٤ ـ نظم أسماء الله الحسنى ، المسماة بالدمياطية

٥ ـ قصيدة ميمية : لمحمد باقي الحسني الكردي الشهرزوري مطلعها :

حمداً لمن يأتي بالنور من الظلم صلِّ وسلّم على الموصوف بالكرم

١٥٢ مجموعة فيها :

١ ـ حاشية على شرح المقولات (في الفلسفة) للسجاعي : لحسن بن محمد العطار ت ١٢٥٠ (١٢٥٦) .

٢ ـ مفيد الصبيان في علم البيان

٣ ـ المقدمة المزيجفية في علم الحساب : لمحمد بن عمر بن هاشم الخزاعي المزيجفي (١١٦٦)

٤ ـ رسالة في النحو (١٢٤٥)

٥ ـ رشف الزلال في معرفة استخراج مكث الهلال بطريقي الحساب والجداول : لرمضان بن صالح الخوانكي ت ١١٥٨ (بخط المؤلف)

٦ ـ رياض النيّرين إلى فعل الكسوفين (منظومة)

٧ ـ برد الظلال في تكرير السؤال : لجلال الدين السيوطي ت ٩١١

٨ ـ الطرق الواضحات في عمل المناسخات (في الفرائض) : لمحمد بن محمد الشهير

بعرفة الأرموي الصالحي الشافعي ت ٧١٦

٩ ـ شرح البسملة : لمحمد بن علي الصبّان ت ١٢٠٦

١٠ ـ شرح رسالة الوضع العضدية : لأبي القاسم السمرقندي فرغ منه سنة ٨٨٨.

١١ ـ نجاة الروح وكنز الفتوح (في العقائد) : لعلي الزناني الخلوتي فرغ منها سنة ١٢٠٧

١٢ ـ رسالة مشتملة على ما يتعلق بالمساجد : لعلي بن عبد البر الونائي الشافعي . ت ١٢١١ (١١٩٥)

١٣ ـ مسلسلات وأسانيد منتقاة من كتاب جلال الدين أبي الفتوح أحمد بن عبد الله الحكيم الطاوسي الأبرهوقي ألفه سنة ١١٩٥

١٤ ـ عقيدة التوحيد وهي متن السنوسية : لمحمد السنوسي ت ٨٩٥. (١٢٦٣)

١٥ ـ نَسَب النبي (ص)

١٦ ـ لامية الأفعال : لمحمد بن عبد الله بن مالك النحوي . ت ٦٧٢

١٧ ـ رسالة في أوائل كتب الحديث

١٨ ـ النص الثابت في مسألة النابت (في علم الحساب) بخط مؤلفها سنة ١١٥٧

١٩ ـ رسالة في الحساب والمساحة (ناقصة الأول)

٢٠ ـ رسالة في الأطوال والعروض نقلاً عن ياقوت الحموي

٢١ ـ كشف الزواق عن صرف الجامعة للأواق (فرائض) : لأبي العباس أحمد بن الأبّار (بخط مغربي)

٢٢ ـ الدرة البيضاء في علم الفرائض : لعبد الرحمن الأخضري (بخط مغربي)

٢٣ ـ الدرّ والترياق في علم الأوضاع والأوفاق : لعبد الرحمن الجرجاني

٢٤ ـ رسالة في الفصد .

٢٥ ـ تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية : لأحمد بن الفتاح المجيري الملوي الشافعي ت ١١٨١ (١١٥١)

١٥٣ مجموعة فيها :

١ ـ رسالة في مولد النبي

٢ ـ رسالة في علم الحساب

١٥٤ مجموعة فيها جملة رسائل لأحمد بن زين العابدين الصديقي البكري ت ١٠٤٨ . وهي :

١ ـ رشف الزلال عن تبسّم ثغر السؤال

٢ ـ الكوكب الوهاج في هداية الحجاج (أرجوزة)

٣ ـ تبلّج فجر اللقا في مشاهد أهل التقى

٤ ـ لسان المحبة والأشجان في حقائق الحقائق والعرفان .

٥ ـ زهرة البستان وثمرة الجنان

٦ ـ فتق الرتق لإظهار الحق

٧ ـ فيض الفياض في شواهد الرياض

٨ ـ هاتفة التكريم في أسرار الجيم

٩ ـ لسان الحقيقة والمجاز فيما ورد من فيوضات الحجاز

١٠ ـ إقامة الشواهد بين الشاهد والمشاهد

١٥٥ مجموعة . فيها :

١ ـ رسالة فلكية في العمل بنصف الدائرة (ناقصة الأول)

٢ ـ رسالة في معرفة العمل بالربع الأفاقي : لمرتفع بن حسن بن مرتفع .

٣ ـ مختصر المقاصد : لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني ت ١١٢٢ . أختصر فيه كتاب « المقاصد الحسنة في الأحاديث المشهرة على الألسنة » للسخاوي ت ٩٠٢ .

١٥٦ مجموعة فيها :

١ ـ قصائد، منها قصيدة « البردة » و « المنفرجة »

٢ ـ رسالة في الأدعية .

٣ ـ مجموعة أدعية

١٥٧ مجموعة . فيها :

١ ـ شرح أشكال التأسيس (في الهندسة) الأصل لشمس الدين محمد بن أشرف السمرقندي (ت نحو ٦٠٠) والشرح لموسى بن محمد الشهير بقاضي زاده الرومي ألفه سنة ٨١٥ (١٠٢٣)

٢ ـ خلافيات الحكماء مع المتكلمين وخلافيات الأشاعرة مع الماتريدية : لعبد الله ابن عثمان بن موسى المعروف بمسبحي زاده

٣ ـ خلاصة الحساب : لبهاء الدين العاملي . ت ١٠٣١ (١١١٨)

١٥٨ مجموعة فيها :

١ ـ شروط الصلاة

٢ ـ كتاب في الحديث النبوي نسخة قديمة، ناقصة الأول

١٥٩ مجموعة فيها :

١ ـ رسالة في واجب الوجود : لابن كمال باشا . ت ٩٤٠

٢ ـ رسالة في الالهيات : له

٣ ـ رسالة في إثبات الصانع : لجلال الدين الدواني . ت ٩١٨

٤ ـ نبذة منقولة من جامع الأصول

٥ ـ رسالة في نسبة الجمع (في اللغة) : لابن كمال باشا

٦ ـ رسالة في البعضية والتبعيضية : له .

٧ ـ رسالة في زيارة القبور : له

٨ ـ رسالة في تحقيق المشاكلة : له

٩ ـ رسالة في بيان الأسلوب الحكيم وتمييزه عن الأساليب المعتبرة عند أرباب البلاغة وأصحاب البراعة : له

١٠ ـ رسالة في تحقيق وضع « كادَ » وتوضيح طريق استعماله : له

١١ ـ رسالة في تحقيق معنى الليس والأيس : له

١٢ ـ رسالة في بحث الوجود الذهني : له

١٣ ـ رسالة مرتبة في مقالة القائلين بالحال من أصحابنا وأصحاب الاعتزال : له .

١٤ ـ رسالة في استناد القديم إلى المؤثر (في علم الكلام) : له

١٥ ـ رسالة في حقيقة الجسم : له

١٦ ـ رسالة في الفرق بين العلم بالوجه والعلم بالشيء من ذلك الوجه : للسيد الشريف الجرجاني ت ٨١٦

١٧ ـ الرسالة الوضعية : للقاضي عضد الدين ت ٧٥٦

١٨ ـ رسالة في بيان معنى الجعل وتحقيق إن نفس الماهية مجعولة : لابن كمال باشا

١٩ ـ رسالة في قولهم : أكثر من أن يُحصى ، وأشهر من أن يخفى ، وأكثر من أن يضبطها القلم : لطاش كوبري زاده ت ٩٦٨

٢٠ ـ رسالة في أثر أفعال ليست معللة بالأغراض : للشريف الجرجاني .

٢١ ـ رسالة في ضبط أصول الفرائض على أصل الحنفية

٢٢ ـ مختصر في علم الأخلاق : للقاضي عضد الدين

٢٣ ـ حاشية حسام جلبي على العلة والمعلول .

٢٤ ـ حاشية على أول حواشي التجريد .

٢٥ ـ حاشية على حواشي التجريد

٢٦ ـ رسالة في بعض الأسئلة والأجوبة على المواقف

٢٧ ـ حاشية الخيالي على التجريد

٢٨ ـ رسالة في التعليق على كتاب التلويحات

١٦٠ مجموعة فيها :

١ ـ الرسالة الحسابية في علم المواقيت

٢ ـ رسالة متعلقة بمعرفة طرق الآلة ، وتسمى بفصول الشركة (فلك)

٣ ـ دقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق : لمحمد سبط المارديني الموقّت الشافعي ت ٩٠٧

٤ ـ رسالة في معرفة العمل بالمقنطرات .

٥ ـ رسالة الجيب الجامعة (فلك)

١٦١ مجموعة فيها :

١ ـ رسالة في الأعمال الأسطرلابية : لبهاء الدين العاملي ت ١٠٣١

٢ ـ رسالة في العمل بالربع المجيّب

٣ ـ رسالة في مسائل الربع الكامل

٤ ـ رسالة في العمل بالربع المرسوم بالمقنطرات : لشهاب الدين أحمد بن المجدي ت ٨٥٠

١٦٢ مجموعة فيها :

١ ـ عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب (في الورق والحبر والخط والأقلام والليقات وسائر أدوات الكتابة)

٢ ـ النجوم الشارقات في ذكر الصنائع المحتاج إليها في علم الميقات [الليقات] أنظر

نسخة أخرى في الرقم ١٣٨

١٦٣ مجموعة فيها :

١ ـ شرح الرسالة المسماة إيضاح الإشارة في المجاز والاستعارة : لمحمد بن عبد الرحمن اليوسي (١٢٨٢)

٢ ـ الأوراق في (علم) التصريف

٣ ـ الايساغوجي في المنطق : لأثير الدين الأبهري ت ٦٦٣ .

٤ ـ خالص النفع في بيان المطالب السبع (في علم الكلام) لأحمد بن الحسن الخالدي المعروف بالجوهري . ت ١١٨٢

٥ ـ منوّرة قلوب أهل العرفان في إثبات ان كمالات الله غير منحصرة : لأحمد الجوهري

٦ ـ خطاب الذاكرين بنفحةٍ من نفحات عين اليقين (تصوف) : لأحمد بن محمد المدني المعروف بالقشاشي (١٠٤٩)

٧ ـ شرح أبيات من قصيدة القطب الدسوقي

٨ ـ منظومة في علم الجبر

٩ ـ الجامع الصغير في علم العربية : لابن هشام الأنصاري النحوي ت ٧٦١ (١٠٧٥)

١٠ ـ رسالة في التعاريف النحوية

١١ ـ الرسالة الأندلسية في علم العَروض : لمحمد بن أبي الجيش الأنصاري الأندلسي. ت ٧٥٠

١٢ ـ أرجوزة في الزحاف والعِلل (في علم العَروض) : لشهاب الدين أحمد الشهير بقاعود السَّنَفي .

١٣ ـ نظم البحور (في علم العَـروض) : لعبد اللطيف العشماوي

١٤ ـ أدعية

١٥ ـ صفة أولي الأبصار والألباب وأضدادهم الحائدين عن الصواب : لجلال الدين السيوطي ت ٩١١

١٦٤ مجموعة فيها :

١ ـ رسالة في واجب الوجود

٢ ـ رسالة في الوضوء والصلاة : لأحمد بن إدريس

٣ ـ حديث عن النبي (ص)

١٦٥ مجموعة فيها :

١ ـ جمع الجوامع في العربية : لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ . نسخة قديمة كتبت في حياة المؤلف سنة ٨٨٣

٢ ـ رسالة في الأحاديث التي يتضمنها كتاب جمع الجوامع للسيوطي

٣ ـ رسالة طبية في معالجة بُحُوحة الصوت وخشونته

كوركيس عواد

السيد علي آل طاووس

٥٨٩ — ٦٦٤ هـ

حياته — مؤلفاته — خزانة كتبه

الشيخ محمد حسن آل ياسين

آل طاووس أسرة عراقية جليلة أخرجت جملة من الأعلام في المائتين السابعة والثامنة تولوا شؤون النقابة والزعامة الروحية في أواخر عصور الدولة العباسـيـة ، ثم في الدولة الايليخانية المغولية ، وعالجوا الكتابة والتأليف في علوم الدين والفقه والشريعة والأنساب وماكان على شاكلتها من المواضيع

وكان أبرز أعلام هذه الأسرة ـ السيد النقيب رضي الدين علي (*) بن سعد الدين أبي إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد الطاووس (١)

(*) كان المصدر الرئيس والوحيد لنا في بحثنا هذا بكامله مؤلفات السيد علي آل طاووس نفسه

(١) كان محمد هذا رائع الحسن جميل الوجه ولم تكن قدماه مناسبة لحسن صورته فلقب بالطاووس ، ويرجع هو وولده في الاصل الى مدينة سورا ـ بالقرب من الحلة ـ حيث كان من أوائل من ولي النقابة فيها، ثم انتقلت ذريته بعد ذلك الى الحلة يراجع البحار : ٢٥ / ١٩ وعمدة الطالب : ١٧٨ ـ ١٧٩ .

ابن إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (ع) [1]

ولد قبل ظهر يوم الخميس منتصف المحرم سنة ٥٨٩ هـ بالحلة [2] ، وبها نشأ وترعرع وروى بنفسه في بعض مؤلفاته تاريخ نشأته ودراسته فقال :

(أول ما نشأت بين جدي ورّام [3] ووالدي ... وتعلمت الخط والعربية ، وقرأت في علم الشريعة المحمدية ... وقرأت كتباً في أصول الدين ... واشتغلت بعلم الفقه ، وقد سبقني جماعة إلى التعليم بعدّة سنين ، لحفظت في نحو سنة ما كان عندهم وفضلت عليهم ...وابتدأت بحفظ الجمل والعقود ... وكان الذين سبقوني ما لأحدهم إلا الكتاب الذي يشتغل فيه ، وكان لي عدة كتب في الفقه من كتب جدّي ورّام انتقلت إليّ من والدي (رض) بأسباب شرعية في حياتها .. فصرت أطالع بالليل كلّ شيء يقرأ فيه الجماعة الذين تقدموني بالسنين ، وانظر كل ما قاله مصنف عندي وأعرف ما بينهم من الخلاف على عادة المصنفين ، وإذا حضرت مع التلامذة بالنهار أعرف ما لا يعرفون وأناظرهم ... وفرغت من الجمل والعقود ، وقرأت النهاية فلما فرغت من الجزء الأول منها استظهرت على العلم بالفقه حتى كتب شيخي محمد بن نما خطّه لي على الجزء الأول وهو عندي الآن فقرأت الجزء الثاني من النهاية أيضاً ومن كتاب المبسوط ، وقد استغنيت عن القراءة بالكلية ... وقرأت بعد ..

(١) هكذا سرد المترجم له نسبه في مقدمة كتابه (الاجازات) المطبوع في المجلد الخامس والعشرين من البحار : ١٧ ـ ١٩

(٢) كشف المحجة : ٤

(٣) كانت أمه بنت الشيخ ورام بن أبي فراس المالكي النخعي المتوفى سنة ٦٠٥ هـ ، وكانت أم والده موسى حفيدة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي صاحب الفهرست المتوفى سنة ٤٦٠ هـ وكان رضي الدين كثير العلاقة بجده ورام وكثير النقل والرواية عنه في مؤلفاته يراجع كشف المحجة : ١٢٧ والفوائد الرضوية : ٢/١٩٧ والذريعة : ١/٥٨

ذلك كتباً لجماعة بغير شرح ، بل للرواية المرضية .. وسمعت ما يطول ذكر تفصيله) [١]

وكان له بالاضافة إلى شيخه محمد بن نما السالف الذكر شيوخ كثيرون لا يتسع المجال لذكر جميعهم ، نذكر منهم :

١ — أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الأصفهاني ـ كان قد وصل بغداد سنة ٦٣٥ هـ وزار رضيّ الدين في داره في شهر صفر من تلك السنة وأجازه هناك بالرواية عنه [٢]

٢ — الحسين بن أحمد السوراوي ، وقد أجازه في شهر جمادى الآخرة ٦٠٩ هـ [٣]

٣ — محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي ، يروي عنه اجازةً كتابه (تذييل تاريخ بغداد) [٤]

٤ — تاج الدين الحسن بن علي الدربي ، يروي عنه صحيح مسلم [٥]

٥ — سديد الدين سالم بن محفوظ بن عزيزة السوراوي ، قرأ عليه التبصرة وبعض المنهاج [٦] .

٦ — كمال الدين حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن عبد الله الحسيني ، قرأ عليه أياماً كثيرة منها يوم السبت ١٦ جمادى الآخرة سنة ٦٢٠ هـ [٧] .

كما وقد قرأ عليه وروى عنه كثير من الأعلام ، نذكر منهم :

الحسن بن يوسف العلامة الحلي — غياث الدين عبد الكريم آل طاووس — جمال

---

(١) كشف المحجة : ١٠٩ و ١٢٩ — ١٣٠

(٢) جمال الاسبوع : ١٦٩ وسعد السعود : ٢٣٣ واليقين : ٧٩ و ١٨١

(٣) جمال الاسبوع : ٢٣

(٤) الاقبال : ٥٨٥ والأمان : ١٠٧ وسعد السعود : ٧٣

(٥) البحار : ١٠٨/٢٥

(٦) نفس المصدر : ٤٣/٢٥

(٧) اليقين : ١٨٧

الدين يوسف بن حاتم الشامي — علي بن عيسى الإربلي — الحسن بن داوود الحلي [١]

* * *

وهاجر رضي الدين في شبابه إلى بغداد ، ويحدثنا عن سبب هذه الهجرة فيقول : (ثم اتفق لوالديّ ـ قدس الله روحيهما ونوّر ضريحيهما ـ تزويجي ... وكنت كارهاً لذلك ... فأدى ذلك الى التوجه إلى مشهد مولانا الكاظم (ع) وأقمت به حتى اقتضت الاستخارة التزويج بصاحبتي زهراء خاتون بنت الوزير ناصر بن مهـدي رضوان الله عليها وعليه ، وأوجب ذلك طول الاستيطان ببغداد) [٢]

وعلى الرغم من عدم معرفتنا بتاريخ الهجرة فان الشيء المتيقن ان رضي الدين كان ببغداد سنة ٦٣٥ هـ حيث يروي ان شيخه أسعد بن عبد القاهر قد زاره في داره في شهر صفر من تلك السنة [٣] ، والظاهر أنه كان قد قدمها قبل ذلك بسنين ، لأنه (أقام ببغداد نحواً من خمس عشرة سنة ثم رجع إلى الحلة) في روايـة بعض المصادر [٤] ، وكان رجوعه هذا إلى الحلة في حدود عام ٦٤٠ هـ كما سيأتي

ولقي ببغداد منضروب الحفاوة الشيالكثير ، وكان من جملتها إنعام الخليفة المستنصر عليه بدار يسكن فيها ، وتقع بالجانب الشرقي عند المأمونية في الدرب المعروف بدرب الجوبة [٥]

---

(١) يراجع أمل الآمل : ٧١ والبحار : ٤٣/٢٠ و ٠ ١ والذريعة : ٢٢٢/١

(٢) كشف المحجة : ١١١

(٣) سعد السعود : ٢٣٣ واليقين : ٧٩ و ١٨١

(٤) البحار : ١٩/٢٠

(٥) سـعد السعود : ٢٣٣ واليقين : ٧٩ و ١٨١ والمأمونية — هي اليوم محلة عقـد القشل والدهانة والهيتاويين وصبابيغ الآل ودرب الجوبة في الجهة الشرقية من محلة المهدية مما يلي محلة قرهشعبان وفضوته يراجع بغداد قديماً وحديثاً : ١٢٤ و ٢٤٣

كما كان من جملتها صلاته الوثقى بفقهاء النظامية والمستنصرية ومناقشاته ومحاوراته معهم [(١)]

وصلاته الوثقى أيضاً بالوزير القمي وولده [(٢)] والوزير ابن العلقمي وأخيه وولده صاحب المخزن [(٣)]

وكان له مع الخليفة المستنصر ـ المتوفى سنة ٦٤٠ هـ ـ من متانة الصلة وقوة العلاقة ما يعتبر في طليعة ما حفل به تاريخه في بغداد ، وكان من أول مظاهرها إنعام الخليفة عليه بدار سكناه — كما مرّ — ، ثم أصبحت لرضي الدين من الدالّة ما يسمح له بالسعي لدى المستنصر في تعيين الرواتب للمحتاجين [(٤)] وما يدفع المستنصر الى مفاتحته في تسليم الوزارة له — كما سيأتي — ولعل حبّ المستنصر — كأبيه — للعلويين وعطفه عليهم واهتمامه بشؤونهم هو السبب في هذه العلاقة الأكيدة القوية وفي تدعيمها واستمرارها طوال تلك السنين ، ولنترك رضي الدين يحدثنا بقلمه عن تلك العلاقة ويروي لنا نماذج منها فيقول :

(طلبني الخليفة المستنصر — جزاه الله عنا خير الجزاء — للفتوى ، على عادة الخلفاء ، فلما وصلت الى باب الدخول ... تضرعت إلى الله عز وجل وسألته أن يستودع مني ديني وكلّ ما وَهَبَنيه ، ويحفظ عليّ كل ما يقربني من مراضيه ، فحضَرْتُ فاجتهد بكل جهد بلغ بوصُله اليه اني أدخل في فتواهم ،فقوّاني الله جل جلاله على مخالفتهم والتهوين بنفسي)[(٥)].

والظاهر أن الوشاة قد حاولوا إفساد علاقته بالمستنصر بعد رفضه منصب الافتاء حيث يقول : (وجرت عقيب ذلك أهوال من السعايات ، فكفاني الله جل جلاله بفضله وزادني

(١) كشف المحجة : ٧٥ — ٨٠

(٢) كشف المحجة : ١١٢و١١٣

(٣) البحار : ٤٣/٢٥

(٤) فرج المهموم : ١٢٦ — ١٢٧

(٥) كشف المحجة : ١١١

من العنايات [1]

(ثم عاد الخليفة ودعاني الى نقابة جميع الطالبيين على يد الوزير القمي وعلى يد غيره من أكابر دولتهم ، وبقي على مطالبتي بذلك عدة سنين ، فاعتذرت بأعذار كثيرة ، فقال الوزير القمي : أدخلْ واعملْ فيها برضا الله ، فقلت له : فلأي حال لا تعمل أنت في وزارتك برضا الله تعالى ، والدولة أحوج اليك منها إليّ ، ثم عاد يتهددني ، وما زال الله جل جلاله يقويني عليهم حتى أيدني وأسعدني) [2]

(وعاد المستنصر ... وتحيّل معي بكل طريق .. وقيل لي : إمّا ان تقول ان الرضى والمرتضى كانا ظالميْن أو تعذرهما فتدخل في مثل ما دخلا فيه ، فقلت : ان أولئك كان زمانهم زمان بني بويه ... وهم مشغولون بالخلفاء والخلفاء بهم مشغولون ، فتمّ للرضي والمرتضى ما أرادوا من رضا الله) [3]

ثم (اختار الخليفة المستنصر — جزاه الله خير الجزاء — أن أكون رسولا إلى سلطان التتر ، فقلت لمن خاطبني في هذه الأشياء ما معناه : ان أنا نجحت ندمت وان جنحت ندمت فقال : كيف ؟ فقلت : ان نجاح سعي يقتضي أنكم لا تعزلوني من الرسالات ... وان لم ينجح الأمر سقطتُ من عينكم سقوطاً يؤدي إلى كسر حرمتي) [4]

و (كنت استأذنت الخليفة في زيارة مولانا الرضا ـ عليه التحية والثناء ـ بخراسان ، فأذن ، وتجهزت وما بقي إلا التوجه إلى ذلك المكان ، فقال مَنْ كان الحديث في الاذن اليه : قد رُسم أنك تكون رسولاً إلى بعض الملوك ، فأعتذرت وقلت : هذه الرسالة ان نجحتْ ما يتركوني بعدها أتصرف في نفسي وان جنحت صغر أمري وانكسر حرمتي ... ثم لو توجهتُ كان بعدي من الحسّاد من يقول لكم : انه يبايع ملك الترك

(١) نفس المصدر : ١١٢
(٢) نفس المصدر : ١١٢
(٣) نفس المصدر : ١١٢
(٤) نفس المصدر : ١١٣ — ١١٤

ويجيء به الى هذه البلاد وتصدقونه ... فقال : وما يكون العذر ؟ قلت : انني أستخير وإذا جاءت لا تفعل فهو يعلم انني لا أخالف الاستخارة أبداً ، فاستخرت وأعتذرت)[1]

(ثم عاد الخليفة المستنصر — جزاه الله خير الجزاء — وكلفني الدخول في الوزارة وضمن لي أنه يبلغ بي في ذلك إلى الغاية ، وكرر المراسلة والاشارة .. فراجعتُ واعتذرتُ حتى بلغ الأمر إلى أن قلت ما معناه : إن كان المراد بوزارتي على عادة الوزراء ، عشّون أمورهم بكل مذهب وكل سبب ، سواء اكان ذلك موافقاً لرضا الله جل جلاله ورضا سيد الأنبياء والمرسلين أو مخالفاً لهما في الآراء ، فانك مَنْ أدخلته في الوزارة ... قام بما جرت عليه العوائد الفاسدة وان أردتَ العمل في ذلك بكتاب الله جل جلاله وسنة رسوله (ص) فهذا أمر لا يحتمله من في دارك ولا مماليكك ولا خدمك ولا حشمك ولا ملوك الأطراف ، ويقال لك إذا سلكتُ سبيل العدل والانصاف والزهد إن هذا علي بن طاووس علوي حسني ما أراد بهذه الأمور إلا أن يعرف أهل الدهور ان الخلافة لو كانت إليهم كانوا على هذه القاعدة من السيرة ، وان في ذلك رداً على الخلفاء من سلفك وطعناً عليهم)[2]

ولما تغلب التتار (على بلاد خراسان وطمعوا في هذه البلاد ووصلت سراياه الى نحو مقاتلة بغداد في زمن الخليفة المستنصر — جزاه الله عني بما هو أهله — ، كتبت الى الأمير قشتمر[3] وكان إذ ذاك مقدّمَ العساكر خارج بلد بغداد وهم مبرّزون بالخيم والعدد والاستظهار ويخافون أن تأتيهم عساكر التتار وقد نودي في باطن البلد بالخروج الى الجهاد فقلت له بالمكاتبة : استأذن لي الخليفة واعرض رقعتي عليه في أن يأذن لي في التدبير ويكونون حيث أقول يقولون وحيث أسكت يسكتون ، حتى أُصلح الحال بالكلام ، فقد خيف على بيضة الاسلام ، وما يعذر الله جل جلاله من يترك الصلح بين الأنام ، وذكرت في

(١) كشف المحجة : ١٤٨ (٢) كشف المحجة : ١١٤

(٣) هو الامير جمال الدين قشتمر المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وأظن أنه يقصد حادث وصول جيوش المغول الى نواحي العراق المذكور في الحوادث الجامعة : ١٠٩ — ١١ ، وكان ذلك سنة ٦٣٥ هـ

المكاتبة انني ما أسير بدرع ولا عدّة إلا بعادتي من ثيابي ولكني أقصد الصلح ، ولا أبخل بشيء لا بد منه ، وما أرجع بدون الصلح فانه مما يريده الله عز وجل ويقربني منه ، فاعتذروا وأرادوا غير ما أردناه) [1]

ثم (حضرت عند صديق لنا وكان أستاد دار وقلت له : تستأذن لي الخليفة في أن أخرج أنا (وآخرون) ونأخذ معنا من يعرف لغة التتار ونلقاهم ونحدثهم ... لعل الله جل جلاله يدفعهم بقول أو فعل أو حيلة عن هذه الديار ، فقال : نخاف تكسرون حرمة الديوان ويعتقدون انكم رسلٌ من عندنا ، فقلت : (أرسلوا معنا) من تختارون ومتى ذكرناكم أو قلنا إننا عنكم حملوا رؤوسنا إليكم وأنجاكم ذلك وأنتم معذورون ونحن إنما نقول إننا أولاد هذه الدعوة النبوية والمملكة المحمدية ، وقد جئنا نحدثكم عن ملتنا ودينا فان قبلتم وإلا فقد أعذرنا ... فقام وأجلسني في موضع منفرد أشار إليه ، وظاهر الحال أنه أنهى ذلك إلى المستنصر ...

ثم أطال وطلبني من الموضع المنفرد وقال ما معناه : إذا دعت الحاجة إلى مثل هذا أذنّا لكم ، لأن القوم الذين قد أغاروا ما لهم متقدّم تقصدونه وتخاطبونه ، وهؤلاء سرايا متفرقة وغارات غير متفقة) [2]

* * *

وعاد بعد ذلك كله الى الحلة ولا نعلم بالتحقيق متى كان ذلك ، ولكنه على الأرجح في أواخر عهد المستنصر [3] ، فبقى هناك مدة من الزمن حيث ولد له فيها ابنه محمد سنة ٦٤٣ هـ [4] ، ثم انتقل منها إلى النجف فبقى فيها ثلاث سنين [5] ، وولد له هناك ولده علي سنة ٦٤٧ هـ [6] ، ثم انتقل إلى كربلاء وكان ينوي الاقامة فيها ثلاث

---

(١) كشف المحجة : ١٤٦ — ١٤٧ (٢) نفس المصدر : ١٤٧ — ١٤٨
(٣) كشف المحجة : ١١٥ (٤) نفس المصدر : ٤ و ١٥١
(٥) نفس المصدر : ١١٨ (٦) نفس المصدر : ٤

بعض أعلام عصره إلى طلب التصدّي منه لافتيا والقضاء الشرعي ، إعتماداً على فقهه العميق وورعه الذي لا يتسرب اليه الشك ، وفي ذلك يحدثنا فيقول :

(وأراد بعض شيوخي أنني أدرّس واعلم الناس وأفتيهم وأسلك سبيل الرؤساء المتقدمين فوجدتُ الله جل جلاله يقول في القرآن الشريف : (ولو تقوّل علينا بعضَ الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين) ، فرأيت ان هذا تهديد من رب العالمين ... فكرهتُ وخفتُ من الدخول في الفتوى ، حذراً من أن يكون فيها تقوُّلٌ عليه ، وطلبُ رئاسةٍ لا أريد بها التقرب اليه ، فأعتزلت) [1]

(ثم اجتمع عندي من أشار إلى أن أكون حاكماً بين المختلفين على عادة الفقهاء والعلماء من السلف الماضين ، ومصلحاً لأمور المتحاكمين ، فاعتزلت) [2]

ومن الناحية الأدبية ذكر ابن أخيه السيد عبد الكريم غياث الدين ان لعمه نظماً ونثراً [3] ، وقال الحر العاملي في ترجمته : (وكان أيضاً شاعراً أديباً منشئاً بليغاً) [4] ، ولم نعثر على شعرٍ له سوى ما رواه الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي حيث قال : كتبت من خط رضي الدين بن طاووس قدّس الله روحيهما :

خَبَتْ نار العلى بعد اشتعالِ ... ونادى الخيرُ حَيَّ على الزوالِ

ثم ذكر خمسة أبيات [5] من الشعر ، ولم يثبت أنها له

وخلّف رضي الدين ـ رضي الله عنه ـ من بعده من المؤلفات مجموعةً قيمة في بابها بلغت حسب إحصائنا (٤٨) كتاباً ، وتعتبر هذه المؤلفات بما فيها من الفوائد ومن النقول عن بعض المصادر المفقودة على جانب كبير من الأهمية ، ونورد فيما يلي جدولاً بأسمائها :

١ — الإبانة في معرفة أسماء كتب الخزانة ـ ذكره مؤلفه في سعد السعود : ٤ و٢٥

(١) كشف المحجة : ١٠٩
(٢) نفس المصدر : ١١
(٣) البحار : ٢٥/١٠٠
(٤) أمل الآمل : ٧
(٥) البحار : ٢٥/١٧

سنين [1] ، ولا ندري هل تحققت نيته أم لا ، ثم عاد إلى بغداد سنة ٦٥٢ هـ [2] وبقي فيها إلى حين احتلال المغول بغداد ، فشارك في أهوالها وشملته آلامها ، وفي ذلك يقول :

(تمّ احتلال بغداد من قبل التتر في يوم الاثنين ١٨ محرم سنة ٦٥٦ هـ .. وبتنا في ليلة هائلة من المخاوف الدنيوية فسلّمنا الله جل جلاله من تلك الأهوال) [3]

ولما تم احتلال بغداد أمر هولاكو (أن يُستفتى العلماء : أيما أفضل ، السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر ؟؟ ثم جُمِع العلماء بالمستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب ، وكان رضي الدين علي بن طاووس حاضراً هذا المجلس وكان مقدّماً محترماً ، فلما رأى احجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر ، فوضع الناس خطوطهم بعده) [4]

وقد نال صاحبنا بفُتياه هذه مقاماً كبيراً في نفس الكافر المحتل ، وكان من فوائد ذلك ما أشار اليه بقوله : (ظفرنا بالأمان والاحسان ، وحُقنت فيه دماؤنا ، وحفظت فيه حرمنا وأطفالنا ونساؤنا ، وسلم على أيدينا خلق كثير) [5]

وفي سنة ٦٦١ هـ ولي رضي الدين نقابة الطالبيين [6] ، وبقي نقيباً إلى أن توفي يوم الاثنين خامس ذي القعدة سنة ٦٦٤ هـ [7] رحمة الله ورضوانه عليه

فضله وآثاره :

كان رضي الدين ـ رحمه الله ـ على جانب كبير من العلم والفضل والمعرفة كما تشهد به مؤلفاته وآثاره وأقوال المؤرخين والرجاليين الذين ترجموا له وذكروه ، حتى آل الأمر

(١) نفس المصدر : ١١٨ (٢) فرج المهموم : ١٤٧

(٣) الاقبال : ٥٨٦ (٤) الفخري : ١٣

(٥) الاقبال : ٥٨٨

(٦) الاقبال : ٥٨٦ والحوادث الجامعة : ٣٥٠

(٧) الحوادث الجامعة : ٣٥٦ والبحار : ٢٠/١٩ و ٤٣

٢ ـ الاجازات لما يخصني من الاجازات ـ هكذا أسماه مؤلفه في الاقبال : ٥٤٢و٦٥٨ واليقين : ٣٤ ومواضع أخرى منه طبع بعضه في البحار : ٢٥/١٧ـ١٩ وأسماه الطهراني في الذريعة : ١/١٢٧ (الاجازات لكشف طرق المفازات فيما يخصني من الاجازات)

٣ ـ الأسرار المودعة في ساعات الليل والنهار — ذكره مؤلفه في الأمان : ٧٦و٨٩ و ١٣٠ ، وأسماه الطهراني في الذريعة : ١/٣٩٦ (أدعيه الساعات)

٤ ـ أسرار الصلاة ـ ذكره الطهراني في الذريعة : ٢/٤٩ وأشار الى وجود كراسة من أوله بخط عتيق في مكتبة السيد حسن الصدر

٥ ـ الاصطفاء ـ هكذا أسماه مؤلفه في كشف المحجة : ٣ و ١١٢ و ١١٤ ومواضع أخرى ، ولكنه عاد فأسماه (الاصطفاء والبشارات) في كشف المحجة أيضاً : ٣٤ و (كتاب البشارات) في الاقبال : ٤٦٩ و (الاصطفاء في تواريخ الملوك والخلفاء) في كشف المحجة : ١٣٨

٦ — اغاثة الداعي وإعانة الساعي ـ ذكره مؤلفه في الأقبال : ١٨٧ومهج الدعوات : ١٢٩ و ١٧٧ و ٣٦٦

٧ — الاقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة ـ ذكره مؤلفه في الأمان : ٧٧ وسعد السعود : ٦٩ و ٢٩٤ وكشف المحجة : ١٥٦ ، وتم تأليفه قبل سنة ٦٥٦ هـ . طبع في ايران بالحجم الكبير جداً على الحجر في ٧٢٨ صفحة سنة ١٣١٢ هـ .

٨ — الأمان من أخطار الأسفار والأزمان ـ طبع في النجف في ١٨١ صفحة سنة ١٣٧٠ هـ ومنه نسختان خطيتان في بعض المكتبات كما في الذريعة : ٢/٣٤٤

٩ — الأنوار الباهرة ـ ذكره مؤلفه في الملاحم والفتن : ٨٠ واليقين : ٩

١٠ — البهجة لثمرة المهجة ـ وهو غير كشف المحجة ـ ذكره مؤلفه في سعد السعود :

٧٩ وكشف المحجة : ١٧ و ٨٦ و ١١١ و ١٣٨ ، وقال عنه : (يتضمن حال بدايتي ومعرفتي وطلبي الأولاد الخ)

١١ — التحصيل من التذييل ـ تذييل شيخه ابن النجار على تاريخ بغداد ـ ذكره مؤلفه في الاقبال : ٦٨٥و٧٠١ ومحاسبة النفس : ١١والملاحم والفتن : ١١١و١٤٤ و ١٥٠

١٢ — التحصين في أسرار ما زاد على كتاب اليقين ـ ورد ذكره في البحار : ١/١٣ وروضات الجنات : ٣٨٣ والذريعة : ٣/٣٩٨

١٣ — التراجم فيما نذكره عن الحاكم ـ ذكره مؤلفه في الامان : ٣٠ واشار الى جزئه الثاني

١٤ — التعريف المولد الشريف ـ ذكره المؤلف في الاقبال : ٥٩٨ ـ ٥٩٩ و ٦٠٣ ومواضع أخرى منه

١٥ — التمام لمهام شهر الصيام ـ ذكره مؤلفه في الأمان : ٧٧

١٦ — التوفيق للوفاء بعد التفريق (في) دار الفناء ـ ذكره مؤلفه في كشف المحجة : ١٣٩

١٧ — جمال الاسبوع في كمال (بكمال) العمل المشروع ـ ذكره مؤلفه في الاقبال : ٦٢٣ والامان : ٧٧ ومحاسبة النفس : ١١ ، طبع في ايران في ٥٤١ صفحة سنة ١٣٣٠ هـ وكان قد طبع أيضاً فيها سنة ١٣٠٣ هـ

١٨ — الدروع الواقية من الأخطار ـ ذكره مؤلفه في الامان : ٧٧ وذكر الطهراني في الذريعة : ٨/١٤٦ عدة نسخ خطية منه

١٩ — ربيع الألباب ـ ذكره مؤلفه في كشف المحجة : ١٢٥ و ١٣٨ وقال : « قد خرج منه ست مجلدات تشتمل على روايات وحكايات » من آثار الاخيار وفوائد الاتقياء

٢٠ — روح الاسرار ـ ذكره مؤلفه في كتاب اجازاته المطبوع في البحار :

١٧/٢٥ وقال ـ (مختصر : التمسه مني الشيخ العالم محمد بن علي بن زهرة الحلبي ـ رضوان الله عليه ـ حين ورد الى الحج وكان ضيفاً لنا ببلد الحلة ... وهو كتاب لطيف أمليته وأنفذُته اليه)

٢١ — ريّ الظمآن من مرويّ محمد بن عبدالله بن سليمان ـ ذكره مؤلفه في اليقين ١٨٤

٢٢ — زهرة الربيع في أدعية الاسابيع ـ ذكره مؤلفه في الامان : ٧٧ ومهج الدعوات : ٣٢١ و ٣٤٠

٢٣ — السعادات بالعبادات ـ هكذا أسماه مؤلفه في الاقبال : ٥٩٢ والامان : ٦٩ و ٧٥ وسعد السعود ١٣٧ وأسماه في مهج الدعوات : ١٢٩ (كتاب السعادة)

٢٤ — سعد السعود ـ طبع في النجف سنة ١٣٦٩ هـ وجاء في آخره : ٢٩٨ أنه الجزء الأول ، وقال مؤلفه في مقدمته : (وجدتُ في خاطري يوم الأحد في ذي القعدة سنة ٦٥١ هـ ... في أن اصنف كتاباً اسميه سعد السعود أذكر فيه من كل كتاب وقفته على ذكور أولادي وذكور أولادهم) ، وقد جمع فيه فوائد من تلك الكتب ليُنْتَفَعَ بها بعد ضياع اصولها أو تلفها

٢٥ — شفاء العقول من داء الفضول ـ ذكره مؤلفه في كتاب اجازاته المطبوع في البحار : ١٨/٢٥ وقال : بأنه (مقدمة في علم الكلام كتبها ارتجالا) ، كما ذكره في إجازته لجمال الدين يوسف بن حاتم الشامي المطبوعة في البحار : ١٩/٢٥

٢٦ — الطرائف في (معرفة) مذاهب الطوائف ـ ذكره مؤلفه في رسالة اجازاته المطبوعة في البحار : ١٧/٢٥ والاقبال : ٤٦٧ و ٥٩٥ وسعد السعود : ٦٩ و ٩١ ومواضع أخرى منه وكشف المحجة : ٣٦ و ٤١ ـ ومواضع أخرى منه وطرف الأنباء : ٤ طبع الكتاب في ايران على الحجر سنة ١٣٢٠ هـ في ١٧٦ صفحة أسمى المؤلفُ نفسَه في هذا الكتاب عبد المحمود بن داوود وافترض انه رجل من أهل الذمة يريد البحث في المذاهب

الاسلامية بحرية رأي وتجرد

٢٧ — طرف من الأنباء والمناقب ـ ذكره مؤلفه في اجازاته في البحار : ١٧/٢٥ وكشف المحجة ١٣٩ ـ طبع في النجف سنة ١٣٦٩ ﻫ في ٥٠ صفحة

٢٨ — غياث سلطان الورى لسكان الثرى ـ ذكره مؤلفه في اجازاته في البحار : ١٧/٢٥ وفرج المهموم : ٤٢ وكشف المحجة : ١٣٨ والملهوف : ١١ وقال : انه في قضاء الصلاة الفائتةعن الاموات ، وانه لم يؤلف غيره في الفقه لأنه لا يريد الدخول في الفتوى .

٢٩ — فتح الأبواب ـ ذكره مؤلفه في اجازاته في البحار : ١٧/٢٥ والأمان : ٩ و ٨٤ وكشف المحجة : ١٠١ و ١٢١ ومواضع أخرى

٣٠ — فتح الجواب الباهر ـ هكذا أسماه في كشف المحجة : ١٣١ و ١٣٨ ، ولكنه أسماه في اجازاته : (فتح محجوب الجواب الباهر)

٣١ — فرج المهموم في معرفة (نهج) الحلال والحرام من (علم) النجوم ـ ذكره مؤلفه في الأمان : ٨٩ طبع الكتاب في النجف سنة ١٣٦٨ ﻫ في ٢٦٠ صفحة وجاء في آخره (وكان الفراغ من تأليفه يوم الثلاثاء العشرين من شهر المحرم سنة خمسين وستمائة هلالية بمشهد مولانا الشهيد المعظم الحسين (ع)

٣٢ — فرحة الناظر وبهجة الخواطر ـ ذكره مؤلفه في رسالة اجازاته وقال : (مما رواه والدي موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس ... ونقله في أوراق وأدراج وانتقل إلى الله ... فجمعته بعد وفاته ... ويكمل اربع مجلدات لكل مجلد خطبة ، وسميته بهذا الاسم المذكور)

٣٣ — فلاح السائل ونجاح المسائل ـ ذكره مؤلفه في الأمان : ٧٦ و ٧٩ و ١٢٨ و ١٣٠ وجمال الاسبوع : ١٩٠ و ٢٢٤ ومحاسبة النفس : ١٧ ومهج الدعوات : ٣٤٠ ، وقد بدأ بتأليفه بعد سنة ٦٣٥ ﻫ وفي أوله رواية عن اسعد الاصفهاني تاريخها السنة المذكورة .

٣٤ — القبس الواضح من كتاب الجليس الصالح ـ ذكره مؤلفه في رسالة اجازاته في البحار : ٢٥/١٧ ، وهو مختصر كتاب الجليس الصالح الكافي والانيس الناصح الشافي للمعافى بن زكريا المذكور في كشف الظنون ٥٩٣/١

٣٥ — الكرامات ـ ذكره مؤلفه في الامان ـ ١١٥ ـ في موضعين .

٣٦ — كشف المحجة لثمرة المهجة ـ ذكره مؤلفه في كتاب اجازاته وقال : (وجعلت له اسماً آخر اسعاد ثمرة الفؤاد على سعادة الدنيا والمعاد) ألفه في سنة ٦٤٩ ﻫ وكان آنذاك في كربلاء كما ورد فيه ـ ٤ و ١١٨ و ١٩٤ طبع في النجف سنة ١٣٧٠ ﻫ في ١٩٦ صفحة ، والكتاب مؤلف على شكل رسالة يوجهها رضي الدين لولديه محمد وعلي وكانا حين التأليف طفلين

٣٧ — لباب المسرة من كتاب (مزار) ابن أبي قرة ـ ذكره مؤلفه في الاقبال : ٤٧٠ كما ذكره ابن اخيه ناسباً اياه لعمه في فرحة الغري : ٤٠ و ٧٧

٣٨ — المجتنى ـ ذكره المجلسي في البحار : ١٣/١ والخونسارى في روضات الجنات : ٣٨٣ طبع في بومباي ـ الهند سنة ١٣١٧

٣٩ — محاسبة النفس ـ ذكرها العاملي في أمل الآمل : ٧١ والمجلسي في البحار : ٣/١ و ١٠١/٢٥ طبعت في النجف في ٢٣ صفحة ومعها رسالة تنبيه الراقدين لمحمد طاهر ابن محمد

٤٠ — المختار من اخبار ابي عمرو الزاهد ـ ذكره مؤلفه في رسالة اجازاته

٤١ — مسلك المحتاج الى مناسك الحاج ـ ذكره مؤلفه في كتاب اجازاته والاقبال : ٣٠٦ وكشف المحجة : ١٤٥

٤٢ — مصباح الزائر وجناح المسافر ـ ذكره مؤلفه في الاقبال : ٢٧٤ ومواضع اخرى منه والأمان ٣٣ و ١٢٩ و ١٢٥ وجمال الاسبوع : ١٨٠ و ٢٣٢ وكشف المحجة : ٢٠٦

١٣٩والملهوف : ٥ ، وصرح انه من أول مؤلفاته

٤٣ — المضمار ـ هكذا أسماه مؤلفه في الاقبال : ٥٥٤ و ٦٣٥ والامان : ٢٢ و ٧٧ وكشف المحجة : ١٤٤ ، ولكنه أسماه في رسالة اجازاته في البحار : ١٧/٢٥ مضمار السبق في ميدان الصدق يقال إنه مطبوع

٤٤ — الملاحم والفتن ـ طبع بهذا الاسم في النجف سنة ١٣٦٨ ﻫ في ١٦٥ صفحة ، ولكن المؤلف يذكر في اثناء كتابه ص ١٦٥ أنّ اسمه (كتاب التشريف بالمنن في الملاحم والفتن) ألفه في عامي ٦٦٢ ـ ٦٦٣ﻫ ، وهو عبارة عن تلخيص ثلاثة كتب : كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي ، وكتاب الفتن لابي صالح السليلي، وكتاب الفتن لزكريا بن يحيي البزاز

٤٥ — الملهوف على قتلى الطفوف ـ ذكره مؤلفه في الاقبال : ٥٦٢ وكشف المحجة : ١٣٨ وطبع في النجف وايران غير مرة

٤٦ — المنتقى ـ ذكره مؤلفه في الامان : ٧٩ و ٧٧ وكشف المحجة : ١٣٦

٤٧ — مهج الدعوات ومنهج العنايات ـ ذكره مؤلفه في سعد السعود : ١٧٥ ، وقد طبع في ايران سنة ١٣١٨ ﻫ في ٤٥٠ صفحة

٤٨ — اليقين ـ ذكره مؤلفه في الملاحم والفتن : ١٢٥ بهذا الاسم ، وكذلك سمي في النسخة المطبوعة في النجف سنة ١٣٦٩ ﻫ في٢٠٧ صفحات ، ولكن المجلسي في البحار : ١٢/١ أسماه كشف اليقين

خزانة كتبه :

استطاع رضي الدين ـ رضوان الله عليه ـ أن يمتلك خزانة كتب غنية بالذخائر والنفائس مما لم يكن له وجود في خزانة اخرى غالباً [1] ، وقد بلغ عدد كتبها في سنة

(١) مؤرخ العراق ابن الفوطي : ٢/ ٢٢٩ وخزائن الكتب القديمة في العراق : ١/ ٢٧٠

٦٥٠ هـ ـ كما تحدثنا الروايات ـ ١٥٠ كتاباً [١]

وكان صاحب الخزانة كثير الاهتمام فيها والشغف بها ، حتى انه وضع فهرساً لها أسماه (الابانة في معرفة أسماء كتب الخزانة) وهو من الكتب المفقودة اليوم مع مزيد الاسف ، كما وضع لها فهرساً آخر أسماه (سعد السعود) فهرس فيه كتب خزانته بتسجيل مختارات مما ضمته تلك الكتب من معلومات وفوائد ، وقد طبع الموجود منه وهو الاول من أجزائه ـ وقد اختص بالكتب السماوية وعلوم القران ـ ولا ندري هل فقد الباقي منه أو ان المؤلف لم يتمه

ولقد أشار رضي الدين في أثناء مؤلفاته الى هذه الخزانة كثيراً ، ولكن باختصار وايجاز ، فهو يقول مثلا : (في خزانة كتبنا في هذه الأوقات أكثر من سبعين مجلداً في الدعوات) [٢] ويقول : إن عنده (كتباً جليلة في تفسير القرآن) [٣] ، وكذلك في الأنساب [٤] وفي الطب [٥] وفي النجوم وغيرها من العلوم [٦] وفي اللغة والاشعار [٧] وفي الكيمياء [٨] والطلسمات والعوذ والرُّقى والرمل [٩] ، وفي النبوة والامامة والزهد وتواريخ الخلفاء والملوك وغيرهم [١٠] ، وكتب كثيرة في كل فنّ من الفنون [١١]

وفي اواخر أيام حياته وقف هذه الخزانة على ذكور أولاده وذكور أولادهم وطبقات ذكرها بعد نفادهم [١٢] ، ثم انقطعت عنا أخبارها بعد وفاة صاحبها فلم نعد نقرأ لها ذكراً أو نسمع لها اسماً فيما روى الرواة وألّف المؤلفون .

وبالنظر الى اهمية هذه الخزانة ونفاسة كتبها جرّدتُ هذا الفهرس لمحتوياتها ، ولم يكن

(١) البحار ٢٠/٢٦ والذريعة ١/٥٨
(٢) مهج الدعوات : ١٣٣
(٣) كشف المحجة ١٣٠
(٤) نفس المصدر ١٣١
(٥) نفس المصدر ١٢٢
(٦) » » ١٣٧
(٧) » » ١٣٤
(٨) » » ١٣٥
(٩) » » ١٣٦
(١٠) » » ١٢٨
(١١) » » ١٢٧
(١٢) سعد السعود ٣ .

لي مرجع في ذلك سوى مؤلفات صاحبها وكتبه [1] ، آملا من وراء هذا الجهد أن يكون الباحثون على علم بأسماء تلك الكتب وبعض نصوصها ، ما دمنا لم نوفق إلى العثور على كثير منها حتى اليوم

وهذا هو الفهرس مرتباً على الحروف :

ـ حرف الألف ـ

١ — الآثار المخبّأة في الجو ـ للحسن بن سوّار [2]

٢ — الآداب الدينية ـ لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

٣ — الآراء والديانات ـ لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي

٤ — آي القرآن المنزلة في أمير المؤمنين (ع) ؛ يُنْسَب للمفيد محمد بن محمد بن النعمان

٥ — الإبانة ـ لابن بطّة

٦ — الأبصار ـ لثابت بن قرّة

٧ — الاحتجاج ـ لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

٨ — الإحياء ـ للغزالي

٩ — أخبار آل أبي طالب ، لطيف ، أول رجال روايته عبيد الله بن محمد .

١٠ — أخبار الزهراء ـ لابن بابويه الصدوق

١١ — أخبار صاحب الزنج بالبصرة ـ لأحمد بن ابراهيم العمّي [3]

١٢ — أخبار المهدي ونعوته وحقيقة مخرجه وثبوته ـ لأبي نعيم الحافظ

١٣ — أخبار الوزراء ـ لأبي عبد الرحمن [عبدالله] بن المبارك ، الجزء الأول والثاني

---

(١) كان بودي أن أشير الى موضع ذكر كل كتاب من هذه الكتب في مؤلفات صاحب الخزانة بتعيين الجزء والصفحة. ولكن ذلك ـ فيما رأيت ـ مما يطيل البحث كثيراً ، ولهذا قررنا عدم الاشارة الى المصدر الا في المواضع التي ننقل فيها بعض خصوصيات الكتاب زائداً عن اسمه واسم مؤلفه

(٢) في فرج المهموم : ٢٠٣ (ابن سيار) ، والتصحيح من هدية العارفين — ١/٢٧٧

(٣) في فرج المهموم : ٢١٣ (القمي) ، وقد نقلنا التصحيح من معالم العلماء : ١٥

بخط المصنف [1]

١٤— (أخبار) الوزراء والكتاب ـ لمحمد بن عبدوس الجهشياري

١٥— اختلاف الفقهاء ـ للطحاوي

١٦— جزءٌ فيه اختلاف المصاحف ـ لأبي جعفر محمد بن منصور ، رواية محمد بن زيد ابن مروان

١٧— اختيار السيد علي بن الحسين بن باقي

١٨— اختيار محمد بن الحسن الطوسي من رجال الكشي ، وكان ابتداء الطوسي في إملاء هذا الاختيار يوم الثلاثاء السادس والعشرين من صفر سنة ٤٥٦ هـ في المشهد الشريف الغروي في النجف [2]

١٩— الاختيارات - لأبي موسى القرشي

٢٠— أدب الكتاب ـ للصولي ، لعل تاريخه أكثر من مائتي سنة [3]

٢١— الأربعين ـ لأحمد بن إسماعيل القزويني

٢٢— الأربعين ـ لمحمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الريّ ، صنّفه وجعله دستوراً لولده

٢٣— الأربعين ـ لأخطب خطباء خوارزم موفق بن أحمد المكي

٢٤— الأربعين عن الأربعين ـ لمحمد بن أحمد النيسابوري

٢٥— الارشاد ـ للمفيد

٢٦— الارشاد الى تصحيح المباديء ـ لمحمد بن أحمد البيروني الخوارزمي

٢٧— الأزمنة ـ للمرزباني

---

(١) فرج المهموم : ١٤٧ وبراجع نفس المصدر : ١٣٥ و ١٤٨

(٢) فرج المهموم ١٣٠—١٣١

(٣) الاقبال : ١٢٠ .

٢٨ — أسباب النزول ـ لعلي بن أحمد النيسابوري المعروف بالواحدي

٢٩ — الاستنصار ـ لمحمد بن علي الكراجكي

٣٠ — الاستيعاب ـ لابن عبد البر

٣١ — الأسرار ـ لأبي سعيد شاذان بن بحر

٣٢ — أسرار النجوم ـ لأبي معشر

٣٣ — أسماء رجال أبي عبد الله (ع)

٣٤ — أسماء مولانا علي (ع)، تاريخه سنة ٣٤٩ هـ (١)

٣٥ — أسماء مولانا علي (ع)، رواية أبي طالب عبد الله بن أحمد الأنباري نسخة عتيقة يوشك أن تكون في حياة مؤلفها (٢)

٣٦ — الأشراف ـ للمفيد

٣٧ — أصلٌ يتضمن أسماء مولانا علي (ع) ـ تاريخه سنة ٣٧٩ هـ (٣)

٣٨ — أصلٌ عتيق، تاريخ كتابته ربيع الآخر سنة ٣١٤ هـ (٤)

٣٩ — أصلٌ عتيق، أول روايته عن الحسن بن محبوب، وتاريخ كتابته سنة ٣٧٣ هـ (٥)

٤٠ — أصلٌ ـ بخط محمد بن علي البزاز، تاريخه في صفر سنة ٤٤٨ هـ (٦)

٤١ — أصل أبي الفرج أبان بن محمد

٤٢ — أصل أبي الغراء من أصول الشيعة

٤٣ — أصل أحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد، وعلى الكتاب أنه كان لمحمد بن داوود القمي (٧)

---

(١) اليقين: ١٩١
(٢) اليقين: ٥٠
(٣) اليقين: ١٤٩
(٤) مهج الدعوات: ٢٩٠
(٥) الاقبال: ٨١.
(٦) الاقبال: ٥٨١.
(٧) الملهوف: ٢٧

٤٤ — أصل حماد بن عثمان

٤٥ — أصل محمد بن أبي عمير

٤٦ — أصل محمد بن يحي ، لعله كتب في مدة حياته [١]

٤٧ — أصل مسعدة بن زياد آل ربعي

٤٨ — أصل معاوية بن حكيم

٤٩ — الاعتقاد — للأبشيهي

٥٠ — الاعتقاد — لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي

٥١ — اعراب ثلاثين سورة من القرآن — لأبي عبد الله الحسين بن خالويه النحوي .

٥٢ — اعراب القرآن — لأبي اسحاق إبراهيم الزجاج

٥٣ — اعراب القرآن ، مجهول المؤلف ، أوله من سورة القصص ، مجلد قالب الطالبيّ

٥٤ — الأغاني — لأبي الفرج الأصفهاني

٥٥ — الأغسال — لأحمد بن محمد بن عيّاش ، نسخة تاريخ كتابها ربيع الآخر سنة ٤٢٧ هـ [٢]

٥٦ — الاقتصاد — لمحمد بن الحسن الطوسي

٥٧ — الزام [٣] العوام عن علم الكلام — للغزالي

٥٨ — الأمالي — لابن بابويه

٥٩ — الأمالي ـ لأبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني .

٦٠ — الأمالي ـ لمحمد بن أبي عبد الله ، نسخة تاريخها سنة ٣٠٩ هـ [٤]

٦١ — الأمالي ـ للمفيد

٦٢ — الأمالي ـ ليحي بن الحسن (الحسين) بن هارون الحسيني

---

(١) فرج المهموم : ٨٦ (٢) الاقبال : ٣١

(٣) كذا في الطرائف — ٢ ، ولعله (الجام العوام) المذكور في هدية العارفين : ٢/٧٠٩ .

(٤) فرج المهموم : ٨٦

٦٣ — الامامة من الأخبار والروايات عن رسول الله (ص) وعن الصحابة والتابعين بالأسانيد الصحاح ، نسخة عتيقة جداً تاريخ كتابتها شهر رمضان سنة ٣٢٩ هـ [١]

٦٤ — أنباء النحاة ـ تأليف ..... [٢] بن يوسف الشيباني

٦٥ — الأنبياء والأوصياء ـ لمحمد بن علي

٦٦ — الانجيل ـ أربعة أناجيل في مجلد ، وفي أولها : (شرحه لأمير المؤمنين المأمون في سنة ظهرت القسطورية على اليعاقبة ، وأعانه الخليفة على ذلك نُقِل من اللفظ السرياني إلى اللفظ العربي بحضر من جماعة من العلماء ، ونُقِل ذلك من نسخة الأصل ، ونُقِلت هذه النسخة منها) [٣]

٦٧ — انس الكريم ـ لأحمد بن الحسين بن علي الرخجي [٤]

٦٨ — الانصاف ـ للمرتضى

٦٩ — الأنواء ـ لأحمد بن عبد الله الثقفي

٧٠ — الأنوار ـ للصاحب بن عباد

٧١ — الأهليلجة ـ وهو كتاب مناظرة مولانا الصادق (ع) مع الهندي في معرفة الله جل جلاله

٧٢ — الأوائل ـ لأبي هلال العسكري

٧٣ — أوائل المقالات ـ للمفيد محمد بن محمد بن النعمان .

— يتبع —

---

(١) اليقين ٥٣

(٢) بياض في الأصل ، ويقصد به الوزير جمال الدين أبا الحسن علي بن يوسف القفطي

(٣) سعد السعود ٥٣

(٤) هكذا ورد لقبه في فرج المهموم : ١٥١ ، ولقب بـ (الرخي) في الذريعة : ٢/٣٦٨

بين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية [1]

بين مصر والعراق خصائص بلدانية مشتركة تولدت عنها طباع وأمزجة انسانية متقاربة فهذه ارياف مصر في سقي النيل ارياف سهلية مستوية ، ومثلها في تلك السهولة والاستواء ارياف العراق وطبيعة التربة في الريفين المصرى والعراقي واحدة تقريباً فهي تربة خصبة أو هي خليط من الرمل الناعم والطين تكونت من مخلفات الانهار في القطرين ، ولا شك ان هناك خصائص يختلف فيها هذا البلد عن ذاك ، فمناخ العراق اكثر جفافاً واقل رطوبة مما عليه الحال في مصر ولكنها على كل حال يشتركان في كونهما معدودين من الأقاليم الحارة ويلاحظ ان المصري اذا حل في ريف العراق أدهشته مظاهر الشبه بين ملامح المصريين والعراقيين في السحن والالوان وفي مقاطع الاعضاء احياناً ، فالسمرة غالبة على الوان السكان في القطرين خصوصاً في الارياف ، وفي سكان الاقاليم الجنوبية او اقاليم الصعيد مشابه كثيرة من العراق والعراقيين في لهجاتهم ومنطقهم مضافاً الى الوانهم وملامحهم ومهنهم وهي زراعية غالباً ، وبهذا يتميز سكان الوجه القبلي في مصر فيما يتميزون به

(١) احتفل بافتتاح مؤتمر مجمع اللغة العربية السنوي في دور انعقاده الحادي والثلاثين صباح الاثنين ١٣ شوال سنة ١٣٨٤ — ١٥ شباط سنة ١٩٦٥ وذلك في مبنى محافظة القاهرة ، وشهد الاحتفال أعضاء المجمع العاملون من المصريين والاعضاء المثلون للاقطار العربية العراق ، المغرب ، لبنان ، تونس ، سورية ، اليمن واستغرقت مدة المؤتمر اسبوعين عقد خلالها تسع جلسات عرضت ونوقشت فيها مجموعات من المصطلحات في شتى العلوم والفنون والقيت بحوث لغوية وادبية وتاريخية غير قليلة ، وقد اسهمت في هذه الدورة ببحثين بحث موضوعه « البلوى في كتابه الف باء » وبحث آخر موضوعه « بين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية »

هذا وفي فترات التاريخ شواهد قاطعة على ان الحضارات الاولى ولدت على ضفاف أنهار البلدين دجلة والفرات والنيل وحسبنا من معالم هذه الحضارات في العراق « اور » و « بابل » و« نينوى » وفي مصر « طيبة » و« منف »، وفي فترات التاريخ ايضاً شواهد اخرى على ان الشعوب في غير هذين البلدين نسجت على منوال قدماء العراقيين والمصريين في بناء حضاراتها وفنونها في الهندسة خصوصاً هندسة الري والزراعة

التشبث بالتربة :

ومن الخصائص المشتركة بين العراقيين والمصريين التشبث بالتربة وكراهية التحول او الهجرة عنها، والى الثروة الكامنة في سقي الرافدين وسقي النيل، والى سعة العيش ووفرة النعمة مرد ذلك التشبث بالارض، ويلاحظ ان عدد نفوس المصريين تضاعف خلال نصف قرن او نحو ذلك ومع هذا قلّ عدد النازحين من المصريين الى الخارج ومثلهم في ذلك العراقيون، ولهذا الضرب من التعلق او التشبث بتربة الوطن نتائجه من التفاني بحبه، والاعتزاز بالانتساب اليه والتناغي بمحامده

ومن الخصائص المشتركة بين مصر والعراق كثرة الرحلة اليها في سبيل طلب العلم وذلك لاستقرار جمهرة من الحفاظ والأئمة في البلدين خلال العصور وكثيراً ما نجدهم يقولون في معجمات المحدثين والرواة : (لفلان رحلة الى العراق والديار المصرية) وليس من النادر مرور طلاب العلم والعمل ايضاً في رحلاتهم من الاندلس والمغرب على مصر وذلك في طريقهم الى العراق او الى المشرق، نقول ليس من النادر ان يزوروا القاهرة والاسكندرية سواء اكان ذلك في ذهابهم ام ايابهم، وما اكثر الامثلة على ذلك في كتب التاريخ فكل الطرق الى العراق من المغرب كانت تمر على الاسكندرية او على الفسطاط او القاهرة وما اكثر رحلات رجال العلم والعمل بين مصر والعراق، فابن الهيثم المهندس البصري شد الرحال من

البصرة الى القاهرة واقام في الجامع الازهر تحدوه الرغبة في ضبط فيضان النيل، واقامة سد في اعالي الوادي للغرض المذكور . وعبد اللطيف البغدادي قصد مصر لبث آرائه في الفلسفة والطب ، وصفي الدين الحلي صاحب الديوان هاجر الى القاهرة وعاش في ظل الدولة الارتقية واتصل بوزرائها واعلامها ورحب به المصريون واكرموا وفادته ، ولما علموا بان هذا الشاعر العراقي المشهور لم يجمع ديوان شعره رغبوا في جمع الديوان فلبى طلبهم وجمعه في القاهرة كما تشهد بذلك مقدمة الديوان وقد طبع اكثر من مرة

قبيلة عراقية تنتقل بأسرها الى مصر :

قصة هذه القبيلة العراقية المصرية من القصص النادرة وهي مسرودة بعنوان (سويقة العراقيين ، في كتـــاب « خطط مصر للمقريزي » [1] فهو يقول : هذه السويقه بمدينة الفسطاط ، وانما عرفت بذلك لان قريبا الازدي وزحافا الطائي — وكانا من الخوارج — خرجا على زياد بن ابيه بالبصرة فاتهم زياد بها جماعة من الازد وكتب الى معاوية يستأذنه في قتلهما ، فأمر بتغريبهم عن أوطانهم فسيرهم الى مصر ، وأميرها« مسلمة بن مخلد [2] » وذلك في سنة ثلاث وخمسين وكان عددهم نحواً من مائتين وثلاثين ، فأنزلوا بالظاهر وكان اذ ذاك طرقا فأراد ان يسد بهم درب الموضع فنزلوا بالموضع الذي يقال له (كوم سراج) وكان فضاء فبنوا لهم مسجداً واتخذوا سوقا فسمى « سويقة العراقيين » هذا ما قاله المقريزي عن سويقة العراقيين ، ولنا ان نقول ان حكام العراق يومئذ اصابوا في اختيار مصر منفى لتلك القبيلة العراقية البصرية لما بين البيئة في كل من البلدين او الموضعين من خصائص

---

(١) الخطط ١٢٢/٣ وانظر صفحة ٨٠ من الكتاب « عن رحبة وزير بغداد » وصفحة ٣٤ عن (الاوراتيه) او « العويرانية » من القبائل التي تنتسب الى المغول وقدرحات الى مصر من العراق

(٢) مسلمة بن مخلد الانصاري ولى مصر لمعاوية ويزيد ابنه خمسة عشر سنه وتوفى وهو على ولايته سنة اثنتين وستين تجد ترجمته مفصلة فيصفحة ٢٨ من كتاب الولاة والقضاة للكندي

مشتركة ويستفاد من التأمل في كتب التاريخ ان الهجرة الى مصر خاصة من العراق كانت معروفة في احداث غير قليلة ، من ذلك غزو المغول للعراق في القرن السابع وغزو تيمور للعراق ايضاً في القرن التاسع ، وفي اعقاب هاتين الحادثتين هاجر جماعة من علماء العراق الى مصر حيث رحب بهم حكامها من المماليك ، والغالب أن هجرة العلماء العراقيين خاصة وخصوصاً الى الديار المصرية تفاقت بعد غزوتي المغول الاولى والثانية ، والاولى كانت غزوة هولاكو في منتصف المائة السابعة أما الثانية فهي غزوة تيمور في منتصف المائة التاسعة ، كما يستفاد من تضاعيف كتب المؤرخين ، هذا ومن حق دولة المماليك هذه أن تفاخر الدول بأنها ردت المغول على اعقابهم واوقفتهم عند حدود مصر بل عند حدود سورية ، وكانت سورية يومئذ تابعة لدولة المماليك

انتقال خلافة العباسيين من بغداد الى القاهرة :

ولما انقرضت الخلافة العباسية في بغداد باستيلاء التتار عليها في منتصف القرن السابع الهجري ، التجأ بقايا السيوف من بني العباس الى مصر في عصر المماليك ، ومن هؤلاء العباسيين الامير احمد بن الظاهر وجدد المماليك بيعة رمزية لاكثر من واحد من هؤلاء الامراء العباسيين اللاجئين ، ولقبو بالقابهم المعروفة في دار الخلافة ببغداد ، حتى ان سلطنة المماليك في مصر لم تعد شرعية الا بتقليد من احد العباسيين اللاجئين الى مصر ، ولو كان لا حول له ولا قوة

ومما هو جدير بالذكر أن مماليك مصر وضعوا تحت امرة احد اللاجئين من العباسيين جيشاً مصرياً كبيراً لاستخلاص العراق من ايدي التتار ، وقد زحف الجيش من مصر والشام الى الشرق واسترد بعض المدن العراقية الواقعة على نهر الفرات مثل « عانة » و « هيت » غير انه اندحر في واقعة حاسمة بعد ذلك استمات فيها المغول ، وفي هذه الواقعة فقد الخليفة ولم يعثر له على اثر هذا ومن اراد الوقوف على اخبار هذه الخلافة العباسية المصرية

الجديدة فسيجدها في مآخذها من كتب المؤرخين المصريين المتأخرين ، مثل المسالك لابن فضل الله العمري ، والخطط للمقريزي ، وحسن المحاضرة للسيوطي الى غير ذلك هذا وفي تضاعيف كتاب « وفيات الاعيان » للقاضي ابن خلكان نبذ او نتف ممتعة عن تاريخ العلاقات الثقافية بين مصر والعراق فهذا الكتاب من المآخذ الحسنة في هذا الباب ، ومن المآخذ التي لا يستغنى عنها في تاريخ هذه العلاقات كتاب « الانساب للسمعاني ، وكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وتاريخ مصر لابن يونس المصري الذي عول عليه السمعاني فيما كتبه عن رحلات المحدثين المصريين ، واكثر من النقل عنه في كتاب الانساب

مظاهر التعاون الثقافي بين البلدين :

ادلينا في الفصل الماضي بشواهد على ان العلاقات الثقافية بين البلدين قديمة بل هي عريقة في قدمها يرجع بعضها الى عصور الدولتين الاموية والعباسية فكانت لطلاب العلم من المصريين رحلاتهم الى بغداد او الى البصرة في سبيل طلب العلم ومن الامثلة على ذلك رحلة « ابي بكر الحرقي » ، وذلك في عصر « هارون الرشيد » ولم تنقطع هذه العلائق ، ولم تقف تلك الرحلات على توالي العصور

ولما انشئت المدارس الحديثة في الاقطار العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية واصبحت العربية لغة التعليم فيها بدلاً عن التركية كان لمصر فضل لا ينكر في مدّ هذه الاقطار بما تحتاج اليه من الكتب المدرسيه والمراجع والمآخذ الكبيرة ، وقد رأينا الطالب العراقي يقرأ العلوم الرياضية والطبيعية اذ ذاك في الكتب التي يقرؤها الطالب المصري وتخرجها دور الطباعة المصرية هذا مضافاً الى فريق كبير من المدرسين الذين انتدبتهم حكومة مصر يومئذ بناء على طلب العراق لتولي مناصب التدريس والادارة في تلك المدارس العراقية الحديثة

ولما عنى العراقيون بتأليف كتبهم المدرسية بعد ذلك وجدناها حافلة بالنصوص والمحفوظات لذويها من الشعراء والمترسلين المحدثين من المصريين ، كما عنى الاساتذة المربون في مصر نفسها من ناحية اخرى بتحفيظ طلابهم مثل تلك القطع والنصوص لذويها من المترسلين والشعراء العراقيين مضافاً الى التعريف بهم وايراد نبذ تتعلق بأحوالهم وسيرهم ، ولهذا الاسلوب من اساليب التعاون المشترك في وضع مناهج التربية والتدريس اثره البعيد في ارساء دعائم الوحدة الثقافية المنشودة بين البلدين

مما تقدم يتضح لنا ان التعاون الثقافي او العلمي بين مصر والعراق كان وما زال وطيد الاركان مهما اقيم في سبيله من عقبات او نصب في طريقه من حبائل واشراك ، فالعراقيّ اذا انزوى في خزانة كتبه يجد نفسه وكأنه يعيش في بيئة مصرية كما ان المصري اذا اشتملت عليه مكتبته يجد نفسه امام جمهرة من الاعلام العراقيين فلا مناص للعراقي من ان يتمثل في خزانة كتبه صورة جمال الدين ابن هشام وجلال الدين السيوطي والشيخ خالد الازهري وامثالهم متصدرين للاقراء ، اما المصري فلا مفر له من لقاء مقدّر مع الفراهيدي ، وسيبويه والمبرد والقالي الى عدد كبير من الائمة والمصنفين العراقيين منتصبين للتدريس او التأليف

المؤتمرات :

وقد اقيم في العراق اكثر من مهرجان او مؤتمر مشترك بين العراقيين والمصريين وذلك منذ عام ١٩٤٦ الى ايامنا الاخيرة ، ونوقشت في هذه المؤتمرات قضايا مهمة من قبيل توحيد مناهج تدريس اللغة العربية والشؤون الاجتماعية والجغرافية والتاريخ التربية ووتوحيد المصطلحات العلمية

المؤتمر الطبي العاشر :

عقد هذا المؤتمر سنة ١٩٣٨ ، في مبنى الكلية الطبية ببغداد وكان في الواقع مهرجاناً قومياً

منقطع النظير ، شهده ممثلون عن وزارة المعارف المصرية ، وعن المجمع اللغوي ، وعن الجمعية الطبية المصرية ، وترأس المؤتمر الدكتور علي ابراهيم ممثلا للجامعة المصرية ، وكان في ضمن الوفد المصرى الى المؤتمر الشاعر المدرس علي الجارم ممثلا للمجمع اللغوي ، وله في هذا المؤتمر قصيدة رائعة قوبلت بمظاهر الاستحسان في محافل الادب العراقية

بغـــداد يا بلد الرشيد ومنارة المجـــد التليد

من سجايا المصريين الاصيلة :

وكان للشيخ احمد الاسكندري مدرس العربية المشهور بحث لغوي ممتع في المؤتمر ، كما كان نشاط الاطباء والاساتذة والادباء المصريين مثار الاعجاب ، فهو اول مؤتمر طبي عربي حديث يعقد في العراق ولم ينس المصريون في المؤتمر ما جبلوا عليه من حب النكتة والتظرف فزعموا ان الاستاذ الاسكندري ادعى ان (الاوكسجين) من صيغ التثنية وان مفردها (اوكسيج) وانه يعرب اعراب المثنى الى غير ذلك من الفكاهات

وفي هذه الفترة من تاريخ العراق الحديث كان جل اساتذة الكليات والمعاهد العالية وفي مقدمها كليات الحقوق الهندســـة ، البيطرة ، التربيـــة التي كانت تدعى (دار المعلمين العالية) مصريين نذكر منهم الدكتور محمود عزمي ، الدكتور محمود سعد الدين الشريف ، الدكتور احمد فهمي ، الدكتور عبد الوهاب عزام ، عبـــد الحميد العبادي ، الدكتور زكي مبارك ، الدكتور احمد امين ، احمد حسن الزيات ، حسن سيف ابو السعود ، عبده حسن الزيات ، عبد العزيز محمد ، والدكتور علي عبد الواحد وافي وجاء بعدهم الدكتور عبد الرزاق السهوري الذي اسندت اليه ادارة كلية الحقوق ، واختار للتدريس فيها جمهرة من خيرة المدرسين ، وكان يحاضر الطلبة في الكلية ، وظهرت له مجموعة محاضرات طبعت في بغداد

محمد رضا الشبيبي

تحية المؤتمر

كلمة الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي
في حفلة افتتاح مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الحادية والثلاثين

السيد الرئيس

حضرات السادة الاجلاء

تحية مباركة وبعد ، يسعدني جداً ان اشهد هذا الاحتفال الذي يقام لافتتاح دورة جديدة من دوراب مجمع اللغة العربية هي الدورة الحادية والثلاثين ، شاكراً لكم دعوتكم حاملاً اليكم تحية ابناء العراق الذين يشاطرونكم غبطتكم وشعوركم في هذا اليوم المشهود هذا وقد تناهى الى علمكم ولا شك ما يتصل بتكوين المجمع العلمي العراقي الجديد، ويسرني الآن ان اضيف الى ذلك ان مجمعنا في العراق لايني في تعزيز صلاته وتوثيق رابطته بالمجامع العلمية وفي الطليعة منها هذا المجمع مجمع اللغة العربية ، فالمباحثات والمراسلات دائرة بين المجمعين مؤكدة على التعاون والتآزر حاثة على تنسيق الجهود في كل ما يتصل بشؤون الثقافة والآداب العربية

من اجل ذلك حبذت ان يتناول بحثي في هذه الدورة بالذات موضوع العلاقات الثقافية التي قامت بين مصر والعراق قديمها وحديثها ، ومهدت للبحث بفصل عن الخصائص الاقليمية المشتركة بين البلدين ، وآخر أوضحت فيه مظاهر تلك العلاقات الوثيقة في مهرجانات

ومؤتمرات كبرى تنوعت اغراضها واهدافهـــا واسهم فيها فريقـان من ذوي المواهب والـكفايات بين مصريين وعراقيين وجـدوا في اكتاف الديار المصرية مرة ، وفي اكناف البلاد العراقية تارة اكنافاً ممهدة للقيام بالبحوث والدراسات ، والواقع ان تلك المؤتمرات والمهرجانات معروفــة في العالم العربي ، وفينا الآن من شهد اكثر من مؤتمر منهـــا أو مهرجان

هذه ايها الاخوان لمحة عن محتويات البحث الذي اعددته لهذه الدورة معنياً فيه بذكر مظاهر العلاقات الثقافية الوثيقــة التي قامت بين بلدينا في القديم والحديث والتي أرجو لها اطراد النمو والازدهار على توالي العصور ان شاء الله

كعب بن مالك الأنصاري

بقلم : يحيى الجبوري

لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعراء كثار يتفاوت حظهم من الشهرة والتقدير حسب صلتهم برسول الله وجهدهم في سبيل الدين الاسلامي ، فمنذ أن هاجر الرسول الكريم إلى المدينة وبدأ الصراع العلني بين رسول الله وأصحابه المهاجرين وأنصاره في المدينة ، وبين قريش في مكة ومن والى قريشاً من يهود منافقين وأعراب مشركين وغير أعراب متمسكين بجاهليتهم النكراء واعتقاداتهم الضالة وحميتهم العصبية ، سواء كان ذلك في مكة أو الطائف أو القرى اليهودية منذ ذلك الحين اتخذ الشعر سبيله في الحرب بين الايمان والشرك ، فوقف شعراء الرسول يبشرون بالدعوة ويهاجون المشركين في مكة وغير مكة ، ويذبون عن أعراض المسلمين وقد برز في المدينة ثلاثة نفر : هم شعراء المسلمين أول الدعوة : حسان ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة

ثم تكاثر شعراء المسلمين كلما ثبتت للاسلام قدم ، وكلما انتشرت كلمة الله ، فدخل في دين الله شعراء البادية ، فكان كعب بن زهير صاحب البردة من شعراء المسلمين ، وكذلك كان العباس بن مرداس ، وبجير بن زهير والنابغة الجعدي وغيرهم كثير

ونحاول هنا أن نرسم صورة مجملة عامة لشـــاعر الرسول : كعب بن مالك الأنصاري مؤكدين على مواقفه في الاسلام وجهده في سبيل الله

وكعب بن مالك بن أبي كعب الخزرجي الأنصاري السلمي الذي يكنى أبا عبد الله أو أبا عبد الرحمن ، من سراة الناس ووجوه قومه وذوي السابقـة في الاسلام ، كانت أول صلة كعب بالاسلام يوم العقبـة الثانية حيث وفد مع السبعين من أهل المدينة على رســول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين بايعوه على أن يمنعوه ما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم [1]

وحين هاجر الرســول إلى المدينة وآخى بين المهاجرين والانصار ، آخى الرسول بين كعب بن مالك وبين طلحة بن عبيد الله كان كعب مؤمناً قوي الايمان تقياً شديد التقى وكان أثيراً عند رسول الله يحبه ويدعو له بالخير ويشجعه على جيد الشـــعر ، يروى انه نهض إلى الرسول يستأذنه في هجاء أبي سفيان حين جاء الخبر بهجائه رسول الله ، فقال كعب إئذن لي ــ فقال : أنت الذي تقول : « همت » قال نعم يا رسول الله أنا الذي أقول :

همت سخينة أن تغالب ربها وليغلبن مغـالب الغـلاب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ان الله لم ينس ذلك لك » [2] وكان رسول الله يقوّم من شعر كعب ويوجهه فقد روى أنه خرج على الناس وفيهم كعب بن مالك ينشد ، فلما رآه كأنه انقبض فقال : ما كنتم فيه ؟ فقال كعب كنت أنشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشد فأنشد حتى أتى على قوله :

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة مذربة فيها القوانس تلمع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب

---

(١) السيرة ق ١ ص ٤٤١ — ٤٤٣ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٤١

(٢) الأغاني ج ١٥ ص ٢٨ .

نعم [1] فكان كعب ينشد كذلك وكان الرسول الكريم كثيراً ما يستنشد كعباً فينشده فيقول الرسول : لهذا أشد عليهم من وقع النبل [2] ومن تشجيع الرسول لكعب أنه سأله يوماً فقال : يا رسول الله : ما ذا ترى في الشعر ؟ فقال الرسول الكريم : « المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه » [3] وكان عليه السلام يثني على شعر كعب فيقول : « إنك لحسن الشعر » [4]

وكانت صلة كعب بالرسول قوية متينة فهو قريب منه يسمع الحديث فيحفظه فيحدث به فهو لذلك معدود من رواة الحديث [5] ولم يكن كعب ورعاً مؤمناً وحسب ، بل كان فارساً من فرسان المسلمين فما كان كصاحبه حسان بن ثابت الذي يشارك المسلمين باللسان ثم إذا قامت الحرب التجأ إلى أطمه (فارع) مع الصبيان والنسوة [6] ، بل كان شجاعاً مقداماً يقول القول مقروناً بالفعل فقد كان له صبر مشهود وبلاء عظيم يوم أحد ، حتى أنه جرح أحد عشر جرحاً وكان من اكرام رسول الله له أن لبس لأمته ولبس كعب لأمة الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت صفراء

وقد شارك كعب في أكثر الحروب الاسلامية [7] إلا أنه تخلف عن غزوة تبوك ، وكان لهذا أسوأ الأثر في نفسه ، فحزن حزناً شديداً ، روى ابن هشام في السيرة قال : « وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف اولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فقال رسول الله

---

(١) السيرة ق ٢ ص ١٣٦

(٢) الاغاني ج ١٥ ص ٢٩ ط ساسي

(٣) الاغاني ج ١٥ ص ٢٨

(٤) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ق ٣ ص ١٣٢٥

(٥) الاغاني ١٥/٦٦

(٦) ينظر حديث صفية بنت عبد المطلب عن حسان يوم الخندق في الاغاني ٤/١٦٥

(٧) الاستيعاب ١/٢٢٣ وقد اختلف في حضوره يوم بدر

صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تكلمن احـــداً من هؤلاء الثلاثة » [١] ومـكث كعب لا يكلمه أحد خمسين يوماً ، عانى فيها كثيراً من الآلام وقد دفعه قومه أن يتوسل بعذر لدى رسول الله ، قالوا : « لو اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض ما يعتذر به الناس عذرك » فقال : « اني لأصنعهم لساناً وأقدرهم على ذلك ، ولـكن والله لا أعتذر اليه بكذب وان عذرني فيطلعه الله عليه » [٢] ، ومكث كذلك حتى نزلت فيهم التوبة في قوله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسـهم وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إنـ الله هو التواب الرحيم » [٣]

لقد ناضل كعب بسيفه ولسانـه مع من ناضل من شعراء المسلمين ، وصور الأحداث بروح إسلامية ظاهرة التأثر بالدين الاسلامي الحنيف ، ففي بدر يجيب على قصيدة ضرار بن الخطاب فيقول [٤] :

عجبـــت لأمر الله والله قادر	على ما أراد ليـــس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا	بغوا وسبيل البغي بالناس جائر

* * *

وفينا رسول الله والأوس حوله	له معقل منهـــم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه	يمشون في الماذي والنقع ثـائر
فلما لقينـاهم وكل مجاهـــد	لأصحابه مستبسل النفس صابر
شـهدنا بأن الله لارب غيره	وإن رســـول الله بالحق ظاهر

(١) السيرة ق ٢/٥٣١ ومغازي رسول الله ص ٣٤٤

(٢) طبقات الشعراء ص ١٨٠ وكذلك امتاع الاسماع ١/٤٨٤ — ٤٨٨

(٣) سورة التوبة آية ١١٨

(٤) السيرة ٢/١١٤ .

إلى أن يقول :

وكان رسول الله قد قال اقبلوا ... فولوا وقالوا أنما أنت ساحر

لأمر أراد الله أن يهلكوا به ... وليس لأمر حمه الله زاجر

ويتضح في هذه القصيدة فهم كعب وتأثره بالمعنى العام للقرآن الكريم ، فقوله « إنما أنت ساحر » متأثر بقوله تعالى : « وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » [1] وقوله : « وليس لأمر حمه الله زاجر » متأثر بمعنى الآية الكريمة : « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له » [2] أو قوله تعالى : « ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين » [3]

وقد روى له ابن اسحق شعراً في رثاء عبيدة بن الحارث الذي قطعت رجله في بدر [4] وله كذلك شعر يخاطب فيه بعض أحياء العرب الذين قاتلوا المسلمين في بدر [5] :

ألا هل أتى غسان في نأى دارها ... وأخبر شيء بالأمور عليمها

بأن قد رمتنا عن قسى عداوة ... معد معاً جهالة وحليمها

لأنا عبدنا الله لم نرج غيره ... رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها

نبي له في قومه أرث عزة ... واعراق صدق هذبتها أرومها

إلى آخر ما يقول : وله في هذا اليوم — يوم بدر — قطعة يوعد فيها أبا سفيان ، بأن قريشاً ستذل وتطلع عليها خيول المسلمين من (كداء) بنصر من عند الله [6] :

* * *

فما ظفرت فوارسكم ببدر ... وما رجعوا إليكم بالسواء

فلا تعجل أبا سفيان وأرقب ... جياد الخيل تطلع من كداء

بنصر الله روح القدس فيها ... وميكال فيا طيب الملاء

---

(١) سورة ص آية ٤ — (٢) سورة الرعد آية ١١

(٣) سورة الانعام آية ١٤٧ — (٤) السيرة ٢/٢٤

(٥) السيرة ٢/٢٥ — (٦) نفس المصدر ص ٢٥ ـ ٢٦

وكعب هنا يسبق حساناً في نبوءته بفتح مكة والطلوع على قريش من كداء ، ولعل المسلمين كانوا منذ البداية يمنون النفس بفتح مكة وإخضاع أهلها ، ويعدون لهم العدة ، فيتوعدون قريشاً ورئيسها أبا سفيان ، فلا غرو أن يذكر ذلك كعب ويذكر كذلك حسان هذه الأماني [١]

أما في أحد ، فشعر كعب اكثر منه في بدر ، فله قصيدة طويلة ذكر ابن اسحق انه اجاب بها هبيرة بن ابي وهب ، ولم يرد له ذكر فيها ، وورد اسم عبد الله بن الزبعري ، حيث كان قد فخر عليه عبد الله ، ومطلع القصيدة هو [٢] :

الا هل اتى غسان عنّا ودونهم ... من الأرض خرق سيره متنعنع

ويفخر فيها بقومه ويذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته في نفوسهم ، وطاعة امره :

مجالدنا عن ديننا كل فخمة ... مذربة فيها القوانس تلمع
وفينا رسول الله نتبع امره ... إذا قال فينا القول لا نتطلع
تدلى عليه الروح من عند ربه ... ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا ... اذا ما اشتهى انا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لما بدوا لنا ... ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشرى الحياة تقرباً ... الى ملك يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا اسيافكم وتوكلوا ... على الله ان الأمر لله اجمع

والقصيدة من جياد القصائد العربية وقد حفلت بالمعاني الاسلامية الرفيعة ، وقد

---

(١) وذلك في قصيدة حسان يوم الفتح حيث يقول :

عدمنا خيلنا ان لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء

ديوان حسان ص ١ ـ ١ وانظر السيرة ٢/٤٢١ ـ ٤٢٤

(٢) السيرة ٢/١٣٢ ـ ١٣٥

استطاع كعب ان يمثل هول المعركة، وما اصاب المسلمين من بلاء، واعتذر لذلك بقلة عدد المسلمين مع كثرة ما حشد الاعداء:

فجئنا الى موج من البحر وسطه	احابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية	ثلاث مئين ان كثرنا واربع
نغاورهم تجري المنية بيننا	نشارعهم حوض المنايا ونشرع

ويخاطب فيها ابن الزبعرى:

فخرت عليّ ابن الزبعرى وقدسرى	لكم طلب من آخر الليل متبع
فسل عنك في عليا معد وغيرها	من الناس من اخزى مقاما واشنع
ومن هو لم تترك له الحرب مفخرا	ومن خدّه يوم الكريهة اضرع ... الخ

ومن خير ما قال كعب في احد، رثاؤه لحمزة ومن سقط شهيداً من المسلمين قال [1]:

نشجت وهل لك من منشج	وكنت متى تذكر تلجج
تذكر قوم اتاني لهم	احاديث في الزمن الاعوج
فقلبك من ذكرهم خافق	من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم في جنان النعيم	كرام المداخل والمخرج

ويصف غدر وحشي بحمزة، وكيف صرعه بحربة لامعة كالشهاب:

فكلهم مات حرّ البلاء	على ملة الله لم يحرج
كحمزة لما وفى صادقا	بذي هبّة صارم سلجج
فلاقاه عبد بني نوفل	يبربر كالجمل الادعج

ولكعب في رثاء حمزة اكثر من قصيدة وكلها صادقة اللوعة واضحة الحزن شديدة التحسر

اما في الخندق، فقد وصف المشركين وتألبهم على دين الله وكيف تمسك المسلمون

(١) نفس المصدر ٢/١٣٨—١٣٩

بدينهم فلم يغيروا ولم يبدلوا ، قال [1] :

لقد علم الاحزاب حين تألبوا	علينا وراموا ديننا ما نوادع
اضاميم من قيس بن عيلان اصفقت	وخندق لم يدروا بما هو واقع
يذودوننا عن ديننا ونذودهم	عن الكفر والرحمن راء وسامع
اذا غايظونا في مقام اعاننا	على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله	علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا	ولله فوق الصانعين صنائع

والملاحظ هنا ان المعنى الديني بدأ يتضح اكثر ، وفي هذا الشعر جانب من التعليل والمحاجة والتوكل على الله فأنه : (ومن لم يحفظ الله ضائع)

ويبكي كعب قتلى مؤتة بقصيدة شجية صادقة الحزن [2] : فيها تصوير دقيق لآلامه النفسية وخلجاته وقد مزج كل ذلك بنفس ديني مؤمن :

نام العيون ودمع عينك يهمل	سحًا كما وكف الطباب المخضل
في ليلة ردت عليّ همومها	طوراً احن وتارة اتململ
واعتادني حزن فبت كأنني	ببنات نعش والسماك موكل
وكأنما بين الجوانح والحشى	مما تأوبني شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا	يوماً بمؤتة اسندوا لم ينقلوا
صلى الأله عليهم من فتية	وسقى عظامهم الغمام المسبل

اما بعد النصر بفتح مكة ، فقد قال كعب قصيدته بعد الفراغ من حنين حين اجمع رسول الله ﷺ السير الى الطائف [3] :

(1) السيرة ٢/٢٦٣
(2) المصدر السابق ٢/٣٨٥
(3) السيرة ٢/٤٧٩ — ٤٨٠ والحماسة ـ ابن الشجري ص ١٣ ومغازي الرسول ص ٣٣٩

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم اجمعنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالت قواطعهن دوسا او ثقيفا

وذكر ابن سيرين قال : « فبلغني ان دوسا انما اسلمت فرقاً من قول كعب (قضينا من تهامة ..) فقالت دوس : انطلقوا فخذوا لأنفسكم ، لا ينزل بكم ما نزل بثقيف » (١)

وفي هذه القصيدة يذكر رسول الله ﷺ ويدعو الناس الى الدخول في دين الله ليكونوا منهم او ان يحكموا السيف في رقابهم ان تمسكوا بضلالاتهم :

وانا قد اتيناهم بزحف يحيط بسور حصنهم صفوفا

رئيسهم النبي وكان صلبا نقي القلب مصطبراً عزوفا

رشيد الأمر ذو حكم وعلم وحلم لم يكن نزقا خفيفا

نطيع نبينا ونطيع ربّاً هو الرحمن كان بنا رؤوفا

فان تلقوا الينا السلم نقبل ونجعلكم لنا عضداً وريفا

وان تأبوا نجاهدكم ونصبر ولا يك امرنا رعشاً ضعيفا

نجالد ما بقينا او تنيبوا الى الاسلام اذعاناً مضيفا

الى آخر هذه القصيدة التي تحافظ على هذا البناء السليم والنسج المحكم الجميل والروح الاسلامي الظاهر

وبعد مصاب المسلمين بوفاة رسول الله ﷺ يقف كعب ليرثي النبي محمدا ، بروح المؤمن الذي وعى مفاهيم الدين الحنيف ، وملأ الايمان قلبه فهو يبكيه دون يأس أو جزع ، بل يذكر فضل الله على المؤمنين ، إذ نجاهم من ظلام ولظى (٢) ؟

يا عين فابكي بدمع ذرى لخير البرية والمصطفى

(١) الاستيعاب ٢٠٣/١

(٢) ابن سعد — الطبقات الكبير ق ٢ جـ٢ ص ٩٢—٩٣

على خير من حملت ناقة ... واتقى البرية عند التقى

* * *

نخص بما كان من فضله ... وكان سراجاً لنا في الدجى
وكان بشيراً لنا منذراً ... ونوراً لنا ضوؤه قد أضا
فانقذنا الله في نوره ... ونجى برحمته من لظى

وقد عاش كعب زمناً أدرك فيه الفتنة التي قامت ضد عثمان ، وقد وقف في ذلك على مجلس قومه الأنصار ، يقرعهم لقعودهم عن نصرة خليفة المسلمين قال : [١]

من مبلغ الأنصار عني آية ... رسلا تقص عليهم التبيانا
أن قد فعلتم فعلة مذكورة ... كست الفضوح وابدن الشنآنا
بقعودكم في داركم وأميركم ... تحشى ضواحي داره النيرانا
بينا يرجى دفعكم عن داره ... ملئت حريقاً كابيا ودخانا

الى آخر القصيدة التي يلوم فيها الأنصار الذين قعدوا عن دفع الشر والشغب وكذلك أدرك كعب الخلاف الذي نشب حول الخلافة بين عليّ ومعاوية ، فكان عثماني الهوى منحرفاً عن علي بن أبي طالب ، وقد خاطبه في أمر عثمان وقتله ظالما

وكانت وفاته في سنة خمسين — وقيل في ثلاث وخمسين — وهو ابن سبع وسبعين وقد ذهب بصره [٢]

رحم الله كعباً ، فقد جاهد في سبيل الله بلسانه وسيفه ، وكان فارساً من فرسان المسلمين ، شديداً على الكافرين ، حريصاً على أن ينتشر الدين

يحيى الجبوري

(١) الأغاني ١٥—٢٧ ط ساسي ، ١٦/٢٢٨ ط الدار

(٢) الاستيعاب ١/٢٢٣ وخزانة الأدب ١/٠ ٢ ومعجم الشعراء ص ٢٢٩ .

الأسلام في بلاد المجر

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

أيها السادة الكرام :

فاسمحوا لي أولاً أن أقدم عظيم شكري إلى رياسة المجمع العلمي العراقي وأعضائه الذين شرّفوني بانتخابهم إياي عضواً مراسلاً لهذا المجمع الموقر وقد اخترت ان أحاضركم باللغة العربية الكريمة التي عشقتها من جرّاء حبي للاسلام وأقبلت على تعلمها من تلقاء نفسي ومن غير معلم ؛ تعلّمتها من الكتب حسبُ وأرجو أن تعذروني إن صدر عني لحن أو خطأ في التعبير — وإذا حاضرت الآن عن الاسلام في المجر أو في الروابط التي بين بلادي والعراق ، فالمجريون هم في الأصل شعب شرقي صميم حمل حضارة آسيا إلى قلب أوربا ، وقد كانوا دائماً مثار عطف وعناية الشعوب الشرقية وخاصة العالم الاسلامي

سادتي الكرام : منذ بضعة أشهر مضت احتفل العالم بالذكرى السنوية للفيلسوف العربي العظيم الكندي الذي سلك طريق أرسطو وتتبعه بالدراسة من أجل كشف أسرار العقل الانساني وأسرار عمله الخفيـة ، وكذلك من أجل السعي في إيجـاد ترابط بينها وبين بحث النفس المؤدي إلى الخلاص وإن عباقرة العرب أناروا السبل المؤدية إلى العلوم تلكم السبيل التي ما زالت إلى الآن المشعل الذي يتوهج مضيئاً سبل الفكر ولم يكن الاشعاع الديني

للاسلام الساطع من مكة المكرمة إلى حدود العالم عبر الصحاري والبقاع الخصيبة ، ومن دمشق وبغداد مدينة السلام خاصة غزواً بالسلاح وبالقوة بل كان قد امتد بوسيلة الانتشار الثقافي والحضاري التي جلبت ولا شك السعادة والرضا لهؤلاء الناس الذين آمنوا بالاسلام – وقد تغلغل الرحالون العرب في أثناء تطوافهم في أقصى الشمال ، دارسين عادات سكان تلك المناطق ، وتقاليدها رابطين هذه المناطق بالمراكز الاسلامية عن طريق سلسلة من الأسواق ، وكانت من أهم نتائج هذه الأعمال أن اعتنق الكثير من سكان تلك المناطق الاسلام ، وبذلك دخلوا في نطاق الشعوب المتمدنة وقد نقل الينا كثير من الرحالين أمثال ابن فضلان وابن حوقل والاصطخري في أثناء رحلاتهم إلى أعالي نهر الفولغا أن في مدينة بلغار يعيش أقوام على صيد الحيوانات وأنه لاحتكاكهم بالمسلمين أرسل أميرهم آلموش وفداً إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله (من أهل القرن العاشر الميلادي) طالباً إليه إرسال فقهاء يُطلعون شعبه على تعاليم الاسلام ومنبئاً بعزمه هو وشعبه على اعتناق الاسلام . وقد شيدت المساجد الصغيرة في أنحاء بلاده ، وتداول الناس النقود الاسلامية وكان قصر الأمير مزيناً بأنواع من الأقمشة الرومية الأصل التي أحضرها التجار العرب

وفي حدود عام ٩٢١ م أصبحت مدينة بلغار الواقعة على الفولغا والمناطق التابعة لها أقصى الحدود الشمالية للحضارة الاسلامية وفي القرن العاشر استقرت قبائل بلغار الفولغا في البالقان أقرّهم فيها الأباطرة البيزنطيون ، وفقدوا بسبب توطنهم في بيأة الاسلاف Slav لغتهم الأصلية التركية واشهروا بمهارتهم في الدباغة ، وخصوصاً دباغة نوع شهير من جلد البقر يدعى بجريا bagaria ، ويرجع أصله إلى روسيا ، وهو كلمة مشتقة من بلغاريا ـ وكان هؤلاء البلغار مشهورين بسك النقود وقد ضرب أمراؤهم ومنهم غالب ومؤمن ثلاثة أنواع من العملة لتستعمل في التجارة خلال العامين ٩٥٠ و ٩٧٦ ـ وعند ما ضرب السلاطين اليمانون وهم من الأتراك لأنفسهم العملات ، أصبحت هذه العملة هي المتداولة في المناطق

الشمالية لآسيا ـ وقد قلدها البلغار وذلك لقيمها إلا أن نصوصها العربية كانت ذات أخطاء وأصبحت غير ممكنة القراءة

سادتي :

اسمحوا لي بأن أعرّج بالحديث إلى البلغار الذين هاجروا نحو الجنوب وانشأوا مستقراً لهم في أوربا والبالقان Balkan وإلى شعب آخر كان مرتبطاً معهم بصلات قوية وهم المجر: Majar ظهر المجريون بين جبال أورال قوماً باسلين يعتمدون في معيشهم على صيد الحيوان والسمك ويتكلمون بلغة هي مزيج من الفنلندية والأستونية Estonia ، وقد هجروا وطنهم الأصلي منـذ ألفي عام تقريباً ، مولين وجوههم شـطر الجنوب الشرقي فبعد أن اجتازوا قلب آسيا الغربيـة امتزجوا بالأتراك الجواشر Chuoastr والباشقير bashkir بالقرب من جنوب نهر الفولغا ، وضفـاف بحر قزوين امتزاجاً دام خمسمائة عام ، فتلقى المجريون عنهم فني الزراعة والحرب ، وعلق باللغة المجرية كثير من الألفاظ التركية القديمة خصوصاً مايتعلق بالزراعة وجرب بين الشعبين صلات رحم وقربى ، فتحول الشعب المجري من صيادي أسماك إلى رجال عسكريين يحاكون الأتراك في الكثير من مظاهرهم

عاش المجريون قبـائل راحلة كالبدو ، كل قبيلة لها زعيم تذعن لأمره وكانت هـذه القبائل تتحد وتتـألب عند نشوب الحروب ، لترد الأعـداء عن البلاد ثم تعود إلى سابق معيشتها ومن الغريب أنه كثيراً ما انضمت قبائل أجنبية تركية وخزرية Khazar وقبرية Kabar إلى المجريين الأصليين وكذلك قوم من البلغار أيضاً

وكانت نتيجة هذا الامتزاج بين المجريين والاجانب أن تولد جيل جديد وشعب جديد تأثر إلى حد بعيد بالثقافة الفارسية وفي لغتنا المجرية كثير من الالفاظ الفارسية المتعلقة بالصناعة أو بالافكار الدينية

فقد كانت تلك الالفاظ نتيجة تبادل تجاري بيننا وبين بلاد العجم ، وهـذا التبادل

كان منحصراً في الأسلحة والأقمشة والحلي حتى أنه من المُشاهَد في أيامنا هذه أن الزينة والنقش وتطريز الملابس في القرى المجرية هي فارسية الأصول

في نهاية القرن الثامن للميلاد شدّت هذه القبائل المجرية الممتزجة رحالها واتجهت شطر الغرب وهناك أقامت نحو قرن في جنوب روسيا المعروف اليوم باسم اوكرانيا Ukrania وفي هذه المنطقة هاجمتهم قبائل البجناق Pejnak وهزمتهم فانشطروا الى نصفين :

أحدهما وهو الاكبر اتجه صوب الغرب فاستقر في جبال قربات Karpat ، اما الشطر الآخر وهو الاصغر فعاد إلى الشرق وقد اقتفت أثره بعض البعثات في خلال أجيال عدة بقصد الوقوف على آثاره ، ولكن هذه البعثات لم تعثر حتى اليوم على شيء

أما الشعب المجري فقد وصل في عام ٨٩٦ م من جبال قربات Karpat الى بانونيا Pannonia وهي المعروفة اليوم ببلاد المجر ، وهذا الشعب هو في الواقع نتيجة تمازج بين المجريين الأصليين والسلافيين Slav الذين كانوا يقطنون Pannonia قبلهم وفي لغتنا عدد غيرُ قليل من الكلمات السلافية Slav والشعب المجري القديم أعني القبائل شنت الغارة على الأراضي المجاورة لها بقصد نهبها والاستيلاء عليها ، حتى بلغ في غاراته المانيا Almania وايطاليا Italia والاندلس Andolus ، ولكي تدفع ألمانيا غارة الشعب المجري عن بلادها بدأت تمهد السبل للدخول في النصرانية ، وتحت تأثير القائد المجري اشتوان Istoan المقدس الذي نصب نفسه ملكا على البلاد وفيما بعد ذلك بدأ المجريون يدخلون في النصرانية أفواجاً ، وكان بين هذه القبائل المجرية التي نزحت من موطنها الاصلي واقامت على ضفاف الدانوب Danube ألوف من المسلمين وهم خليط شعوب متباينة كتجار ومزارعين أعجام وبُلغار ، وقد ظلوا محافظين على شعائرهم الدينية واستوطنوا مناطق بالقرب من العاصمة بشت Pest وانتشروا في السهول الزراعية وأظهروا براعة في الشؤون التجارية والصناعية ، ولاتصالهم بالشرق الاسلامي اكتسبوا في فترة قصيرة مميزات اجتماعية واقتصادية ، وفي

الدوائر الحكومية

وما كانت أوربا في ذلك الوقت تسمح باقامة الشعائر الدينية الاسلامية في ممالكها ، ولذا حاولت ان تحمل هؤلاء المسلمين على تغيير دينهم واعتناق النصرانية وقد سُنّت القوانين الصارمة في اضطهادهم ، مثال ذلك : إذا عاد التجار المدعوون بالاسماعيلية Ysmailia مرة ثانية إلى دينهم الأصلي بعد تعميدهم وختنوا اولادهم فانه يجب ابعادهم عن مقر سكنهم ونفيهم إلى قرى أخرى

أما هؤلاء الذين يتوبون فانه يمكنهم البقاء في مكانهم وبعد عشر سنوات اصدر الملك المجري كالمان Kalman كذلك قوانين صارمة في مضادة المسلمين المجر ومن نصها : إذا لاحظ شخص ما أنّ اسماعيلياً يصوم طبقاً لدينه ويأكل مثل معظمهم ويمتنع عن اكل الخنزير ويغتسل حسب طقوسهم أو يقوم بأي شيء ما طبقاً لعاداتهم فانه يجب على ذلك الشخص ان يقبض عليه ثم يؤخذ نصيب من ثروته ويقول قانون آخر انه غير مسموح للاسماعيليين أن يزوجوا بناتهم من إسماعيليين وإنهم مجبرون على تزويجهن من نصارى . ولم يكن هذا وحده فان القانون كان ينص على أنه في حالة ما إذا دعا نصرانى اسماعيلياً للطعام فانه يجب أن يقدم له لحم الخنزير ، لكي يجبره على كسر الواجبات الدينية وهذا القانون يُظهر لنا أن النصراني كان له اصدقاء اسماعيلية يدعوهم للطعام وأن الاسماعيلية كانوا يزوجون بناتهم من أبناء دينهم غير أن هذه القوانين التي أصدرها الملوك المجريون لم يجر تطبيقها

ويطلق عادة على المسلمين في المجر اسم الاسماعيلية ، وقد جاء هذا الاسم من إسماعيل بن هاجر الذي نزح إلى جزيرة العرب ولا يفهم من هذا أنهم من الشيعة الاسماعيلية ، كما يعتقد ناس من الكتاب المجريين فهم من أهل السنة ، على مذهب أبي حنيفة ومما يذكر ياقوت الرحالة العربي الثقافة الكبير أنه في حلب عدداً من المسلمين المجريين وهم أعضاء بعثة رسمية

مكونة من أربعين مجرياً Majari مسلمين لدراسة الفقه الحنفي تمهيداً لتعيين قضاة وأئمة منهم في بلاد المجر وهذا الخبر المهم يدل على أهمية المسلمين في بلادنا ، وذكر ياقوت أيضاً أن مواطنهم في المجر تزيد على ثلاثين منطقة ، وتوضح أسماء الكثير من هذه المستقرات أن أصل سكانها من المسلمين ففي المجرية نجد أن كلمة Böszörmény هي تحريف لكلمة : Müszülman ومما يظن ولظني شيء مهم أن هذه الكلمة بصيغتها المحرّفة أطلقت على إحدى مناطق رومانيا Rounmania وهي Bcssavabia وقد نسب الفخار الوطني الروماني أصل هذه الكلمة إلى حمامهم الخرافي Bessavab أو Bussuvban التي تعني Mussulman وتدل على وجود المسلمين في تلك المناطق

وحينما عجزت موارد الدولة المالية وأصبحت يرثى لها اضطرت الحكومة الى ان تضمّن الضرائب فريقاً من الناس في مقابل أن يجبوها بأنفسهم من المزارعين ، وكانت الناقلة الاسلامية هي الملتزمة بتحصيل الضرائب للحكومة بل أقرضت الحكومة عدة مبالغ في مقابل أن تحتكر هي سكّ النقود ، وبذا استطاع المسلمون المجريون تأسيس عدة دور لضرب المسكوكات وقد ظلت هذه النقود تتداول بعد قرن من ضربها ، ويوجد منها عدد كبير في « المتحف الوطني » ببودابشت

وهؤلاء المسلمون كانوا ذوي الثقافة العالية إلى جانب أنهم حملوا السلاح واعتدّوا أنفسهم من المحاربين الابطال وفي عام ١١٦١ أرسل الملك المجري Gera الثاني خمسمائة سراسيني Saraceni يعني شرقيين وهم المسلمون لمساعدة الامبراطور فريدريك Frederik في حروبه

وفي القرن الثالث عشر قاسى المسلمون المجريون شدائد ومصائب من طوفان التتار الذي غمر المجر ، وقد اختفوا من مسرح الأحداث كمجتمع ، غير أن ذكراهم ظهرت في اسم أسرة اسماعيلية من أصل اسلامي تدعى Saerecseny ازدهرت خلال القرن الرابع عشر ،

والكلمة Saerecseny هي اشتقاق من سراسين Saracen ، وقد ظهرت على الكثير من شعار الأسلحة على شكل رأس زنجي : وفي العصور الوسطى كانت لفظة سراسين تعني عامة مسلمي أسبانيا

وبعد انتهاء القرون الوسطى بدأ فصل جديد في التاريخ وبعد أن استولى العثمانيون على مصر اتجه السلطان سليمان شطر بلاد المجر ، واستولى على جزء كبير منها وعلى عاصمتها بودا Buda او بودين Budin واتخذوها ثكنة عسكرية مهمة وازدهرت الثقافة الاسلامية التركية في بلادنا في غضون قرن ونصف وشُيّدت مساجد فاخرة ومدارس علمية ، درّست فيها الشريعة الاسلامية ، واعتنق عدد غير قليل من المجريين الاسلام الدين المبين ، ودخلت كلمات عديدة عثمانية في لغتنا واعتاد الناس الأطعمة الشرقية التي لا تزال تمثل دوراً مهماً في الطباخة المجرية، وكذلك الفن الموسيقي أثر في ألحان المجر وأسلوب التغني.

ولما كسرت شوكة العثمانيين ، وارتد الجيش الفاتح عن أسوار فينا Vianna نزحوا عن بودا ، ونزلوا عن قسم كبير من بلاد المجر فدخل فيما بعد في حوزة الجيش النمساوي Nemsawi وقد اضطهد النمسويون الكاثوليك Chatholic المجريين لأنهم بروتستان Protestan فشبت ثورة المجريين على أسرة هابسبورغ Habysburg الحاكمة وأخذ القائدان Râkorir Thöpöly على عواتقهما تحرير البلاد من نير النمسا وفي خلال نشوب هذه الثورات مد الخليفة التركي يد المساعدة للمجريين ، ولما انتهت الثورة بخيبة المجريين لجأ قوادها الى الاستانة فوجدوا هنالك ترحيباً كبيراً بهم ، وظلوا معززين مكرمين الى أن ماتوا ودُفنوا في الأراضي الاسلامية وكذلك لجأ قواد الثورة الكبرى في المجر في سنة ١٨٤٨ الى دار الخلافة فاستظلوا فيها بحماية الخليفة واعتنقوا الدين الاسلامي ، ودخلت

طائفة مهم في الجيش العثماني جنوداً واشهروا ببسالتهم في حروب القريم

والآن اسمحوا لي أن أقول عدة من الكلمات عن عاصمها بودابست وقد اشتهرت في العالم الاسلامي بحماماتها الاسلامية والنظافة والطهارة ، وهي أهم ركن في الاسلام ، وقد ساعد انتشار الحمامات في بودا وجود ينابيع كبريتية شُيدت فوقها قباب على طراز عربي ، وقد استطاعت بودا أن تحتفظ في قلب أوربا النصرانية بقبر ولي مسلم هو گُلبابا ومعناه أبو الورد ، وكان گلبابا درويشا « بكتاشيا » يرافق الجيش الفاتح ، فلما مات في خلال الفتح في أثناء صلاته يوم الجمعة في المسجد الكبير ببودابست Budapest في سنة ١٥٤١ أمر السلطان بأن يشيد له ضريح فخم ، وبلغ من تقديسه لمكانة گلبابا أن حمل على كتفه نعشه ولم يبق من آثار الحكم العثماني الا عدة مآذن في مدن الريف ، وذلك الضريح الموقر وهذه النقطة تدفعني الى أن أتحدث قليلاً عن حالة المسلمين في بلادنا اليوم. إنه بعد الحربين الأولى والثانية غادرت جالية المسلمين واكثرهم من البوسنويين Bosnawin وعدد قليل من الأتراك ، غادرت البلاد وهجرها الى البلاد التركية فلا مؤذن يرفع صوته ، ولا يوجد مسجد في أي بلدٍ من البلدان ولم يبق من المسلمين إلا عائلات من الفقراء ولكن إن مضى مجد الأسلام المجسم في مؤمنيه فما مضت الثقافة الاسلامية أبداً ، والجامعة المجرية افتخرت بعلمائها مثل ارمين وامبري Vambriy الذي سافر الى تركية وأسلم ، وذهب باسمه رشيد افندي الى آسيا الوسطى لدراسة اللغات التركية وتلميذه ايغناتس غولدزيهر Goldsiher Ygnas الذي أصبح تلميذ الشيخ العالم محمد عبده بالقاهرة وبعد عودته الى بلادنا صنف كتباً نفيسة عدّة شرح بها أركان الدين الاسلامي والعقائد المكرمة ، وأنا أفتخر بكوني تلميذه ، أمثل دراسة التاريخ الاسلامي ، في كرسي التدريس بجامعة بودابشت ، وصنّفت آثاراً في تاريخ الاسلام المدني وفي الأدب العربي القديم والحديث ،

واشهر كتابي عن حجي بيت الله في مكة المكرمة تحت عنوان : الله اكبر ، وترجم الى لغات شتى وافتخر بكوني العضو المسلم الوحيد لمجلس النواب المجري ، وأمثل الدين الاسلامي لا على كرسي التدريس فقط بل بمجهوداتي الشخصية في الحياة الاجتماعية ، ولا أترك الوفاء بالواجب عليّ نحو مصلحة المسلمين والعروبة الى انتهاء أيامي

سادتي الكرام :

اختم محاضرتي هذه بشكري الجزيل لصبركم وأتمنى للمجمع العلمي العراقي دوام النجاح في المستقبل كما كان في الماضي ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الكريم جرمانوس

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية

بقلم : محمد رضا الشبيبي

من ١٤/١٠/١٣٨٤ — ٢٨/١٠/١٣٨٤ هـ
١٥/٢/١٩٦٥ — ١/٣/١٩٦٥ م

فيما يلي خلاصة بوقائع مؤتمر مجمع اللغة العربيـــة السنوي وذلك في دور انعقاده الحادي والثلاثين سجلها محمد رضا الشبيبي عضو المجمع المذكور

احتفل في التاريخ المذكور بافتتاح المؤتمر في قاعة الاجتماعات من مبنى محافظة القاهرة في جلسة عامة شـهدها اعضاء المجمع العاملون من مصريين وعراقيين وشاميين ولبنانيين وعدد من الوزراء وفريق من اساتذة الجامعات ومنها الجامعة الازهرية

وتضمن منهج هـذه الحفلة كلمة لوزير التعليم العالي لاحظ فيها قصور المعجمات اللغوية حتى الحديثة منها قائلاً ان الامة العربية بحاجة الى معجم يُحشد فيه ما اسفرت عنه حضارة العروبة في شتى اطوارها وتعاقب اعصارها ، وما تواضع عليه طلاب المعرفة من كل نوع واهل العلم من كل فنّ ، وما جد في اللغة من الفاظ في المعامل والمصانع والمعاهد ، وفي الصحافة والاذاعة ، هذا وفي الحضارة العربية القـديمة على حد قول الوزير الفاظ لم يستعرضهـا على كثرتها وحيويتها معجم ، وفي الحضارة العربية الحديثة كذلك ما لم يلم شتاته معجم من الفاظ شـاعت واستقرت واصبحت من صميم اللغـة ، اما المعجمات القديمة ففيها كثير من الالفاظ لاحياة لها اليوم ولا انتفاع به الا للخاصة من الدارسين والباحثين

واذا كان الويل للغة لاوجود لالفاظها الا في معجماتها فان الويل كذلك للغة لا وجود في

معجماتها الالفاظها الحية التي تدور بين الناس في حياتهم العقلية والاجتماعية بوجه عام ، وقال الوزير في ختام كلمته اردب بكلمتي هذه اليكم ان اعرب لكم عن التقدير العميق لما تضطلعون به من هذه المهمة الجسيمة مهمة تأليف المعجم ، وعن الثقة بانكم عاملون لها ما وسعكم ان تعملوا فهي امل الامة العربية جمعاء ، وانكم مصنع كامل الادوات لا تعوزكم المعرفة بالحضارة العربية ولا البصر بفقه اللغة ورهافة الحس بها والتذوق لآدابها وبلاغتها ولا تعوزكم ايضاً وسائل العمل على تجميع الرأي لتوحيد الكلمة العربية اصطلاحاً في البلاد العربية كافة

ثم القى الدكتور طه حسين رئيس المجمع كلمة شكر فيها السيد الوزير على تحيته وللحاضرين تلبيتهم للدعوة ثم اشار الى ضرورة البدء في وضع معجم تاريخي للالفاظ العربية

ومن ثم القى الدكتور ابراهيم مذكور الامين العام كلمة استهلها بفذلكة عن خصائص القرن العشرين وان من اخص خصائصه امران اولهما ربط المادي بالمعنوي ، والواقعي بالمثالي ، وثانيهما التنبؤ بالمستقبل بعد ان كان يقنع بالحاضر ويقف عند حد الظواهر، وفي الكلمة بعد ذلك اشارة الى لغة العلم والمجمع ، والى وقائع المؤتمر الماضي وما اعقبه من نشاط المجلس ولجانه لخص فيها وقائع الدورة المجمعية الماضية (الدورة الثلاثين)

في ميدان العلاقات الثقافية :

وبعد ذلك دعي كاتب هذه الكلمة محمد رضا الشبيبي لالقاء كلمته فالقى كلمة حيّا فيها المؤتمر وشكر الدعوة الموجهة اليه لتمثيل العراق فيه واشار الى تكوين المجمع العلمي الجديد في العراق ، واكد ان المجمع العراقي لا يني في تعزيز صلاته وتوثيق رابطته بالمجامع العلمية واللغوية وفي مقدمتها مجمع اللغة العربية ، والقى بعد ذلك بحثاً موضوعه « بين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية » تناقلته صحف القاهرة وعنيت باقتباس بعض فصوله ، وكان لبحث العلاقات الثقافية القائمة بين البلدين وقعه الحسن في المحافل العلمية ولدى الصحف بالقاهرة ، وفي هذا العدد من المجلة نص البحث المشار اليه

استغرقت هذه الدورة من دورات المؤتمر اسبوعين عقد خلالها تسع جلسات عرضت ونوقشت فيها مجموعة من المصطلحات العلمية والفنية، والقيت بحوث لغوية وادبية وتاريخية ووزع على الاعضاء مجموعة تتضمن بحوث الدورة السابقة، ومواد من حرف الهمزة من « المعجم اللغوي الكبير » تقع في جزأين، هذا وتضمن منهج هذه الدورة رحلات وجولات ممتعة الى بعض معالم القاهرة والقطر المصرى كان من امتعها رحلة هيئة المؤتمر برمتها الى « محافظة السويس » التي كانت تسمى « الفَرَما » في صدر الاسلام، وللفرما ذكر غير قليل في كتب البلدان والتاريخ، وموقعها على بحر « القلزم » او « البحر الاحمر » كما يسمى الآن موقع جميل حيث مدخل « قناة السويس » من المشرق اما مدخل القناة من المغرب او من بحر الروم الذي يسمى الآن « البحر الابيض » فهو مدينة « بور سعيد » وبينهما فرض وشواطيء جميلة للغاية واقعة على القناة، ويشاهد في مدخل القناة من الجهتين الغربية والشرقية مراسي السفن الكبرى من ناقلات النفط وغيره مهيأةً لعبور ترعة السويس بقيادة الادلاء والخبراء في طرق القناة هذا ويلاحظ جسامة الفرق بين مدينة « السويس » ومدينة « بور سعيد » من حيث العمران والازدهار فالسويس مدينة عامرة مزدهرة اكثر بكثير من « بور سعيد »

ولا عجب فان السويس او « الفرما » مدينة قديمة اما « بور سعيد » فانها مدينة حديثة انشئت عندما شُقت قناة السويس، وفي « الفرما » يقول المأمون العباسي وقد زار مصر وعاوده الحنين الى العراق والى محلة في بغداد تسمى الميدان :

لَيْلُكَ كان في الميدان   اقصر منه في الفَرَما
غريب في قرى مصرٍ   يعاني الهم والسّدما

هذا ومدينة الفرما حاضرة لا ينقصها الازدهار والجمال واتساع الرُّقعة، وهي قائمة على الخليج المعروف باسمها، وقد تجول « ركب المجمع » بسياراتهم الكبيرة في مختلف جهات الفرما او السويس او مدينة النفط ومينائها الكبير، واستُقبلوا بحفاوة في المصالح الرسمية وفي ناد كبير هناك يشرف على البحر ، والمدينة اعني مدينة « السويس » شطران شطر قديم

وآخر حديث موقع كل منها على شاطيء البحر يوصل بينها طريق تسلكه السيارات ، وتسير السيارات من القاهرة الى بحر القلزم او البحر الاحمر في صحراء تسمى « الصحراء الشرقية » والمسافة بين القاهرة والفرما (١٣٠ ك) اما الصحراء الغربية فانها تنتهي ببحر الروم او البحر الابيض من الجهة الثانية وثمّ مدينة الاسكندرية العاصمة الثانية للبلاد

جلسة المقترحات :

وفي جلسة المؤتمر الختامية وهي جلسة يتقدم الأعضاء فيها بمقترحاتهم تقدمت باقتراح اكدت فيه دعوة المؤتمر الى عقد دورة مجمعّية مقبلة في العراق يتحمّل فيها المجمع العلمي العراقي او الجهة العراقية المسؤولة كلفة انعقادها فيه وقوبل هذا الاقتراح بالترحاب والتقدير ، واظهر اعضاء المؤتمر ارتياحهم الى عقد دورة لمؤتمرهم في العراق ، وعلى اثر ذلك بدأت المكاتبات بين الجهات المسؤولة في البلدين في هذا الشأن .

هذا وقد جرت العادة في كل دورة ان يُقام موسم لتكريم مؤتمر المجمع وان تُنظم حفلات في مقدمتها حفلة السفير العراقي بالقاهرة ، وقد اقيمت الحفلة بهذه الدورة في دار السفارة ظهيرة يوم الثلاثاء (٢٣|٢|٦٥) وكانت حفلة شائقة شهدها اعضاء المؤتمر العاملون من مصريين وممثلين للاقطار العربية والموظفون من رؤساء الاقسام في المجمع ، هذا عدا حفلة الدكتور طه حسين رئيس المجمع التي اقامها تكريماً للمؤتمر، وحفلة عميد الجامعة الازهرية.

كلمة الدكتور عبد العزيز السيد وزير التعليم العالي
في حفلة الافتتاح

ايها السادة :

لزاماً علي ، اذ افتتح معكم جلسات مؤتمركم المشهود ان اقدم بين يدي كلمتي ، تحية طيبة ، وشكراً جزيلاً لكم جميعاً على تلبيتكم الدعوة اليه فاما اخواننا المجمعيون الوافدون من بلاد العروبة ، فلهم فوق التحية والشكر ترحيب بلقائهم لاستجابتهم الكريمة ولما يحملون الينا من حصاد بحوثهم ودراساتهم مما فيه نماء العلم واللغة ، وليستقبلوا كذلك ما أعد لهم المجمع مجلساً ولجاناً واعضاء من بحوث ودراسات علمية ولغوية تقتضيهم

التمحيص والمراجعة اذا خلوا الى انفسهم خلوة التفكير والتروي ، او اذا ضمهم جلسات المجمع للمناقشة والتقرير

وفي الحق اننا لانبلغ ما نوده من التعبير عن تحيتهم وشكرهم بمثل هذه الالفاظ ، ولكن حسبهم ما يتجدد لهم من ذلك في افئدتنا ، عاطفة وشعوراً وتقديراً .

ايها السادة :

في مثل موقفي هذا من مؤتمركم الماضي قلت : ان الواقع العربي المتطوّر في هذه المرحلة من حياة العروبة حافل بالمعاني الجديدة والدلالات المستحدثة :

فالنهوض القومي الشامل يعالج التعبير عن نفسه في شتى الميادين تعبيراً يصور كفاحه الدائب للتحرير وطموحه اليقظ الى التقدم ، ووعيه الكامل لتبعات المستقبل المزدهر

و نطاق التعبير في كل بلد عربي تتزاحم فيه موجات حيويّة دافقة ، والالفاظ والصيغ تمتلئ بشحنات وجدانية وعقلية واجتماعية في شتى مرافق العيش ، ومجالات الفكر والعمل والصناعة ...

وأحب في كلمتي اليوم اليكم ، ان ازيد على هذا ... ان عصور الحياة العربية على تباين درجاتها من تحفز وتخلف ، واختلاف احوالها من يقظة وسبات قد حفلت بالالوف المؤلفة من ألفاظ عربية دالة على معان شتى في العلوم والفنون والآداب ، وكل ذلك يمثل تطوراً بعيد المدى متعدد الجوانب في قواعد اللغة وفي موادها وفي بلاغتها على السواء ، وكل ذلك هو تاريخ العربية الخليق بأن يدون في توسع ، ويسجل في دقة وان يتحقق وجوده في اطار منهج علمي محرر ، وعلى نحو عصري ميسر

وعلى الرغم من ظهور معجمات في الحقبة الأخيرة من عهد النهوض العربي الحديث ...

وعلى الرغم مما فيها من محاولات جادة للتجديد والتعبير فليس في المقدور القول بأن اللغة العربية بتاريخها الحافل وبتطورها العميق قد تحقق لها وجودها في تلك المعجمات ، وما يزال المرجع اللغوي المعول عليه في الغالب هو المعجمات التي ألفت في عصور خالية او التي ألفت في عصور قريبة ولكنها وقفت عند حدود اللغة في تلك العصور الخالية أو كادت ، فلم تتناول من حياة اللغة في العهود التوالي الا القليل

وكما حرصت معجماتنا القديمة على ان تمثل نشاط اللغة في الأعصر الماضية ، يجب أن نسارع الى تكوين المعجمات التي تمثل نشاط اللغة حتى يومنا الحاضر في شتى مرافق الحياة ، ففي ذلك بيان للتطور اللغوي ، وتعيين لحدود الألفاظ ، وعون على دقة الفهم وسلامة التفكير ، ومدد للتقدم الثقافي والحضاري

أيها السادة :

لم أرد أن أوجه انظاركم الى شيء فاتكم النظر فيه والسعي اليه فإني اعلم انكم قد صرفتم بعض جهودكم الى توسيع أقيسة اللغة لكي تواتوها بمزيد من المرانة والطواعية ، لمواجهة مطالب التعبير عن الجديد في عالم الفكر والوجدان وأنتم كذلك قد عنيتم كل العناية بدراسة المصطلحات العلمية والفنية، فأنجزتم منها جملة وافرة ، وأخذتم في تكوين مادة المعجم العربي المنشود محققين فيه تسجيل التطور لمعاني الألفاظ وتصوير حلقات التسلسل التاريخي للغة ، لكي تكون مرآة مجلوة لماضي العربية البعيد والقريب ، ولحاضرها المتوثب المتطلع الى الامام

لقد أردت بكلمتي هذه اليكم ـ أيها السادة ـ ان أعرب لكم عن التقدير العميق لما تضطلعون به من هذه المهمة الجسيمة مهمة تأليف المعجم الكبير وعن الثقة بأنكم عاملون على تحقيقها ما وسعكم أن تعملوا ، فهي أمل الأمة العربية جمعاء وانتم إذا صح هذا التعبير ـ معمل كامل الأدوات لا تعوزكم المعرفة بالحضارة العربية على تعدد عصورها ، ولا دقة العلم وتنوعه ولا البصر بفقه اللغة ورهافة الحس بها ، والتذوق لأدبها وبلاغاتها ، ولا تعوزكم ايضاً وسائل العمل على تجميع الرأي لتوحيد (الكلمة) العربية اصطلاحاً في بلاد العروبة قاطبة

أيها السادة :

دعاؤنا الى الله ان يبارك عملكم ، ويسدد خطوكم ، ويعينكم بموصول التوفيق وسلام الله عليكم ، ورحمته ، وبركاته

كلمة الدكتور طه حسين

رئيس المجمع

ايها السادة :

اضيف الى شكر السيد الوزير الجليل شكراً متواضعاً لحضراتكم جميعاً ، وخصوصاً الوافدين من زملائنا من البلاد العربية المختلفة ، ويسعدني ان اهنئكم بافتتاح دورة جديدة لمجمعنا الموقر وأرجو أن تكون اجتماعات مؤتمرنا موفقة دائماً الى الخير ، وموجهة دائماً الى ما يُمكّن المجمع العربي من اداء واجبه على أحسن وجه وأكمله وكم أتمنى ان نحقق ما أشار اليه السيد الوزير من معجم يصور تطور اللغة العربية في جميع عصورها المختلفة ، ولكننا مع الأسف الشديد لم نصل بعد إلى هذه المنزلة من التقدم ، وانما نحن نحاول ان نسجل اللغة كما عرفها العرب في عصورهم الأولى ، وقلما نلم بالألفاظ التي طرأت فيها بعد ، والشيء الذي يجب على المجمع أن يفكر فيه تفكيراً جدياً هو المعجم التاريخي للغة العربية ، وهو المعجم الذي ذكره السيد الوزير ، وقد فكرنا في ذلك كثيراً ، ولكننا وجدناه شاقاً شديد العسر ، وما ينبغي أن تصدنا المشقة ، ولا أن يعوقنا العسر

لقد رأيت في احدى الجامعات الأجنبية ، ولا أحب ذكر اسمها لأنه يغيض اليكم جميعاً ، رأيت اعداداً لمعجم تاريخي ، ورأيت الجزازات الكثيرة التي تعد بالألوف والألفاظ والشواهد عليها في عصورها المختلفة ، وما ينبغي أن يُسبق العرب الى هذا الفضل

وأنا أرجو ان شاء الله أن يكون السيد الوزير ، باشارته هذه قد وصل الى قلوب المجمعيين جميعاً ، وهيأهم للنشاط والتفكير في هذا العمل الخطير

واني حين نبدأ هذه الدورة ، احب ان اجدد الشكر لاخواننا ، وآسف لتخلف من

اضطر الى أن يتخلف مهم ، وكم كنت اعنى ان يكونوا بيننا الآن، هذا وما اكثر ما نفكر فيه ، وما اقل ما نستطيع أن نعمله ، فليوفقنا الله الى أن نقرن العمل بالتفكير ، والنشاط من اجل التهيؤ والاستعداد

وأنا اعنى للمؤتمر نجاحاً وتوفيقاً في كل ما يحاوله ، وسيرى المؤتمر حين يبدأ اجتماعاته ان مجلس المجمع لم يقصر في هذا العام ، وانما هيأ له شيئاً كثيراً لينظر فيه ويُقره ، وأنا أرجو أن يداوم المجمع على هذا النشاط ، وأن يزداد نشاطه إلى حد البدء في المعجم التاريخي والى حد تحقيق هذا المعجم شيئاً فشيئاً فالأعمال المجمعية دائماً تحتاج الى الأناة والى الصبر والتحقيق والتمحيص ولكن البدء لابد منه ، وأرجو أن نفكر فيه تفكيراً جدياً هـذا العام ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة

الدكتور ابراهيم مدكور الامين العام

سيدي الرئيس سادتي :

ان القرن العشرين من أضخم قرون التاريخ في أحـداثه وتطوراته ، ومن أغناها في مكتشفاته ومخترعاته ويُعد بحق عصر الذرة ، فتح فيه القمقم عن مارد الطبيعة الأكبر ، فخرجت منه ذرات أذهلت العالم بآثارها وان لم تدركها الابصار وخطا العلم خطوات لم تكن تخطر على بال ، فكشف عن أعماق البحار ، وصعد إلى أجواز الفضاء ، ووضع موضع التجربة أموراً كانت فيما مضى أقرب الى الوهم والخيال ومن أخص خصائصه أمران :

أولها ربط المادي بالمعنوي ، والواقعي بالمثالى ، ووصل الأرضي بالسماوي ، وخلط الوضعي بالميتافيزيقي .

وثانيها أنه أخذ يتوسع في التنبوء بالمستقبل بعد أن كان يقنع بالحاضر ، ويقف عند وصف الظواهر وتحليلها ، ويمقت الحكم على الغائب وأصبح من العسير أن تفرق بين بحث علمي وآخر نظري ، أو أن نضع حداً فاصلا بين العلم والفلسفة

وللعلم لغة تسير معه مسرعة ، فتنمو بنموه ، وتتنوع بتعدد فروعه ولا بد للباحثين أن يلموا بها كي يدركوه على وجهه ، وأن يحسنوا أداءها كي يقدموه الى الناس وبودي أن أقف عندها قليلا

أ — لغة العلم :

هي لغة الوضوح والدقة ، والبيان والسرعة يصطلح عليها العلماء ، فتصبح لغتهم الخاصة ، ولكل علم مصطلحاته يبدأ المصطلح عادة هزيلا متردداً ، ثم لا يلبث أن يقوى ويستقر ، وتاريخ العلوم الى حد ما هو تاريخ لمصطلحاتها

ولم تنشأ لغة العلم في الاسلام دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت مع الزمن فبدأت بالعلوم الدينية منذ القرن الأول للهجرة في تكوين لغتها ، وظهرت مصطلحات في الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها أخرى في الأخلاق والسياسة والطب والكيمياء والفلك والطبيعة وخضع المصطلح العربي القديم لسنة النشوء والارتقاء ، فعُدل وحُور ، ونما وتطور وما ان حل القرن الرابع الهجري حتى اكتملت لغة العلوم في الاسلام واستقرت مصطلحاتها ، بحيث تنوسي مدلولها الأول ، ولا يكاد يفهم منها الا معناها العلمي الخاص

وتداولها الباحثون في المشرق والمغرب ولم تختلف من قطر الى قطر فكانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان ، والفسطاط ودمشق ، وبغداد وأصفهان ومن المصطلحات العربية ما انتقل الى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى الى اللاتينية ، بل والى بعض اللغات الأوربية الحديثة

ويوم أن ركد البحث العلمي في الاسلام ، ركدت لغته معه ، فجمدت المصطلحات ، وأضحت لا تجديد فيها ولا ابتكار ، وكان هم الخلف أن يردد ألفاظاً قال بها السلف ، وأصبحت اللغة العلمية ضعيفة هزيلة ركيكة معقدة ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة في القرن الماضي على فترة من البحث والدرس ، وحاولت أن تتدارك بعض ما فات وكان على أبناء القرن العشرين أن يتابعوا سير العلم المعاصر ، ولم تستحث خطاه قط بقدر ما تستحث اليوم وفي العالم العربي اليوم نهضة علمية لا شك فيها أحيت مجد الماضي ، وتابعت حركة الزمن ، وقطعت شوطاً لا بأس به وأمامها أشواط بعيدة وأخذت تُكوّن من جديد لغتها الخاصة ، مستعينة بالدراسات الجامعية والمجامع اللغوية والعلمية

ب — المجمع ولغة العلم :

لم يعن مجمع اللغة العربية بشيء عنايته باللغة العلمية ، شغل بها منذ قيامه ، وبقي يتعهدها دون انقطاع ندب لها عدداً غير قليل من الخبراء والمتخصصين ووقف عليها عدة لجان ، ومنحها من وقته وجهده ما لم يحظ به جانب آخر من جوانب نشاطه وفي وسعنا أن نقرر أنه خطا في سبيلها خطوات فسيحة ، وانتهى الى نتائج يعتد بها .

اقرّ أولاً طائفة من القواعد التي تُيسر وضعها ، وتعين على أمرها . فنادى باحياء المصطلحات القديمة والافادة منها ما أمكن وكانت بالأمس مجهولة وقل من يبحث عنها . وتوسع في القياس والاشتقاق ، فترخص كما ترخص القدامى في الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وقال بقياسية المصدر الصناعي ، واستحدث أوزاناً لأداء دلالات خاصة

كالآلة والحرفة والداء ، وأجاز النسب الى جمع التكسير وكان مقصوراً على المفرد ويضيف المؤتمر كل عام الى هذه القواعد والرخص الجديد والمفيد وان لغة تقوم على القياس والاشتقاق ـ كالعربية ـ لا يعز عليها أن تجد من الألفاظ ما تدعو اليه الحاجة

ولم ير المجمع بأساً من الافادة من العامية لوضع بعض المصطلحات الجديدة ، لا سيما وفيها قدر غير قليل يرجع الى أصل فصيح واذا لم تف العامية ولا الفصحى بالغرض ، فلا ضير من التعريب ، وقد أقر المجمع مبدأه وحرص على أن يقف به عند حدود مقبولة . فتُعرّب بوجه خاص أسماء الأعيان والأجناس أو ما يدل على تصنيف عام من أنواع النبات والحيوان ، أو على سلسلة متشابهة في الكيمياء ، أو ما ينسب الى عَلَم من اسم شخص أو مكان ، أو ما احتفظ بأصله اليوناني أو اللاتيني في اللغات الحديثة أما ما عدا هذا فالأولى به أن يترجم

في ضوء هذه المبادىء اقرّ المجمع آلافا من المصطلحات ، أخرج منها ستة مجلدات تشتمل على قوائم متنوعة في العلوم والفنون وألفاظ الحضارة وقد آن له أن يخرج منها معجمات علمية متخصصة ووضع فعلا منذ عامين نواة لمعجمين أحدهما في الفلسفة والآخر في الجغرافية وأخرج هذا العام معجما في الجيولوجية مستمداً من قراراته السابقة وفي جدول أعمال هذا المؤتمر مشروع معجم في العلوم الاجتماعية تعاقد المجمع مع اليونسكو على وضعه وكلنا رجاء أن تتوالى هذه المعجمات التي تواجه حاجات الدارسين والباحثين وتتمشى مع نهضتنا العلمية

ولا يزعم المجمع مطلقاً أنه يفرض على الناس مصطلحات خاصة ، أو يملي عليهم لغة علمية من صنعه ، وانما يستمدها من العلماء والمتخصصين ، وحق العالم في وضع مصطلحه لا مشاحة فيه ، وليس لأحد أن يعترض سبيله ولا أن يستوقف بحثه ومهمة المجمع أن يسجل من استعمال العلماء اقربه الى أصول اللغة ، وأشيعه بين الباحثين ، وأن يتخذ منه لغة موحدة في العالم

العربي بأسره ولست في حاجة أن أشير الى أن مصطلحاته أضحت حجة في بابها يعول عليها المؤلفون والمترجمون وبين أيدينا مشروعات معجمات في الكيمياء والقانون الاداري اقترحها مكتب التعريب بالرباط ، وفيها أخذ واضح عن مقرراتنا السابقة ، ففي أعمال مجمع اللغة العربية ما يعين على تحقيق ما نصت عليه المادة السابعة عشرة من ميثاق الوحدة الثقافية الذي أقر ببغداد في العام الماضي ، وتقضي بتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية في العالم العربي

سادبي :

لقد التقينا في هذه القاعة منذ عام تقريباً ، وبودي أن أعرض عليكم في اختصار أعمال المجمع في هذه الفترة

ج — المؤتمر الماضي :

افتتح في الرابع والعشرين من شهر فبراير الماضي ، ودام اسبوعين ، انعقدت فيهما تسع جلسات ، شهدها أعضاء المجمع العاملون من الجمهورية العربية ، واثنا عشر من أعضائه العرب ، وعضو مراسل هو الدكتور عبد الكريم جرمانوس المستشرق المجري المعروف والحريص دائماً على أن يشترك معنا

واستطاع المؤتمر أن يفصل في عدة أمور ، وأن يتخذ طائفة من القرارات ، فنظر في نموذج من المعجم الكبير ، ولاحظ ان منهج هذا المعجم قد وضع واستقر بوجه عام ، ورغب في ان تصاغ فيه التعريفات ما امكن بروح العصر اللهم الا عند الاستشهاد بنص مأثور ، ووافق على ان يثبت فيه ما يقره المجمع من ألفاظ محدثة أو مولدة ، وفصل المؤتمر في مشاكل لغوية أثيرت من قبل مثل مشكلة الحوشي ، والمترادف ، والتضاد ، والتذكير والتأنيث ورأى أنه لا مناص من اثبات الألفاظ الحوشية في المعجمات الكبيرة لفهم بعض النصوص القديمة ، وأن الترادف

التام لا يكاد يوجد ، بل هناك دائماً فروق دلالية بين لفظ وآخر ، وان الأضداد في العربية لا تبلغ بكثرتها أن تكون مشكلة وأقر بعض القواعد التي تيسر أمور التذكير والتأنيث وأجاز تعبيرين : احدهما قولهم هو « لما به » أي في حال من الاعياء والشدة ، والآخر « بواسطة كذا » أي بوسيلة كذا

ونظر مرة أخرى في كتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية رغبة في تيسير قراراته السابقة ، وانتهى الى مبدأين هامين ، أولهما أن يكتب العَلم كما ينطق في لغته الأصلية اللهم الا ما اشتهر بنطق خاص في قديم العربية أو حديثها ، وثانيهما أن يكتفى بأصوات الحروف العربية وصورها لأداء الحروف والأصوات الأجنبية ، بزيادة صوتين اثنين هما الباء والفاء الثقيلتان

وأقر نحو « ٨٥٠ » مصطلحاً موزعة بين الدراسات الانسانية والطبيعية ، فبعضها في التاريخ والقانون وعلم النفس والتربية ، والفصائل اللغوية ، وبعضها في الجيولوجية والطبيعة والأحياء والحيوان ووضع نواة لمعجم في الجغرافية أشرنا اليه من قبل

وقدم اليه ثلاثة عشر بحثاً ، ألقى منها عشرة ، أثيرت حولها مناقشات ممتعة وتكاد تدور كلها حول اللغة في مفرداتها وتراكيبها ، ولا أدل على هذا من أنه أحيل أربعة منها الى لجنة الأصول وكان للقياس فيها شأن خاص ، واعلن مرة أخرى أن من حقنا أن نقيس كما قاس الأقدمون فنتدارك ما فاتهم ونصلح ما يؤخذ على بعض أقيستهم .

وأبديت في نهاية المؤتمر مقترحات وضعناها نصب أعيننا ، فاريد شكل المصطلحات العلمية عند الطبع ، وسنرعى ذلك في كل ما يصعب نطقه واقترح تخصيص جلسات للبحوث وأخرى للمصطلحات ، ولكن أليس في التنويع ضرب من التخفيف على أن المصطلحات ترسل تباعاً للسادة الأعضاء بمجرد اقرارها في المجلس ثم تعرض على المؤتمر لأخذ الرأي عليها بصفة نهائية وانا لنرغب دائماً في أن تصلنا البحوث قبل بدء المؤتمر ،

كي تطبع وتوزع على السادة الأعضاء في الوقت المناسب ، لا سيما والدعوة الى المؤتمر توجه مبكرة ، ويكاد يتفق على موعده في المؤتمر السابق وجرت العادة أن تستكمل الدراسة في لجان المجمع الدائمة ، ولا مانع من عقد لجان مؤقتة اثناء المؤتمر للنظر فيما يتطلب قراراً عاجلا ولا سبيل الى تقسيم المؤتمر نفسه الى لجان تنظر كل واحدة منها في باب خاص ، لأنه يشترط في قراراتها العلمية أن تؤيدها أغلبية أعضاء المؤتمر جميعاً وفي الامكان عقد جلسات مسائية ، أو مدّ مدة المؤتمر ان دعا الأمر

و — المجلس واللجان :

استأنف المجلس نشاطه بعد انفضاض المؤتمر ، واستقبل زميلين ، هما فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج ، والدكتور أحمد البطراوي ، ولم يكد الثاني يسلم حتى ودع مع الأسف ، فقدناه ونحن نعلق عليه الآمال الكبار

وفقدنا في العام نفسه زميلين من أقدم الزملاء : الأستاذ عباس العقاد ، والدكتور علي شوشة ، وهما من تعرفون علماً وفضلا ، وسيبقى على الزمن ما خلفا من آثار عظيمة في خدمة الأدب واللغة

وانتخب أخيراً زميلان جديدان ، هما السيد المهندس أحمد الشرباصي ، والشيخ محيي الدين عبد الحميد ويسعدنا أن نستقبلها اليوم وأن يشتركا معنا في هذا المؤتمر ،

والى المجلس اجتماعه الأسبوعي ، وعقد نحو ثلاثين جلسة منذ المؤتمر الماضي، واشترك في احداها السيد المردني وزير المعارف باليمن ، وفي أخرى الأستاذ محمد مهدي أبو حامد وكيل وزارة العدل الليبية ويرحب المجمع دائماً بتوثيق الصلات بين الناطقين بالضاد في بلاد الضاد .

وليس بجديد أن يستغرق نظر المصطلحات أكثر من نصف الجلسات وقد أقر المجلس منها ما يناهز الألف في الطب والكيمياء ، والطبيعة والأحياء ، والتاريخ والجغرافية ، والفصائل اللغوية ، وألفاظ الحضارة وستعرض عليكم جميعاً وأذن المجلس أن تعرض عليكم أيضاً مصطلحات معجم العلوم الاجتماعية وتكاد تبلغ الستمائة أعدها لجنة خاصة ، وفي اقراركم لها ما يكسبها قوة ، ويزكيها لدى الباحثين في البلاد العربية عامة

وقد أثير من جديد موضوع المصطلح العلمي ووسائل المجمع في البحث عنه وجمعه واختياره ومدى مواجهة هذه الوسائل لحاجات العلم المتزايدة ، ونوقش ذلك طويلا ، وأسفرت المناقشة عن أن المجمع يسير في سبيل هدتْ اليها التجربة ، ولا يحد عمله من حرية العلماء ، ولا يحول دونهم واقتراح ما يرون من مصطلحات ، وحياة اللغة العلمية في تعاون المجمع والهيئات المختلفة عليها تعاوناً مستمراً

ولا يتسع المقام للافاضة فيما تقوم به اللجان من أعمال ، وهي تغذي المجلس دون انقطاع وقد عقدت نحو ٢٥٠ جلسة وأوشكت لجنة المعجم الكبير على انهاء باب الهمزة ، ولم يفتها أن ترسل الى السادة الأعضاء أولا فأولا كل ما تفرغ من مناقشته ، وتفيد ما وسعها من ملاحظاتهم وسيوزع عليكم مجلدان كبيران يشتملان على ما أنجز من أعمال في السنة الماضية وأصبحت لديها مادة تسمح بالبدء في نشر المعجم الكبير جزءاً جزءاً

وأضافت لجنة الأصول الى حصيلة المجمع من قواعد تيسير اللغة طائفة جديدة تدرر حول النحت والمركب المزجي ، وبوهم أصالة الحرف الزائد ، وتتابع الأعلام مع حذف لفظ « ابن » من بينها ، وصيغة استفعل للجعل أو الاتخاذ وهذه القواعد كلها في انتظار اقراركم

وتضطلع لجنة الأدب بقراءة النصوص التي ترد اليها ، وطرحت في مسابقة ٦٤/٦٥ بحثاً أدبياً موضوعه : « الأدب الأندلسي أو المغربي » ، وهي مسابقة مفتوحة للعالم العربي بأسره

وأجازت لجنة احياء التراث كتاب « عجالة المبتدي وفضالة المنتهي » للحازمي بتحقيق

الزميل عبد الله كنون ، وتم نشره ورأت تحقيق ثلاثة من أمهات كتب اللغة يشرع فيها على التوالي وهي :

١ — التكملة للصاغاني

٢ — الصحاح للجوهري

٣ — ديوان الأدب للفارابي

وقد بدىء فعلا بالكتاب الأول ، واختير محققوه ومراجعوه ، ومن حسن الحظ أن لدينا منه نسخاً يمكن التعويل عليها

وتتابع لجان المصطلحات عملها ، وأقرت ما يزيد على ثلاثة آلاف مصطلح ، ولديها مادة صالحة للعرض على المجلس الى جانب ما عرض من قبل وبين يدي لجنة القانون معجم المصطلحات الادارية الذي بعث به مكتب التعريب بالرباط ، وتنظر لجنة الكيمياء في معجم آخر أعده هذا المكتب ، وتبحث لجنة الرياضة والطبيعة مصطلحات سلكية ولاسلكية محولةعليها من الاتحاد العربي للمواصلات وأنجزت لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية نحو ٣٠٠ مصطلح من المعجم الفلسفي الذي بدىء فيه من قبل وفرغت لجنة معجم العلوم الاجتماعية من وضع قائمة مصطلحات هذا المعجم ، وتزيد على الألف ، ورؤى ألا يعرض منها على المؤتمر الا ما لم يسبق اقراره

هـ — المجمع والهيئات الاخرى :

تلقى المجمع من وزارة الصناعة مجموعتين من المصطلحات لابداء الرأي فيها ، وتنصب أولاها على البترول ، والثانية على وحدات القياس ولوحظ أن منها قدراً سبق للمجمع أن أقره واتفق على ألا يحال الى اللجان الا ما لم يسبق نظره

ووردت الى المجمع توصيات مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية الذي عقد بالجزائر في فبراير سنة ١٩٦٤ وتتلخص في : (١) وضع مقابل واحد لكل مصطلح أجنبي (٢) ذكر المصطلح الأجنبي بجانب العربي ، (٣) تعريف المصطلح تعريفاً واضحاً ، (٤)توحيد المصطلحات العلمية المدرسية في البلاد العربية ، وليس في هذا جديد بالنسبة لما سار عليه

المجمع من قبل ، ومع ذلك رأى المجلس اشعار لجانه بهذه التوصيات ترحيباً بكل جهد يبذل في سبيل تحقيق أغراض المجمع وتوثيقاً للصلة بينه وبين العاملين في ميدانه

وطلب المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية الى المجمع أن يبدي رأيه في المعجمات التي خلفها الدكتور رمسيس جرجس عضو المجمع السابق ، وبعث « بالمعجم الطبي » وهو أمام اللجنة المختصة الآن

مكتب التسجيل :

يتابع مكتب التسجيل عمله في استخراج المصطلحات ، وترتيبها ترتيباً زمنياً هجائياً واثباتها في جزازات، وقد استخرجت بالفعل المصطلحات المنتهية الى الدورة التاسعة والعشرين، ونسخت قوائم بعض الدورات ، ورتبت جزازات بعضها ويرجى أن تستوعب المصطلحات كلها ترتيباً وتسجيلا في فرصة قريبة ، وبذا يمكن الرجوع اليها في يسر ، وما إحوجها الى قاعة خاصة مزودة بوسائل الحفظ والتبويب

المكتبة

وتسعى المكتبة دائما الى زيادة ذخيرتها من المطبوعات الداخلية والخارجية وان صادفتها بعض الصعاب في الحصول على الأخيرة ، وتحرص على اقتناء المخطوطات النادرة ، وبخاصة في اللغة والأدب واستطاعت أن تحصل في العام الماضي على :

أ — كتب عربية ظهرت في مصر ، يكفي أن نشير من بينها الى :

١ - شرح القصائد السبع الطوال للانباري تحقيق عبد السلام هارون

٢ — كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي طبعة حديثة

٣ — تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر

٤ — لحن العوام للزبيدي تحقيق رمضان عبد التواب

ب — كتب عربية طبعت في الخارج ، نذكر من بينها :

١ — تذكرة الشعراء أو شعراء بغداد للشهرباني

٢ — الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني

٣ — شفاء السائل لتهذيب المسائل لابن خلدون

ج — مراجع أجنبية ، وهي في أغلبها معجمات ودوائر معارف في العلوم والفنون .

وصورت بعض المخطوطات النادرة ، مثل :

١ — العباب الزاخر واللباب الفاخر للصاغاني .

٢ — المحيط للصاحب ابن عباد

وامكن رفع اعتمادات المكتبة من ٧٠٠ الى الف جنيه ، وهي الآن بصدد تنظيم كتبها وتنسيقها على أحدث الطرق المتبعة في المكتبات العامة

وأما المطبوعات فقد أخرج المجمع منها :

١ — المجلد السادس من مجموعة البحوث والمحاضرات في (مؤتمر الدورة الثلاثين) .

٢ — المجلد السادس من مجموعة المصطلحات

٣ — معجم الجيولوجية

٤ — عجالة المبتدى وفضالة المنتهى للحازمي

٥ — الجزء الثامن عشر من مجلة المجمع

هذه هي اعمال المجمع منذ مؤتمر الدورة الثلاثين ، وها نحن اولاً تبدأ اليوم مؤتمر الدورة الحادية والثلاثين وقد تفضل السيد رئيس الجمهورية اليمنية واهدى المجمع معجماً حديثاً في القبائل والبلدان اليمنية

وفي جدول اعمال هذا المؤتمر كالمألوف ابواب اربعة رئيسية هي :

١ — معجمات

٢ — مصطلحات .

٣ — اصول لغوية

٤ — بحوث في الادب واللغة

من سجل العلاقات الثقافية الوثيقة

بين مصر والعراق

اوردنا اسم الاستاذ عبده حسن الزيات بين اسماء الاساتذة المصريين المنتدبين للتدريس في كلية الحقوق ببغداد سنة ١٩٣٨ وذلك في البحث السابق الذي تناولنا فيه موضوع العلاقات المذكورة ، ويعمل السيد الزيات الآن محامياً لدى محكمة النقض والابرام في « دمياط » ، وقد هزته تلك الذكريات العراقية الحميدة فبعث الينا ونحن في القاهرة منذ ايام بالرسالة البليغة التالية :

دمياط في مساء ٢١/٣/١٩٦٥

سيـــدي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

وبعد فاني قد علمت متأخراً انكم تفضلتم في حديث مع صحيفة المساء فنوّهتُم باسمي بين اسماء زملاء من ذوي الفضل

واني ابادر فابعث بهذا الشكر القلبي الصادق ، فان التنويه من مثلكم امر مُشرّف لمن يحظى به لا سيما حين يكون في دائرة العلم والتعليم ، ولكنه فضلٌ لا يستغرب لانه من معدنه ، وقد ادّخر الله امثالكم ليعيدوا الى النفوس ثقتها بالوفاء ويمنعوها من ان تبلغ حافة اليأس من الحرمان والقنوط ازاء مظاهر الجحود والنكران

انها قالةُ خير ، فلا اقلّ من كلمة شكر ، وليُسعد النطق كما اسعدني نُطقكم والسلام عليكم من الشاكر العارف

عبده حسن الزيات

هذا ماتلقيناه من الاستاذ الزيات تلقيناه مكبرين فيه حفظه الله روح الوفاء والاخلاص وكرم السجايا ونبل الاخلاق

باب الكتب

يتضمن هذا الباب من ابواب المجلة تعريف الكتب ونقد المطبوعات

كتاب خلق الانسان

عن ابي محمد ثابت بن أبي ثابت من علماء اللغة في القرن الثالث
مطبعة حكومة الكويت عدد الصفحات (٣٢٩)

بقلم : محمد رضا الشبيبي

تعنى وزارة الارشاد والأنباء في دولة الكويت عناية تشكر في نشر سلسلة من المخطوطات الممتعة ، ومما تحمد عليه هذه الوزارة الكويتية انها تعهدبتحقيق ما تنشره من الكتب والمخطوطات الى طبقة مختارة من الأدباء والباحثين ، ومن آخر الكتب التي عنيت بتحقيقها كتاب « خلق الانسان » لأبي محمد ثابت بن ابي ثابت من اعلام القرن الثالث المصنفين في اللغة ومن هذا القبيل ايضاً انها عهدت بتحقيق هذا الكتاب الى السيد عبدالستار احمد فراج من هيئة محرري مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وهذه الطبعة من الكتاب مُصدّرة بكلمة للدكتور احمد زكي عضو مجمع اللغة العربية ورئيس تحرير مجلة العربي الكويتية

والكتاب - فيما يقول محققه - ينفع المجامع واعضاءلجانها ، والواقع انه كتاب ينتفع به كافة المعنيين بالمباحث اللغوية ، ولا يخفى ان هناك اكثر من كتاب عولج به هذا الموضوع

ـ موضوع خلق الانسان ـ غير ان كتاب ابي محمد هـذا اغزر تلك الكتب مادة واكبرها حجماً ، وهو بعد ذلك من مآخذ ابن سيده في كتاب المخصص ، كما يستفاد من تضاعيف كتاب ابن سيده ، وقد عني محقق الكتاب بضبطه ومراجعه جملة من المظان والمعجمات مضافاً الى عنايته بفهرسة حسنة مفصلة له ووضع معجم بالالفاظ والمصطلحات الواردة فيه

اللســــان العربي

العدد الثاني

مجلة للابحاث اللغوية والترجمة والتعريب يصدرها في الرباط «المغرب الاقصى» المكتب الدائم لتنسيق التعريب تضمّن هذا العدد مقالات ممتعة استغرقت (١٦٠) صفحة وذلك في الموضوعات التالية : السليقة عنـد العرب المحدثين ، النثر الفني عربيّ النشأة ، بين الفصحى والعاميـة ، تأثير الاعاجم في لغة العرب ، وحـدة المصطلح العلمي ، تأثير العربية في اللهجة الشلحيّة ، الارقام الغربية ارقام عربيـة اصيلة ، نشأة اللغة العربية ومصادرها ، حركة التعريب في العالم العربي ، تجربة التعريب في سـورية ، التعريب في الجزائر وتونس ، تطور التعريب في العراق ، اللجنه الاردنيـة للتعريب ، انظارٌ في التعريب ، المركز القومي للاعلام والتبويب ، وثيقة جـديدة حول العامـيّة في المغرب والاندلس ، دراسة حول العربية والاسـلام في هولانده ، الالفاظ المشتركة في العامتين المصرية والمغربية ، الجديد في المسندرك للتعريب ، تصحيح الأغلاط الشائعـة ، مشروع الموسوعة المغربية ، مدينة وليلى هذا الى بحوث لغوية وادبية اخرى تضمها هذا العدد من مجلة اللسان العربي ، لذلك لا يسعنا الا أن نقدر جهد المكتب الدائم لتنسيق التعريب الذي تصدر عنه هذه المجلة خصوصاً اذا علمنا ان اعدادها وزعت مجاناً وقد بلغت عدتها ثلاثة آلاف نسخة

التقرير السنوي للعام الدراسي

١٩٦٢ — ١٩٦٣ في الاردن

يتضمن هذا التقرير الذي اصدرته وزارة التربية والتعليم في المملكة المذكورة ـ وقد ناهز عدد صفحاته الثلاثمائة صفحة ـ فصولاً عن نظام التعليم في المملكة الاردنية الهاشميّة واخرى من مراحل التعليم الابتدائية والاعدادية والثانوية، وثالثة عن دور المعلمين والمعلمات وعن العلاقات الثقافية وعن التربية الفنية والرياضية والكشفية والمكتبات والتعليم الريفي والبعثات العلمية، ويشتمل التقرير ايضاً على جداول بيانية باحصاء عدد الطلاب والطالبات في مختلف مراحل التعليم، وعن توزيعهم في المدن والقرى حسب المراحل التعليمية وعن عدد الطلاب والطالبات بالنسبة لعدد السكان الى غير ذلك من الفوائد التي تضمها هذا التقرير

المعجم اللغوي الكبير

عرض على مؤتمر المجمع اللغوي في دورته الأخيرة نموذج من المعجم اللغوي الكبير يقع في جزأين يحتويان على مواد من حرف الهمزة، والكتاب في الواقع معجم لغوي وبلداني وتاريخي، ولا يخلو من بحوث لغوية مقارنة بين اصول الكلمات في العربية وبعض اللغات السامّية وكانت لبعض اعضاء المؤتمر على هذا النموذج ملاحظات. وليس هذا بالنموذج الأول من المعجم اللغوي الكبير يعرض على المؤتمر اذ سبق عرض اكثر من نموذج واحد منه نوقش في المؤتمر، وابديت بشأنه ملاحظات لاتنقصها العمق والصراحة ومما يتميز به هذا النموذج الأخير ان اللجنة التي عُنيت بتأليفه لم تغفل جملة من ملاحظات اعضاء المؤتمر عليه في بعض الدورات السابقة، ومع ذلك لايستغنى النموذج فيما نرى عن مزيد من التحقيق والتمحيص، وهو ما نتوقعه من مجلس المجمع الدائم في القاهرة

رسالة أبي حيان التوحيدي

في العلوم

يعنى المعهد العلمي الفرنسي في دمشق منذ تأسيسه باحياء بعض المخطوطات العربية النادرة وتحقيقها والتعليق عليها ، وقد اطرفنا اخيراً بدراسة دقيقة عن رسالة ابي حيان في العلوم وفي مقدمة هذه الرسالة يدافع التوحيدي عن المنطق وعن الفلسفة ، ويتكلم في فصول موجزة عن العلوم الآتية : الفقه ، الكلام ، المنطق ، الطب ، النجوم ، الحساب ، الهندسة ، التصوف ، البلاغة ومما تتميز به هذه الرسالة التوحيدية ان لغة العلم اقترنت فيها بلغة الأدب ، وباساليب البلاغة والبيان المأثورة عن ابي حيان التوحيدي وطبقته ، وقد احسن المعهد العلمي صنعاً باحياء هذه الرسالة واخراجها بثوبها القشيب مشفوعة بتعاليق غاية في الافادة

نشرت الرسالة في دمشق منذ عهد قريب ، فهي من طرف المعهد التي يستحق عليها وافر الشكر والتقدير .

معجم رجال الفكر والأدب

في النجف خلال الف عام

الف هذا الكتاب الشيخ محمد هادي الاميني بمناسبة مرور الف عام على ميلاد ابي جعفر محمد بن الحسن بن الطوسي المحدث المصنف المشهور المتوفى سنة ٤٦٠ في النجف ومنهج المؤلف - كما يقول في المقدمة - ذكر من ولد في النجف او نشأ فيها او هاجر اليها واستوطنها ، وقد رتبه على حروف الهجاء ويقع الكتاب في (٨٧) صفحة . وفي آخره ثبت بأسماء المآخذ والمراجع التي استند اليها المؤلف ، طبع الكتاب في مطبعة الآداب النجفية وعانى المؤلف جهداً غير قليل في اخراجه

مطبوعات حديثة

فيما يلي قائمة باحدث الـكتب والمطبوعات التي اقتنيت من قبل المجمع العلمي او اهديت اليه نسرد اسماءها الآن، وموعدنا الجزء القادم من المجلة في نقدها او التعريف بها على قدر الامكان

١ — تاريخ دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب تأليف عبد الله فلبي تعريب عمر الديراوي

٢ — ارض الانبياء (مداين صالح) تأليف عبد الله فلبي تعريب عمر الديراوي

٣ — التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٥٨ـ١٩٥٩ اصدرته مصلحة المعارف الـكويتية

٤ — دول الخليج الفارسي واماراته تأليف سيف مرزوق الشملان في الـكويت

٥ — رباعيات الخيام ترجمة الدكتور جميل الملائـكة عضو المجمع العلمي العراقي .

٦ — مجلة سومر الجزآن الاول والثاني من المجلد التاسع عشر

٧ — مجلة البحث العلمي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي في مدينة « الرباط » وصلنا منها العدد الثاني من السنة الاولى

٨ — وحـــدة الوجود العقلية تأليف السيد عبد الجبار الوائلي من منشورات مكتبة النهضة

٩ — سنابل الغد فصول ومقالات جمعت في مجلد للسيد يوسف جعارة من بيروت

١٠ — الانساب والاسر للسيد عبد المنعم العلامي الجزء الاول

١١ — العراق في العصر الاموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعيـة تأليف ثابت اسماعيل الراوي

١٢ — الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التـاسع عشر للسيد عبد الله الفياض

١٣ — في علم اجتماع الثورة

١٤ — الطبقة الاجتماعية وكارل ماركس

١٥ — نحو الفكر الاجتماعي هذه الكتب الثلاثة الاخيرة للدكتور حاتم الكعبي .

منطقة الحيرة دراسة (طوبوغرافية) مستندة على المصادر الادبية للدكتور صالح احمد العلي عضو المجمع العلمي ورئيس قسم التاريخ في كلية الآداب

رحلة في بادية السماوة

مطبعة المجمع العلمي سنة ١٣٨٤ — ١٩٦٤

في (٦٠) صفحة

لمؤلفها محمد رضا الشبيبي

قام المؤلف برحلته هذه سنة ١٣٣٧ (١٩٢٠) في البادية بين ضواحي مدينة دمشق غرباً الى شواطيء نهر الفرات في « الفلوجة » شرقاً ، وقطع المسافة في التاريخ المذكور على ظهور الجمال في ست وعشرين مرحلة او منزلة معروفة باسماءها الآتية في البادية :

ضمير قرية بدوية على مرحلة من مدينة دمشق ، الصيقل منزلة تتنقل فيها « الرُولا » بطن من بطون قبيلة عنزة ، السبع بيار نزلناها بعد مسيرة نهار كامل من المنزلة السابقة ، المفازة مسيرة اربعة ايام في البادية من بعد المنزلة السابقة اي السبع بيار وهي اشق المراحل واكثرها خطراً على القوافل لفقدان الماء فيها بالمرة ، الكعرة ويقال لها « الرطبة » لأن ابارها من اغزر ابار هذه البادية بالمياه ، منزلة الضايع والضُويِّع ، حوران وادٍ كبير معروف مَصبُّه اذا سال في نهر الفرات ، محيور مُصغراً منزلة بعد حوران فيها ابار ، منزلة بعد « محيور » يقال لها في اصطلاح البادية « مُعيشر »، الفَريدة بالتضعيف منزلة بدويّة واصلنا الرحلة منها الى « الفلوجــة » ومررنا في طريقنا على فريق من عرب « الدليم » ينتجعون مراعي البادية ورافقنا بعضهم الى ضواحي الفلوجة .

هـــذه هي مراحل سفرنا بين دمشق والفلوجة في عودتنا الى العراق ، واما مراحل السفر السابقــة عندما غادرنا العراق في اواخر سنة ١٩١٩ فقد استغرقت من العراق حتى مكة المكرمة على الجمال اكثر من اربعين يوماً وكانت على الخط الآتي :

بادية البصرة والمنتفق غربي البطائح ونهر الفرات ، بادية نجد الى مدينة حائل قاعدة امارة الرشيد، بادية نجد والحجاز الى المدينة المنورة ومنها الى مكة ، وبعد المكث في مكة اربعين يوماً رجع المؤلف الى المدينة ومن المدينة استقل القطار الى دمشق وكان اي القطار بحالة يرثى لها من الخراب من جراء الثورة العربية

سلخ المؤلف في دمشق او القطر الشامي بين الداخل والساحل ســـنة كاملة حفلت باحداث جسيمة قامت في اولها دولة عربية عاصمتها دمشق ، ولم تمض تلك السنة حتى انقرضت تلك الدولة ، وكان المؤلف مدّة اقامته في الشام وثيق الصلة بقادة الثورة العربية التي اعلنوها في سبيل الحرية والاستقلال وبالرأي العربي العام كذلك ، ولم تنقطع في هذه الفترة رسائله الى المجاهدين من اخوانه في العراق حتى جدّ الخصام بين الســوريين والفرنسيين المستعمرين في الشام ، وزحف الجيش الفرنسي على دمشق من لبنان واحتل الشام بعد واقعة « ميسلون » ، واستعرض القائد الفرنسي المتغطرس جيشه في قلب المدينة في يوم مشهود ، وهكذا لم يسع الجالية العراقية بعد زوال سلطان العرب يومئذٍ في الشام الا مبارحة دمشق الى العراق بطريق البادية وعلى ظهور الجمال كما هو مشروح في هذه الرحلة هذا ويستفاد من التأمل في وقائع الرحلة ان المؤلف سجل فيها انطباعاته عن مظاهر الحياة في البادية ، وفي الرحلة مضافاً الى ذلك نبذ تاريخية وبلدانية الى اجتماعية وعمرانية ونُتَفٌ في المقارنة بين احوال البوادي العربية المختلفة في الشمال والجنوب ، هذا ولرحلة المؤلف هذه من العراق الى تلك الاقطار بواعثها المعروفة وخلاصتها انه غادر العراق سنة ١٩١٩ وفي اعقاب

الاستفتاء الذي دعت اليه السلطة البريطانية المحتلة فور اعلان الهدنة العامة بعد الحرب العالمية الاولى حاملاً معه الى قادة الثورة العربية وثائق تؤكد تمسك العراقيين بحقهم في تقرير مصيرهم بانفسهم ورفضهم سلطان الاستعمار والانتداب باشراف عصبة الامم ، ولكن الاحوال كما رآها في مركز الثورة العربية كانت على الاجمال مخيبة للآمال

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية

مطبعة المجمع العلمي عدد الصفحات (٢٨)

بحث اخرجه محمد رضا الشبيبي وضمنه وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في دور انعقاده الحادي والثلاثين بالقاهرة ، وفيما يلي عناوين بعض البحوث الواردة في الرسالة

الدورة الجديدة ، منهج الدورة ، برنامج الاحتفال ، شهود الاجتماع ، الاعضاء العاملون ، بلدان ممثلة في المؤتمر ، خطباء الحفلة ، ممثل العراق في المؤتمر ، مجلس المجمع ولجانه ، البحوث المجمعية ، من خطباء هذه الحفلة وزير التعليم العالي ورئيس المجمع والامين العام وكاتب هذه الكلمة ، وقد اكد الوزير في خطابه على حاجة الامة الى معجم لغوي جامع يتضمن ما أسفرت عنه حضارة العرب من مصطلحات علمية قديمة وحديثة ، وقال ان هناك الفاظاً ومصطلحات لم تستعرضها المعجمات واشار الى ضرورة تجريد المعجم الحديث من كلمات حوشية لا تعتبر اليوم حيّة ولا ينتفع بها الا عدد من الباحثين اما الدكتور طه حسين فأكد على ضرورة البدء في وضع المعجم التاريخي اي المعجم المتميّز بتاريخ مواده كلمة كلمة من حيث تطور مدلولاتها ومقاصدها بتطور العصور ، وفي كلمة الدكتور ابراهيم مدكور الامين العام اشارة الى ما اسماه « لغة العلم » وعناية المجمع بها واخرى الى وقائع المؤتمر الماضي لخص فيها وقايع الدورة المجمعية الماضية ، وتناول خطاب محمد رضا الشبيبي في الحفلة بحث العلاقات الثقافية بين مصر والعراق في العصور الحديثة وهذه الكلمة في الواقع تكملة لبحث سابق له تناول فيه تاريخ العلاقات التي قامت بين البلدين في العصور القديمة القاه في دورة سابقة من دورات مجمع اللغة العربية

التعريف بمخطوطة

الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط

لمحمد بن مصطفى الشهير بداود زاده التركي

لا نعرف من ترجمة صاحب المخطوطة إلا ما ذكره هو في مقدمة الكتاب . فقد تولى القضاء في مكة المكرمة وفي دمشق وكان قد عني بمعجمات العربية وتهيأ له من ذلك مادة ضمنها كتابه هذا فهو يقول : « أمليها بالاستعجال على طريق الارتجال .

. .

وسميها بالدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط » ، وكان شروعي في ذلك الأمر الخطير في أول جمادى الأولى من شهور سنة سبع وعشرين وألف من تأريخ هجرة نبينا عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام أثناء قضائي بدمشق الشام ووقع الاختتام في أواسط شعبان ذلك العام »

ويبدو من هذا أن المؤلف من رجال القرن العاشر الهجري ولا نعرف سنة وفاته لعدم تيسر ذلك وان كتب الرجال التي تؤرخ هذه الفترة لا تذكره ، وا كبر الظن أن ذلك راجع الى أن المترجم تركي عاش بعيداً عن ديار العربية ولا ندري كيف ذكر الأستاذ

عباس العزاوي في كتابه « تاريخ الأدب العربي في العراق [1] » أن المترجم توفي سنة سبع عشرة والف في حين أنه فرغ من كتابه هذا سنة ١٠٢٧ للهجرة كما أشرنا

المخطوطة :

النسخة التي نعرف بها ، نسخة المؤلف نفسه ، وهي بخطه وتقع في ١٩٨ ورقة ومقاسها ٢٣ سم × ١٤

والمخطوطة بخط فارسي أنبق واضح وهي في خزانة العالم الجليل السيد حسن حسني عبد الوهاب في تونس وقد تفضل فأعارنيها فنسختها وقابلت ما نسخته على الأصل ، وراجعت نصوصها في المظان المختلفة حتى انهيت من ذلك

وتعرض مادة المخطوطة للأوهام اللغوية التي وجدها الفيرزابادي في « الصحاح » وأشار الى ذلك في « محيطه » .

ولا تقتصر مادة الكتاب على هذا ، فهي تشتمل كذلك على قول صاحب « الصحاح » وعلى أقوال اللغويين الذين سبقوا الفيروزآبادي وتعقيباتهم على الجوهري وهو في اكثر الأحيان يبين رأيه الخاص فإما أن ينتصر للجوهري فيرد على الفيرزابادي ، وعلى غيره ، وإما أن يأخذ برأي هؤلاء الناقدين كما أنه قد يعتذر للجوهري فيوجه المآخذ التي أخذت عليه توجيهات خاصة ليبريء الجوهري ويصوبه ، وقد يأتي بفائدة جديدة فيشير الى ذلك بقوله : «أقول» . والمؤلف في خلال عرضه لمادة كتابه يشير الى الكتب التي ألفت في نقد « الصحاح » والتعليق عليه ومن المعلوم أن « الصحاح » قد حظي بعناية فائقة من اللغويين المتقدمين والمتأخرين فقد اختصر وهذب وترجم الى غير العربية كالتركية مثلاً

(١) عباس العزاوي ، تاريخ الأدب العربي في العراق ٢/٧٧

ومن الكتب التي كتبت في التعليق على « الصحاح » وفي نقده ما جاء في « الدر اللقيط » الذي نعرف به في هذه المقالة ، وهي :

(١) التنبيه والايضاح عما وقع في كتاب الصحاح ، المشهور باسم حواشي ابن برى[١] وقد شارك في تأليف هذا الكتاب كل من ابن القطاع [٢] وتوفى عام ٥١٥ هـ فأخذه تلميذه عبد الله بن برِّي بن عبد الجبار المقدسي المصري ولم يتمه فقد توفي عام ٥٨٢ هـ حتى أكمله بعد ذلك بزمان طويل عبد الله بن محمد الأنصاري البسطي [٣]

وقد أفاد مؤلف « الدر اللقيط » من هذه الحواشي دون أن يسميها بل اقتصر على القول : « وذكر ابن برِّي »

(٢) كتاب نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم لخليل بن أيبك الصفدي المتوفى عام ٧٦٤ هـ . وقد نقل المؤلف عن هذا الكتاب دون تسميته كثيراً

(٣) كتاب التكملة والذيل والصلة للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني أوالصاغاني المتوفى عام ٦٥٠ هـ [٤]

ولم يكتف المؤلف بهذا القدر فقد كان يذكر آراء الأصمعي وسيبويه وأبي حيان وغيرهم من متقدمي اللغويين والنحويين ويدخل هذا الكتاب ضمن ما شارك به غيرالعرب في العمل اللغوي فالمترجم تركي ولكنه كغيره من الأتراك في هذه الحقبة معنيٌ بالعربية وعلومها

---

(١) هو عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي المصري المتوفى عام ٥٨٢ هـ أنظر : بغية الوعاة للسيوطي ٢٧٨ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٤/٢٧٣ ، ومعجم الأدباء لياقوت ١٢/٥٦

(٢) هو علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع المتوفى عام ٥١٥ هـ أنظر : بغية الوعاة ٣٣١ ، معجم الأدباء لياقوت ١٢/٢٧٩

(٣) أنظر كشف الظنون ٤/٩٣

(٤) أنظر بغية الوعاة ص ٢٢٦ ، معجم الأدباء ٣/٢١٢ .

وقد رأيت أن أعرف به لقيمته اللغوية ، ولبيان ما للترك من هذه الجهود العلمية واجتزأت من الكتاب بنشر باب الهمزة لأظهر طريقة المترجم ومهجه في هذا العلم اللغوي.

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من تنزه جلال ذاته عن شوائب السهو والغلط والنسيان ، وتقدس كمال صفاته عن غياهب الوهم والشطط والنقصان ، ونصلي على أشرف من استله من سلالة عدنان ، وأفضل من استودعه فصاحة البيان ، وطلاقة اللسان ، وعلى آله وأصحابه الذين هم معالم الدين وشموس عوالم الايمان وحماة طريق الهداية عن الغواية والطغيان ، ما صححت الصحف عن الخبط والخطأ بالاتقان ، وضحكت القراطيس ببكاء الأقلام في مطاوي البنان وبعد فلما وفقني الله — عز وجل — الى المطالعة في « القاموس » ، وهو كتاب كأنه نشأ من وحي الناموس ، قد صنفه الفاضل العلاّمة مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي أردت أن أجمع الغلطات التي عزاهـا الى الإمام العبقري أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ، مع إضافة شيء من لوائح أنظاري القاصرة ، وإضافة نبذ من سوانح أفكاري الفاترة ، فغاص اخواننا في لجة الاستغراب ، وقالوا إن هذا الشيء عجاب ، وعاص متعصبو خلاننا عن الانقياد الى طريق الحق والصواب ، وسلكوا سبل الباطل بلا ارتياب ، فقلت : الأحرى بكم العمل بقول من اعترف بفضله وعلمه أهل الملل

لا تحقرن الشيء وهو موافق ... حكم الصواب اذا أتى من ناقص

فالدرّ وهو أجلّ شيء يقتنى ... ما حط قيمته هوان الغائص

أمليها بالاستعجال ، على طريق الارتجال مع تزاحم الغموم والبلبال ، وتراكم الهموم على البال ، من تقدم الأقران والأمثال ، بل الأسافل والأداني والأرذال ، وابتلائي بتتابع خطوب من الزمان ، وتوالي ضروب من صوارف الحدثان .

ولو أني وقلبي من حديد — لذاب على صلابته الحديدُ

محن إلي تتابعت فكأنني — قد صرت مغناطيس وهي حديدُ

أشكو الى الله الزمان فإنه — أبلى جديد قواي وهي حديدُ

وسميها بالدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط ، وكان شروعي في ذلك الأمر الخطير في أول جمادى الأولى من شهور سنة سبع وعشرين وألف من تأريخ هجرة نبينا عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام أثناء [1] قضائي بدمشق الشام ، ووقع الاختتام في أواسط شعبان ذلك العام مع اشتغالي بمصالح أهالي تلك البلدة الميمونة من الخواص والعوام ، وكنت أقدر الاتمام في أكثر من ثلاث سنين وتيسر في أقل من ثلث السنة بعون الملك العلام وذلك بمنّ دولة السلطان الأعظم والخاقان الأكرم الأعلم ، السلطان عثمان خان الذي جمع الله في طبعه الملكي نفائس العلوم والحكم ، مالك رقاب الأمم ، خليفة الله في العالم ، حامي بلاد أهل الايمان ، ماحي آثار الكفر والطغيان ، أصبح الرعايا في عهد خلافته فارغي البال ، وظل البرايا في مهد رأفته رافع الحال ، ولقد أحسن في وصفه القائل :

له راحة مهـا الولاة براحة — له شوكة مهـا العداة بشكوةِ

سلطان من سلاطين العرب والعجم ، خاقان خواقين الترك والديلم ، وهو السلطان بن السلطان مفخر آل عثمان ، السلطان أبو الفتوح ابن السلطان السعيد ، والخاقان المجيد ، السلطان أحمد خان بسط الله تعالى بساط خلافته على بسيط الغبراء مدى الأيام ، ومهر فوق فرق الفرقدين مهار خلافته الى يوم القيامة

« رحم الله عبداً قال آمينا » مصراع

قال الفاضل العلامة ذو الأيادي مجد الدين محمد الفيروزآبادي أفاض الله عليه سجال الرحمة والغفران ، وأسكنه في بحابيح الجنان

---

(١) هكذا ، وربما سقطت « في » ذلك أن الوجه : في أثناء

باب الهمزة

فصـل الهمزة

الأباءة كعباءة القصبة ج إباء هذا موضع ذكره كما حكاه ابن جني عن سيبويه لا المعتل كما توهمه الجوهري وغيره انتهى كلام الفيروزآبادي

ثم أن الفيروزآبادي ذكره هناك أيضاً وقد سبقه في ذلك العلامة ابن برّي وقال : بدأ الجوهري في أول هذا الفصل بترجمة « أجأ » وأهمل فصل « أبأ » وذكره في باب المعتل بناء على أن الهمزة أصلها ياء وليس ذلك بمذهب سيبويه بل نحملها على الظاهر حتى يقوم الدليل على أنهـا من الياء أو من الواو نحو الرداء لأنه من الردية والـكسـاء لأنه من الـكسوة ثم قال الشيخ ابن برّي : وأهمل الجوهري أيضاً فصل « أتأ » وقـد جاء من ذلك أَتْـأَة وهي اسم امرأة من بكر بن وائل وهي أم قيس بن ضِرار قاتل المقدام والشاهد عليه قول جرير :

أتيت ليلك يا ابن أَتْـأَةَ نائماً   وبنو أمامة عنـك غير نيـام

وقد ذكره الفيروز ابادي وكتب بالحمرة إشارة الى إهمال الجوهري وعدم ذكره وقال : أَتْـأَة كحمزة امرأة من بكر بن وائل أمّ قيس بن ضرار

الأثيئة كالأثيفة الجماعة وأَثَأته بسهم رميته به هنا ذكره أبو عبيد والصغاني في « ث وا » ووهم الجوهري فذكره في « ثأثأ » وأصبح مؤتثياً أي لا يشتهي الطعام انتهى.

وقد سبقه في ذلك الشيخ ابن برّي وقال : « أثأ » وأهمل [الجوهري] أيضاً هـذا الفصل ومنه قولهم : أثأته إذا رميته بسهم عن أبي عبيد [1] رواه ابن حبيب [2] وجاء

---

(١) هو القاسم بن سلام أبوعبيد اللغوي صاحب « الغريب المصنف » المتوفى سنة ٢٢٣ هـ أنظر: بغية الوعاة ٣٧٦ ، طبقات الزبيدي ١٢٨ ، معجم الأدباء ١٦/٢٥٤

(٢) محمد بن حبيب المشهور بالأنساب والرواية وأخبـار العرب المتوفى سنة ٢٤٥ هـ انظر : بغية الوعاة ٢٩ ، معجم الأدباء ١٨/١١٢ .

أيضاً أصبح فلان مُؤتَثِياً لا يشتهي الطعام عن الشيباني [1]

أَجاً على فَعَل بالتحريك ـ أحد جبَلي طَيِّء ، والآخر سلمى فينسب اليها الأَجَئيون مثال : الأجعيون انتهى

أقول : الظاهر أن يقول : والنسبة إليه لأنه يريد بذلك النسبة إلى أجاً دون سلمى

أشاء كسحاب صغار النحل قال ابن القطاع همزته أصلية عند سيبويه فهذا موضعه لا كما توهمه الجوهري انتهى

وذكره في المعتل وقال هناك : والهمزة فيه منقلبة عن الياء لأن تصغيرها « أشيء » ولو كانت الهمزة أصلية لقال : أَشي انتهى

وتبعه الفيروزآبادي وذكره غير منبه عليه ، والإمام ابن فارس [2] ذكره في مادة « ش ا ء » على أن تكون الهمزة أصلية

الأَلاء كالعلاء ويقصر شجر مرّ وأديم مألوء دبغ به وذكره الجوهري في المعتل وهماً انتهى

وقال الجوهري هناك : والألاء شجر حسن المنظر مر الطعم انتهى

وقال الشيخ ابن برِّي : ويقال : أرض مَألاة كثيرة الألاء انتهى .

وذكره الفيروزآبادي هناك أيضاً غير منبه عليه وقال : الألاء كسحاب ويقصر شجر مر دائم الخضرة واحدة ألاة .

آء كعاع ثمر شجر لاشجر ووهم الجوهري انتهى

والصحيح عند أهل اللغة أن آء ثمر السرح ونقل عن أبي زيد : هو عنب أبيض يأكله الناس ويتخذون منه رُبّاً ويمكن العذر للجوهري بأن يقال : المراد بالشجر ثمرته

---

(١) أبو عمرو اسحاق بن مرار الشيباني اختلف في سنة وفاته أنظر بغية الوعاة ١٩٢

(٢) اشارة الى « مقاييس اللغة »

وأمثال ذلك كثيرة ومنه يقال : عندي في حديقتي التفاح والسفرجل والمشمش وهو يريد الأشجار فيعبر بالثمرة عن الشجرة ومنه قوله تعالى : « فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً » الآية

فصل الثاء

ثأثأ الجوهري : أثأته بسهم إثاءة رميته

الفيروزآبادي : وأثأته في « ث و ا » ووهم الجوهري فذكره هنا

فصل الجيم

جيأ الجوهري : المجيء الاتيان وأجأته جئت به

وجاءاني على فاعلني فجئته أجيئه أي غالبني بكثرة المجيء فغلبته

الفيروز ابادي : وجاء انيٰ وهم فيه الجوهري وصوابه جايأني لأنه معتل العين مهموز اللام لاعكسه فجئته أجيئه غالبني بكثرة المجيء فغلبته انتهى [1]

أقول : يمكن أن يجيء على القلب ، ومنه ما جاء في الحديث : « فأمرهم أن يتباءوا ». [والصحيح أن يتباوءوا على مثال يتقاولوا] [2] .

فصل الحاء

حبنطأ الفيروز ابادي : حبنطأ وحبنطى ومحبنطيء قصير سمين واحبنطأ انتفخ جوفه وامتلأ غيظاً ووهم الجوهري في ايراده بعد تركيب « ح ط أ » انتهى

وقال الشيخ ابن بري — رحمه الله — : صواب إيراد ذكر حبنطى في فصل

(١) جاء هذا التصحيح في حاشية ابن بري والفيروزآبادي أخذه عنه ولكنه لم يشر أنظر اللسان « جيأ »

(٢) الزيادة من الصحاح « بوأ »

« ح ب ط » لأن الهمزة زائدة ليست بأصلية ولهذا قيل حبط بطنه إذا انتفخ وكذلك المحبَنطيء وهو المنتفخ جوفه انتهى

والجوهري ذكره هناك ايضاً لكن ذكره هنا بعد تركيب « ح ط أ » ليس بجيد والفيروزآبادي ذكره هناك ايضاً فتدبر

وقال أبو زيد : سألت إعرابياً ما المحبنطيء قال : المتكأ كيء قلت :

ما المتكأ كيء قال : المتأزف قال : أنت أحمق وتركني ومرّ .

وقال الشيخ أبو حيان [1] في « الارتشاف » : ومذهب سيبويه أن بناء « افعنلى » لا يتعدى

وذهب أبو عبيد وأبو الفتح الى أنه قد يتعدى وذلك نحو : اغرَندَى واسرَندَى الحَفَيْسَأ

الفيروزابادي : الحَفَيْسَأ كَسَمَيْدَع القصير اللئيم الخلقة ووهم أبو نصر في إيراده في « ح ف س » انتهى

وذكره الجوهري في « ح ف س » وقال : رجل حفيسأ مهموز غير ممـــدود ، وهو القصير السمين وتبعه الفيروزابادي هناك فذكره غير منبه على شيء

فصل الخاء

خجأ الجوهري : والتخاجُؤ في المشي التباطُؤ

الفيروزابادي : والتخاجُؤ التباطُؤ ، ووهم الجوهري في التخاجيء وانما هو التخاجي بالياء إذا ضم همز ، وإذا كسر ترك الهمز انتهى

أقول : ما ذكره مبني على قاعدة مطردة وهي أن باب التفاعل في مصدر تفاعَلَ حقه

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف المعروف بأبي حيان النحوي الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ انظر : بغية الوعاة ١٢١ ، شذرات الذهب ٦/١٤٥

أن يكون مضموم العين نحو التقاتل والتضارب ، ولا يكون العين مكسوراً إلا في معتل اللام نحو : التغازي والترامي

فصل الراء

رجأ الجوهري : أرجأت الأمر أخّرته ، وقرئ : « وآخرون مُرْجَؤن لأمر الله » أي مؤخّرونَ حتى يُنزل الله فيهم ما يُريد ومنه سميت المرجئة مثال : المرجعة يقال : رجل مُرْجيء ، مثال : مُرجع ، والنسبة إليه مُرْجئيّ ، مثال : مُرجعي هذا إذا همزت ، فاذا لم يهمز قلت : رجل مُرجٍ مثل معط ، وهم المُرْجيَّة بالتشديد ، لأن بعض العرب يقول : أرجيت وأخطيت ، وتوضّيت ، فلا يهمز

الفيروزابادي : أرجأ الأمر أخّره ، والناقة دنا نتاجها ، والصائد لم يصب شيئاً . وترك الهمزة لغة في الكل [وقرىء] : « وآخرون مرجؤن لأمر الله » مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد ، ومنه سميت المرجئة ، وإذا لم يهمز فرجل مرجيّ بالتشديد وإذا همزت فرجل مرجيء كمرجع لا مُرجٍ كمعط ، وهم المرجئة بالهمز والمرجية بالياء مخففةووهم الجوهري [1] انتهى .

وقال الشيخ ابن برّي المرجئة صنف من المسلمين يقولون : الايمان قول بلا عمل ، كأنهم أرجأوا العملأي أخّروه لأنهم يرونأنهم لولم يصلّوا ولم يصوموا لنجّاهم إيمانهم . وقول الجوهري : وهم المرجيّة بالتشديد إن أراد به المنسوبين الى المرجية بتخفيف الياء فهو صحيح ، وإن أراد به الطائفة نفسها فلا يجوز فيه تشديد الياء ، وإنما يكون ذلك في المنسوب إلى هذه الطائفة وكذلك ينبغي أن يقال : رجل مرجيء ومرجيّ في النسب إلى المرجئة . والمرجئة أخذ من أرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته .

(١) في هذا النقل زيادة وخلاف عما ورد في « القاموس المحيط »

رزأ الفيروزابادي : رزأ ماله كجَعَلَه وعَلِمَه ، رُزْءا بالضم أصاب منه شيئاً والمُرَزَّؤون بالتشديد ووهم الجوهري في تخفيفه ج بخطه ج : الكُرَماء .

رَقأ الجوهري : رَقَأ الدمع رَقْأ ورُقوءاً سكن ، وكذلك الدم وفي الحديث : « لاتسبّوا الإِبل فان فيها رَقُوء الدم » أي انها تُعطى في الديات فتُحقَن بها الدماء

الفيروزابادي : والرَّقوء ـ كصبور ـ : ما يوضع على الدم ليرقئه وقول أكثم : « لا تسبّوا الإبل فان فيها رَقوء الدم : أي تعطى في الديات فتحقن الدماء ووهم الجوهري فقال : « في الحديث » انتهى .

ويمكن ان يقال : أراد بـ « الحديث » كلام الناس المتداول الحال بينهم محل المثل كما هو دأبه ، وكذا ديدن الامام المطرزي [1] في المغرب ، ولا يريد به حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حتى يردّ عليه بأنه قول أكثم وليس بحديث مع أن اطلاق الحديث على كلام الصحابة والتابعين شائع سائغ كما ذكر الفاضل الشيخ علي في « شرح المصابيح » حيث قال : وقد صرح المحدثون بأن الحديث يطلق على أقوال الصحابة والتابعين بإحسانهم وآثارهم وفَتاواهم فالحديث أعم من الخبر والأثَرَ ، إذ الخبر ما يكون مروياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأثر ما يكون مروياً عن صحابيّ ، والحديث يشملهما ، وإلى هذا أشار ابن الأثير في الفصل الأول في ذكر الأسانيد من جامع الأصول

فصل الزاء

زأزأ الجوهري : أبو زيد : تزأزَأتُ من الرجل تَزَأزُؤاً شديداً ، اذا تصاغرتُ له ، وفَرِقتُ منه

الفيروزابادي : زَأزأه : خوّفه والظليم مشى مسرعاً رافعاً قُطْرَبه : رأسه وذنبه

---

(١) هو ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي المطرزي المتوفى سنة ٦١٠ هـ أنظر بغية الوعاة ٤٠٢ .

والشيءَ حرَّكه وتزأزأَ : تزعزَعَ منه تصاغَرَ له فَرَقاً وخاف واختبأ ومشى محركاً أعطافه كهيأة القِصار وقِدْر زُؤازِئَةٌ — كعُلابِطَة وعُلَبِطة — : عظيمة تضم الجزور وذكره في المعتل وهم للجوهري انتهى

أقول : وما ذكره الجوهري في المعتل مبنى على حكاية الأصمعي ، إذ هو حكاه معتلاً بغير همزة ، وأبو عبيد حكاه بالهمزة تارة وبغير همزة أخرى فلا وهم للجوهري

فصل الشين

شَيْأ الفيروزابادي : والشيء معروف (جمعه أشياءوأشياوات وأشاوات وأشاوَى وأصله أشاييُّ بثلاث ياءات وقول الجوهري أصله أشائي بالهمز : غلط ، لأنه لا يصح همز الياء الاولى لكونها أصلاً غير زائدة كما تقول في جمع أبيات أبابيت ، فلا تهمز الياء التي بعد الالف وحكاية الجوهري عن الخليل أن أشياء فَعْلاء ، وأنها جمع على غير واحده كشاعر وشُعَراء الى آخره : حكاية مختلة ضرب فيها مذهب الخليل على مذهب الأخفش ، ولم يميِّز بينهما وذلك أن الاخفش يرى أن أفعلاء جمع على غير واحده المستعمل كشاعر وشعراء فانه جمع على غير واحده ، لان فاعلاً لا يجمع على فُعَلاء وأما الخليل فيرى أنها فعلاء نائبة عن أفعال وبدل منه ، وجمع لواحدها المستعمل وهو شيء

وأما الكسائي فيرى أنها أفعال كفرخ وافراخ ترك صرفها لكثرة الاستعمال لانها شبهت بفعلاء في كونها جمعت على أشياوات فصارت كخضراء وخضراوات ، فحينئذ لايلزمه ألا يصرف أبناء وأسماء كما زعم الجوهري لانهم لم يجمعوا أسماء وأبناء بالالف والتاء

فصل الطاء

طَوء الجوهري : الطاءة مثل الطاعة : الإبعاد في المرعى يقال فَرَس بعيدالطاءة قالوا ومنه أخذ طيِّء ، مثل سيِّد أبو قبيلة من اليمن ، والنسبة اليهم طائيّ على غير قياس ،

وأصله طَيئيّ مثل طيعي فقلبوا الياء الاولى ألفاً وحذفوا الثانية

الفيروزآبادي : الطاءة كالطاعة : الابعاد في المرعى ومنه طيّء ابو القبيلة ، أو من طَاء يُطوءُ اذا ذهب وجاء والنسبة طائيّ والقياس كطيعيّ ، حذفوا الياء الثانية فبقي طيئيّ ، فقلبوا الياء الساكنة ألفاً ووهم الجوهري انتهى

قال سيبويه : وما اظنهم قالوا : طائيّ إلا فراراً من طيئيّ ، يريد فراراً من اجتماع الأمثال والأشباه وهي الياءان والكسرات

فصل القاف

القِنْدَأو الفيروز ابادي كفِنْعَلو : السيِّء الغذاء والسيِّء الخلق ، والغليظ القصير والكبير الرأس الصغير الجسم المهزول والجريء المقدم والقصير العنق الشديد الرأس والخفيف والصلب كالقندأوة في الكل وأكثر ما يوصف به الجمل ووهم ابو نصر فذكره في الدال انتهى

وذكره الفيروزآبادي ايضاً هناك منبهاً عليه

فصل اللام

اللؤلؤ : الجوهري : واللؤلؤة : الدرّة والجمع اللؤلؤ واللآلىء قال الفراء : سمعت العرب تقول لصاحب اللؤلؤ : لأّل مثل لعّال والقياس لأّء مثل لعّاع

الفيروزابادي : اللؤلؤ : الدرّ ، واحده بهاء وبائعه لأّل ولأّء ، ولألاء والقياس لؤلؤيّ لا لأّء ، ولا لأّل ووهم الجوهري انتهى ،

قال الصفدي [1] : وقول الجوهري : والقياس لأّء مثل لعّاع ، ليس هذا بقياس صحيح لان اللؤلؤ من مضاعف الرباعي ومكرره فكيف بنى منه « فعّال » والسماع أولى من القياس انتهى

(١) اشارة الى : « نفوذ السهم فيها وقع للجوهري من الوهم »

وقال الشيخ ابو حيان في « الارتشاف » : واستغنوا غالباً عن ياء النسب بالبناء على فعّال من لفظ المنسوب إليه في الحرف والصنائع قالوا : خبّاز وفرّان وزجّاج وعوّاج ولأّل وقالوا ايضاً : زجّاجيّ ولؤلؤيّ ومذهب سيبويه ان هذه الصيغة وان كثرت ، موقوفة الى السماع ولا تقاس ، ولا يقال لصاحب الدقيق دقّاق ، ولا لصاحب الفاكهة فكّاه وغير ذلك والمبرد يقيس على هذه الصيغة

لَجَأَ الجوهري : وعمر بن لَجَأ التيميّ الشاعر

الفيروز ابادي : وجد عمر بن الأشعث لا والده ووهم الجوهري

فصل الميم

مَرأَ الجوهري : والنسبة الى امرىء مَرَئي بفتح الراء ومنه المرئي الشاعر وكذلك الى امرىء القيس [بن حجر مَرقَسيّ ، والى غير هذا] [1] امرِئيّ انتهى

أقول : هذا الذي ذكره انما ذهب إليه محمد بن حبيب من الائمة وارتضاه الشيخ الرضي ايضاً في « شرح الشافية »

مأقي مأقي العين ومؤقها : مؤخرها أو مقدمها هـذا موضع ذكره ووهم الجوهري انتهى

والجوهري ـ رحمه الله ـ ذكره في مادة « مأق » والعلامة الفيروزآبادي ذكره هنا ووافق الجوهري فذكره غير منبه على خطئه .

فصل النون

نبأ الجوهري : وتصغير النبيء نُبَيِّىء مثل نُبَيِّع ، وتصغير النُبوءة نُبَيِّئة تقول العرب : كانت نُبَيِّئة مُسيلمة نُبَيِّئة سوء

وجمع النبيء نُبَاء ويجمع أيضاً على أنبياء لان الهمز لما ابدل وألزم الابدالَ جُمِعَ

(١) الزيادة من الصحاح

جمعَ ما أصل لامه حرف العلة ، كعيد وأعياد

الفيروز ابادي : (نُبَيْئَة كجهينة : ابن الأسود العذري ونُبيِّئةُ : مُسيلمة تصغير النبوءة وكان نبيء سوء تصغير نبيء هذا فيمن يجمعه على نُباء وأما من يجمعه على أنبياء فيصغره على نبيء واخطأ الجوهري في الاطلاق

نَدَأه كمنعه كرهه ! والصواب فيه بَذَأه بالباء الموحدة والذال المعجمة ووهم الجوهري كذا قاله الفيروزابادي

نَسَأ الجوهري : و نُسِئَت المرأة تُنْسَأ على ما لم يُسَمَّ فاعله ، اذا كان عند أول حَبْلها وذلك حين يتأخر حيضها عن وقته فرُجِيَ أنها حبلى وهي امرأة نسيء

الفيروزابادي : وهي امرأة نسء لا نَسي- ووهم الجوهري

نَوأ الجوهري : وأنَاءَ اللحم يُنيئه إناءة ، اذا لم يُنضجه ، الفيروزابادي : واللحم يَناء فهو نيء بيِّن النُّبوء والنيوءة : لم ينضج ، يائيّة وذكرها هنا وهم للجوهري

فصل الواو

وبأ الجوهري : ووبأت اليه بالفتح ، وأوبأت : لغة في ومأت وأومأتُ اذا أشرت اليه « ويقال الايباء انما هو إيماء الى خلف انتهى » [1]

قال الفيروزابادي : او الايباء الاشارة بالأصابع من أمامك ليقبل ، والايماء من خلفك ليتأخر

ورأ الفيروزابادي : ورأه كودعه دفعه ومن الطعام امتلاء ووراءُ ـ مثلثة الآخر ـ مبنية والوراء مهموز لا معتل . ووهم الجوهري ويكون خلف وأمام ، ضدّ ويؤنث وتصغيرها وُرَيِّئة انتهى والعلامة الفيروز ابادي دكره هنا وذكره في المعتل ايضاً غير منبه على شيء

---

(١) المحصور بين القوسين ليس في الصحاح

اقول : لم يذكره الجوهري في المعتل اختيار لمذهب الكوفيين فانهم جعلوا همزتها منقلبة عن ياء وتصغيرها عندهم وُرَيّة بغير همز وأما عند سيبويه فتصغيرها ورُيَيْئة والهمزة عندهم أصلية غير منقلبة عن ياء ومن أراد زيادة الاطلاع فعليه المراجعة الى محله

وطأ الجوهري : وطئت الشيء برجلي وَطْأ ، ووطيء الرجل امرأته يطأ فيها ، سقطت الواو من يطأ كما سقطت من يسع لتعديهما لأن فعل يفعل مما اعتلّ فاؤه لا يكون الا لازماً فلما جاءا من بين اخواتهما متعديين خولف بهما نظائرهما انتهى

واعترض عليه الامام الصفدي بأن قال : هذا تعليل عليل ، وليس هـذا مما يشفي الغليل ، لان التعدي واللزوم في هـذا سواء وأما وَسِعَ يَسع ، ووطىء يطأ فانها كحسِب يحسَب في الصحيح ، حذفت الواو فيها لانها وقعت بين ياء وكسر في الأصل ، وفتحت السين والطاء من بعد كسرها لأجل حرف الحلق فيها انتهى كلامه

أقول : في حذف الواو من مثل يطأ ويسع وغيرها اختلاف بين البصريين والكوفيين فان الكوفيين قالوا : انما سقطت الواو فرقاً بين ما يتعدى من هذا الباب وما لا يتعدى والمتعدي نحو : وَعَدَه يَعِدهُ ، ووزنه ، وما لا يتعدى نحو وَجِل يوْجل

وقال البصريون : هذا فاسد لان هذه الواو قد سقطت في هذا الباب في غير المتعدي سقوطها من المتعدي ألا تراهم قالوا : وَكَف البيت يكف اذا قطر ونم الذباب اذا زرق ثم قالوا : بل الوجه في سقوط الواو من مثل هـذا الباب وقوعها بين ياء وكسرة مطلقاً واما ما يُرى في الظاهر مفتوحاً مثل : وَضع يضَع ، ووقَع يقَع وامثالها فهو بكسر عينها في الأصل والفتح لمكان حرف الحلق فلاجل ذلك حذفت الواو والفتحة عارضة لا اعتداد بها [1] وعلم من تحقيقنا هـذا ان الجوهري اختار هنا مذهب الكوفيين ، فقال : سقطت الواو ... الخ

والعلاّمة المعترض لم يفرق بين المذهبين فقال ما قال ، وماذا بعد الحق الا الضلال

---

(١) ابن الانباري ، الانصاف ٢/٤٥٨ ، طبعة محمد محي الدين عبد الحميد)

فصل الهاء

هرأ الجوهري : ابن السكّيت عن الفَزاري : هذه قِرّة لها هَرِيئة ، اي يُصيب المال والناس منه ضر وسَقْطَة أو موت

الأصمعي : هَرَأه البرد يهرؤه هَرْءا أي اشتدّ عليه حتى كاد يقتله وهَرِيء المالُ بالكسر وهَرِيء القوم فهم مَهْروءون

الفيروز ابادي : وهرىء المال والقوم ـ كعُنِيَ ـ فهم مهروءون : اذا قتلهم البرد او الحر وبخط الجوهري هرىء كسَمِعَ وهو تصحيف انتهى

أقول : حكى ابو عبيد عن الكسائي أنه هُرِىء القوم ـ بضم الهاء ـ فهم مهروءون : اذا قتلهم الحر والبرد وهذا هو الصحيح لان قوله « مهروءون » انما يكون جارياً على هُرِىء بالضم

ابراهيم السامرائي

العبر في خبر من غبر

تأليف شمس الدين الذهبي

من سلسلة التراث العربي التي تصدرها وزارة الارشاد والأنباء في الكويت

الجزء الرابع

طبع بالكويت سنة ١٩٦٣ بتحقيق الدكتور الفاضل صلاح الدين المنجد ، قوامه « ٣٥٠ » صفحة من قطع الثمن ، من الورق النفيس الصقيل ، وبالحروف الكبيرة بالنسبة إلى حروف التاريخ ، ما عدا الفهارس التي لأسماء الكتب الموردة في أثناء التراجم ولأسماء المحال والأماكن والبلدان ، ولأسماء الأعلام ، وهي من الصفحة ٣١٩ إلى الصفحة ٤٣٦ .

وقد عرّفنا في المجلّد السابق لهذا المجلّد بالجزء الثالث من هذا التاريخ الجامع المفيد الذي تقوم بنشره وزارة الارشاد والأنباء في دولة الكويت فتساهم في نشر التراث العربي الاسلامي المجيد مساهمة حميدة مجيدة ومحقق هذا الجزء الدكتور صلاح الدين المنجد معروف الفضل ، مشهور بمنشوراته النافعة وتحقيقاته البارعة وتآليفه الممتعة ، فهو أهل للشكر الوفير والثناء الحسن الوافي ، والمدح الجزيل الجليل ، وقد وقعت في النشر عدة هفوات لا تنزر هذا الفضل الأدبي الجلل ، ولا تثلم هذا المسعى الأدبي البالغ وها هي ذه :

١ — العيد والحبال لا الصيد والجبال

ورد في الصفحة الرابعة من الجزء المذكور في حوادث سنة ٥٠٢ ما هذا نصه « وفيها ظهرت الاسماعيلية بالشام وملكوا شيزر بحيلة ، فجاء عسكرها من الصيد فأصعدهم الذرية

في الجبال واقتتلوا بالسكاكين ، فخذلت الباطنية وأخذتهم السيوف فلم ينج منهم أحـد وكانوا مئة » وقد تصحـّف العيد الى « الصيد » والحبال إلى « الجبال » قال ابن الأثير في الكامل في حوادث السنة المذكورة : « وفيها في فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية في حصن شيزر على حين غفلة من أهله في مئة رجل فملكوه وأخرجوا من كان فيه وأغلقوا بابه وصعدوا إلى القلعة فملكوها ، وكان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة (عيد) النصارى ، وكانوا قـد أحسنوا إلى هؤلاء الذين أفسدوا كل الاحسان ، فبادر أهل المدينة الباشورة ، فأصعدهم النساء (في الحبال) من الطاقات وصاروا معهم ، وأدركهم الأمراء بنو منقذ أصحاب الحصن فصعدوا إليهم فكبروا عليهم وقاتلوهم ، فانخذل الباطنية وأخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم أحـد ، وقتل من كان على مثل رأيهم في البلد [(1)] »

٢ — حصن زَرْدَنا لا حصن ذردنا

وورد في الصفحة السابعة في حوادث سنة ٥٠٤ « وأخذ صاحب أنطاكية حصن الأثارب وحصن ذردنا وعظم المصاب » . وعلق الدكتور صلاح الدين المنجد على (حصن ذردنا » قوله « كذا ولم أهتد إلى صوابها ومكانها »

قلت : هو حصن « زردنا » ، قال ياقوت الحموي في باب الزاي من معجم البلدان : « زرْدَنا : بليدة من نواحي حلب الغربية » ، وذكر قوله بنصه ابن عبد الحق البغدادي في مراصد الاطلاع ، وهذا الحصن هو الذي هـدمه الأمير نجم الدين إيل غازي الأرتقي سنة ٥١٤ كما جاء في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي [(2)] ثم ورد ذكره مشيداً في حوادث سنة ٥٢٧ من التاريخ المذكور [(3)]

---

(١) الكامل فيحوادث سنة ٥٠٢ « ج١ ص ١٦٦ طبعة المطبعة ذات التحرير بالقاهرة ١٣٠٣ » .

(٢) ص ٢٠٢ من طبعة اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠٨ (٣) المذكور ص ٢٣٦

وقد ذكر عز الدين بن الأثير تفصيل الخبر المنقول آنفاً في حوادث سنته أعني سنة ٥٠٤ وقال فيما قال من خبر صاحب أنطاكية الفرنجي: « ثم سار إلى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل بأهله مثل الأثارب [١] والذي فعله بأهل حصن الأثارب أنه « سار نحوه وهو بالقرب من مدينة حلب، بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الأمر على من به من المسلمين ... وجدّ في قتالهم حتى ملك الحصن قهراً عنوة وقتل من أهله ألفي رجل وسبى وأسر الباقين [٢] ... »

٣ — الاستبحار في العلم لا من العلم

وجاء في الصفحة العاشرة في ترجمة إلكيا الهرّاسي « والاستبحار من العلم » والصواب « في العلم » لأن هذا الفعل يحتاج إلى الظرفية لا إلى التبعيض، قال الزمخشري في أساس البلاغة: « ومن المجاز: استبحر المكان اتسع وصار كالبحر في سعته، وتبحر في العلم واستبحر فيه » وجاء في لسان العرب « والتبحر والاستبحار: الانبساط والسعة وسمي البحر بحراً لاستبحاره، وهو انبساطه وسعته ... واستبحر الرجل في العلم: اتسع، واستبحر الشاعر إذا اتسع في القول، قال الطرماح:

بمثل ثنائك يحلو المديح وتستبحر الألسنُ المادحه [٣] »

٤ — صريفين بغداد لا صريفين واسط

وجاء في وفيات سنة ٥٠٧ « ومحمد بن طاهر المقدسي الحافظ أبو الفضل ... وسمع بالقدس أولاً من ابن ورقاء، وببغداد من أبي محمد الصريفيني ... فعلق محقق الكتاب

(١) الكامل « ج ١ ص ١٧ من الطبعة المذكورة »

(٢) المرجع المذكور قبله

(٣) ورد الاستعمال على وجه الصحة في الصفحة ١٢٥ من الجزء هذا ونصه « وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها »

على الصريفيني قوله : « بفتح الصاد وكسر الراء نسبة إلى صريفين قرية من أعمال واسط
اللباب » وقد أخطأ الدكتور الفاضل أو سها في النقل من اللباب فصريفين التي كان
منها أبو محمد المحدث المذكور آنفاً هي صريفين بغداد ، هكذا حفظت ، ولذلك وقفت على
هذا النقل ، والذي في اللباب « الصريفيني ... هذه النسبة إلى صريفين وهما قريتان
إحداهما من أعمال واسط ، والثانية صريفين بغداد وينسب اليها جماعة منهم أبو محمد
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن هزارمرد الصريفيني خطيبها روى عنه أبو بكر
الخطيب وأبو الفضل بن خيرون وغيرهما وتوفي سنة تسع وستين وأربعمائة بصريفين وكان
ثقة » وهذا مختصر من كلام السمعاني في الانساب وليس من الزيادات ومما في الانساب
قول مؤلفه « وزرت قبره بها » ، وسماها ياقوت الحموي « صريفون » في معجم البلدان
وقال : « وصريفون في سواد العراق في موضعين إحداهما قرية كبيرة غناء شجراء قرب
عكبرا وأوانا على ضفة نهر دجيل [1] إذا أذّن بها سمعوه في أوانا وعكبرا ، وبينها وبين
مسكن وقعت عندها (كذا) الحرب بين عبد الملك ومصعب ساعة من نهار ، وقد خرج
منها جماعة كثيرة من أهل العلم والمحدثين ، منهم ... وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن
عمر بن المجمع بن الهزارمرد أبو محمد الخطيب الصريفيني ... » ثم ذكر سماع محمد بن طاهر
المقدسي من الصريفيني المذكور في خبر أخبر به ابن طاهر نفسه قال : « قال ابن طاهر
وسمعت الكتاب لما أحضره قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني ليسمع أولاده منه »

٥ — بكسر الموحدتين

ونقل محقق الكتاب في حاشية الصفحة ١٤ حاشية من شذرات الذهب ٤ : ١٨ عند

(١) قال ابن عبد الحق : « وليس كذلك ، إنما هي بقرب دجلة القديمة التي تسمى الشطيطة فوق أوانا تتصل بضياعها ، وعكبرا تقابل أوانا من جانب الشطيطة الآخر ، ونهر دجيل بعيد عنها » (مراصد الاطلاع)

ذكر « بيبي » المحدثة المشهورة ، والذي في حاشية الشذرات « بكسر الموحدتين » على أحد الضبطين ، ولكن المحقق قال « أو بفتح الموحدتين » ، وهذا سهو يعزى إلى السرعة في النقل والتحقق ، ولايضاح الضبط ننقل الحاشية التي في الشذرات بكمالها وهي « بيبي بباءين موحدتين أولاهما مكسورة وثانيهما مفتوحة بعدها ألف مقصورة ، كذا يستفاد من تاج العروس ، ورأيته مضبوطاً بالقلم في كتاب المشتبه للحافظ الذهبي وبهامش معجم الحافظ ابن حجر بكسر الموحدتين وبيبي هي أم الفضل بنت عبد الصمد الهرثمية الهروية المتوفاة سنة ٤٧٧ على ما في ثبت العلامة المحقق السيد أحمد رافع الطهطاوي »

٦ — الطلمنكي لا الطلنمكي

وورد في الصفحة ١٦ « وأبو عمر الطلنمكي » والذي يخطر بالبال اعتماداً على قراءة سابقة « الطلمنكي » بتقديم الميم على النون ، قال ياقوت في معجم البلدان « طلمنكة : بفتح أوله وثانيه وبعد الميم نون ساكنة وكاف ، مدينة بالأندلس من أعمال الفرنج . خرج منها جماعة منهم أبو عمرو وقيل أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيي بن محمد المعافري المقرىء الطلمنكي وكان من المجودين في القراءة وله تصانيف في القراءة » ولعل ذلك من خطأ الطبع ، كما وقع في الصفحة ١٨ « الأرمناري » بدلا من « الأرمنازي» وفي الصفحة ٦٠ « الاعتام » بدلا من « الأغتام » وفي الصفحة ٢٥ « المطيع بالله » بدلا من « المطيع لله » وفي الصفحة ٢٩ « الظَّفْري » مكان « الظَّفَري » وفي ص ٥٤ « ألكيا » بدلا من « إلكيا » .

٧ — جغر بك أو جغري بك لا طغر بك

وجاء في الصفحة ٢٣ في حوادث سنة ٥١١ « فتوفي السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان بن طغر بك بن ميكائيل بن سلجوق التركي غياث الدين ... » وعلق الدكتور المنجدي الفاضل على طغر بك « كذا في الأصل وفوقها علامة الخطأ ، وفي الهامش

(صوابه جعر سد) والذي في المصادر (ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ...) انظر النجوم الزاهرة ٥ : ٢١٤ ووردت الكلمة الأخيرة محرفة في الشذرات نقلا عن العبر جعفر بيك ؟ »

قلت : الصواب « جغر بك » أو « جغري بك » وهو لقب داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق » قال ابن خلكان « أبو شجاع محمد بن جغر بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألب أرسلان [1] ... » وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٦٦ : « هو ألب أرسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق [2] » وقد كرّر هذا الخطأ في الصفحة ١٢٧ وصار في الصفحة ١٤٧ « جعفر بيك [3] »

٨ — ابن عَقيل الظَّفَري

وورد في الصفحة ٢٩ فى حوادث سنة ٥١٣ ووفياتها « وفيها توفي أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغـــدادي الظَّفْري (كذا) شيخ الحنابلة وصاحب التصانيف ومؤلف كتاب الفنون الذي يزيد على أربعمائة مجلد »

وقد علق الدكتور على« الظفري » قوله : « نسبة إلى ظفر بفتح الظاء المعجم والفاء ، بطن من الأنصاري . اللباب» . وإحالته على كتاباللباب تُشعر آنُر ذي أثير بأنه منصوص على نسب المترجم فيه وليس الأمر كذلك ، فلم يكن ابن عقيل العلامة من بطن ظفر الأنصاريين بل كان منسوباً إلى « الظَّفَرية » من محال بغداد الشرقية ، وهي مذكورة ايضاً في اللباب ولكن تسرّع الدكتور الفاضل أوقعه في هذا الوهم ، قال ابن الأثير في اللباب : « الظفري » هـذه النسبة إلى ظفر وهو بطن من الأنصار ... وأيضاً نسبة إلى

(١) الوفيات « ٢ : ١٠٤ طبعة بلاد العجم » وهي اصح الطبعات

(٢) ج ١٠ ص ٢٥ من الطبعة المذكورة

(٣) وقد ورد هذا الاسم بصورة « جقر بك » في الصفحة ٤ والصفحة ٧ وغيرها من أخبار الدولة السلجوقية لأبي الفوارس الحسيني

محلة ببغداد يقال لها الظفرية ينسب اليها جماعة ... » وهـذا الكلام هو مختصر كلام السمعاني في الأنساب لا من الزيادات ، قال السمعاني : « وجماعة ببغداد ينتسبون بشرقيها إلى [محلة] يقال لها الظفرية إحدى المحال المعروفة » وقد صرّح ابن عقيل في غير موضع من كتبه بأنه ظفري المحلة ، فمن ذلك ما حكاه ونقله سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، قال السبط في ذكر كتابه « الفنون » المقدم ذكره : « وفيه حكايات وغرائب وعجائب وأشعار فمنها ... ومنها ما حكاه أيضاً عن نفسه قال : كان عندنا في درب الشيخ بالظفرية دار كلما سكنها ناس أصبحوا موتى [1] » ومن ذلك ما ذكره في بعض أجزاء كتابه الفنون قال : « جرى بمجلسنا بالظفرية مسألة آلة اللهو هل يجب ضمان إحراقها [2] ؟ »

٩ — نقصان في النصّ التاريخي

وورد في الصفحة ٣١ في أخبار سنة ٥١٤ خروج الكرج والخزر على البلاد الاسلامية والتقاء الامير ايلغازي الأرتقي التركماني والأمير دبيس بن صدقة الأسدي إياهم وهربهما واستيلاء الكرج على تفليس ، وآخر الخبر هو « ثم نازلت الكرج تفليس وأخذوها بالسيف بعد حصار سنة ، فالتقوا عند عقبة أسدأباد فانهزم مسعود واسر وزيره الطغرائي فقتل » ومن الواضح انقطاع الصلة بين قوله « حصار سنة » وقوله : « فالتقوا عند عقبة أسد أباد » فهذا الالتقاء هو لغير المذكورين في أول الخبر كما أن الموضع الذي جرى فيه الالتقاء هو من غير تلك المواضع الشمالية كتفليس وما حولها ، فأول الخبر الثاني ساقط ، وهو ذيل خبر حرب وقعت بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وأخيه السلطان مسعود ، وتفصيل الخبر مذكور في الكامل لعز الدين بن الأثير في حوادث السنة المذكورة ، قال : « دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة ، ذكر عصيان الملك مسعود

(١) مرآة الزمان « ج ٨ ص ٥٣ طبعة شيكاغو وص ٨٦ من طبعة حيدر آباد الدكن

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٧٨٧ الورقة ٣٢ »

على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما ... فالتقوا عند عقبة أسد أباد منتصف ربيع الأول واقتتلوا من بكرة إلى آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم ومقدميهم وأسر الأستاذ أبو إسماعيل [الطغرائي] وزير مسعود فأمر بقتله ، وقال : قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده [١] ... »

وقال ابن القلانسيّ في حوادث سنة ٥١٤ : « وفيها ورد الخبر بأن السلطان محموداً كسر عسكر أخيه مسعود بباب همذان تحت الزعفراني [٢] » وقال سبط ابن الجوزي في حوادث تلك السنة : « وفي ربيع الأول قامت الحرب بين محمود وأخيه مسعود ، وكان مسعود هو الباغي عليه ، فتلطفه محمود فلم يلتفت والتقيا بباب همذان [٣] ... » وهذا الاستشهاد يغني عن الاطالة والتكرار

١٠ — فتَك لا قُتل

وورد في حوادث سنة ٥١٧ التقاء الخليفة المسترشد بالله ودبيس الأسدي وتحاربهما وهرب دبيس وجاء في آخر الخبر : « وذهب فعات ونهب وقُتِلَ بنواحي البصرة » . وفي الخبر تصحيف « فتك » إلى « قُتِل » فان دبيساً معلوم السيرة ولم يقتل في نواحي البصرة بل في بعض بلاد العجم ولا كان قتله سنة ٥١٧ بل كان سنة ٥٢٩ كما هو مشهور معروف في التواريخ التي تذكر وفاته

١١ — مَخْلَد لا مُخلَّد

وجاء في الصفحة ٧١ في وفيات سنة ٥٢٧ « وأبو العباس بن الرطبي أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن مخلَّد الكرخي ... » بتشديد اللام من « مخلد » ، والمعروف المشهور فتح

---

(١) الكامل في حوادث سنة ٥١٤ « ج ١ ص ١٩٩ من الطبعة المقدم ذكرها »

(٢) ذيل تاريخ دمشق « ص ٢ ٢ »

(٣) مرآة الزمان « ٨ : ٨٩ طبعة حيدر أباد الدكن »

الميم وتخفيف اللام، وأما المضموم الميم المشدد اللام فمنصوص على من سمُّوا به في « المشتبه » للذهبي، وليس جدّ ابن الرطبي منهم، وأكثر هؤلاء كانوا من عصر الجاهلية وصدر الاسلام، لأن المسلم لا يستجيز أن يسمّي ابنه « مُخلّداً » لأن التخليد للأحياء مُحال، ولأن أكثر أسماء العرب على « مفعل » و« مفعلة » بالتخفيف وأقلها بالتشديد، فالأول مثل « مَرثَد » و « مَزْيَد » و « مَسْلَمة » و« مَعْبَد » ومخرمة ومخرفة ومرحب.

١٢ — الخيّالة : الفرسان

وجاء في الصفحة ٧٥ في حوادث سنة ٥٢٩ : « ثم إن الأخبار تواترت بأن مسعوداً قد حشد وجمع وعلى خيالته (؟) دُبيس، فطلب المسترشد زنكي وهو محاصر دمشق ليقدم... » ولا أرى باعثاً على وضع علامة الاستفهام بعد « خيالته » فهي « خَيّالته » بفتح الخاء وتشديد الياء جمع الخيّال كالخشّابة والخشاب والنظّارة والنظّار، والخيّالة هم الفرسان، جاء في الصحاح ومختاره « والخيّالة : أصحاب الخيول » وأعاد قوله ابن منظور في لسان العرب، فالمراد بقول المؤرخ « وعلى خيالته دبيس » أنّ دبيساً كان قائداً للفرسان

١٣ — ابن الكرخيّ لا ابن الكرجي

وجاء في أخبار سنة « ٥٣٠ » خاصاً بخلع الخليفة الراشد بالله العباسيّ « ثم حكم ابن الكرجي وهو قاض بخلعه في ذي القعدة » وجاء الاسم نفسه في الفهرست ـ ص ٣٥٧ ـ بصورة « ابن الكرجي » أيضاً، وهو وهم صوابه « ابن الكرخي » وهو أبو طاهر محمد ابن أحمد الكرخي، قال السمعاني في الانساب في « الكرخي » : « وأبو طاهر محمد ابن أحمد بن محمد الكرخي قرابة أبي العباس الكرخي، وظني أنه من هذا الكرخ ـ يعني كرخ جدان ـ كان من نواب القاضي أبي القاسم الزينبي، وكان مرضي الطريقة في القضاء والأحكام حسن المعاشرة ... » وقال أبو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة

٥٥٧ : « محمد بن أحمد بن محمد أبو طاهر الكرخي القاضي ، ولي قضاء باب الأزج وقضاء واسط وقضاء الحريم وقد ولي في زمن خمسة خلفاء : المستظهر والمسترشد والراشد والمقتفي والمستنجد ، وهو الذي حكم بفسخ ولاية الراشد [1] » وله أخبار وتراجم كالتي في طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي « ٤ : ٦٤ » ، ونحن إنما حققنا هذا لأن من المنسوبين الأعيان من هو « كَرَجيّ » حقاً نسبة الى الكرج في بلاد العجم ، منهم « أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي » المذكور في الصفحة ٨٩ من هذا الجزء من العبر ، منسوباً خطأً إلى « الكرج » بضم الكاف وسكون الراء : ناحية من ثغور أذربيجان ، والصحيح أنه منسوب إلى كرج أبي دلف ، قال ياقوت في معجم البلدان « كرج بفتح أوله وثانيه وآخره جيم وهي فارسية وأهلها يسمونها كرَه ... وأول من مصّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجليّ وجعلها وطنه واليها قصده الشعراء وذكروها في أشعارهم ... » وقال السمعاني في الانساب : « الكرجيّ هذه النسبة إلى الكرج وهي بلدة من الجبل بين اصفهان وهمذان أقمت بها قريباً من عشرين يوماً وبنيت الكرج زمن المهدي وبناها عيسى بن ادريس بن معقل بن عمرو بن خزاعي العجلي ... وتوطنها ثم ابنه أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي زاد في عمارتها وجعلها تشبه البلدة ... » أما بلاد الكُرْج فلم يخرج منها إلا جماعة من الموالي سمعوا الحديث ورووه كما ذكر السمعاني نفسه في الانساب بعينه ولم يخرج منها فقيه

١٤ — المُدير لا المدبّر

وورد في الصفحة ١٠١ في وفيات سنة ٥٣٦ « ويحيى بن عليّ أبو محمد بن الطرّاح المدبّر ، روى عن عبد الصمد بن المأمون .. » والصحيح « المدير » أي القائم بالادارة وكانت من الأمور التابعة للقضاء ، قال السمعاني في الأنساب : « المدير ... هذا الاسم لمن يُدير

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم « ج ١٠ ص ٢ ٢ »

السجلات التي حكم بها القاضي حتى يكتبوا شهادتهم عليها ، ويقال ببغداد لهذا الرجل في ديوان الحكم المدير ، واشهر بهذا الاسم أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد ابن الطراح المدير ، من أهل بغداد ... وابنه أبو محمد يحيي بن عليّ المدير ، شيخ صالح كثير الخير ساكن ، وكان فوّض اليه هذا الشغل — يعني الادارة — في مجلس القاضي الزينبي وكان من أولاد المحدثين ، مكثراً من الحديث ، صاحب أصول ، سمع ... وكانت ولادته في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وتوفي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ودفن بالشونيزية ». فهذا المدير ابن الطراح الأخير هو الذي ذكره الذهبي في العبر

١٥ — المنتجب لا المنتخب :

وجاء في وفيات سنة ٥٣٧ في الصفحة ١٠٣ « ومحمد بن يحيي بن علي بن عبد العزيز القاضي المنتخب أبو المعالي القرشي الدمشقي الشافعيّ قاضي دمشق ... » ولم يعهد في ألقابهم « المنتخب » بالخاء المعجمة بل المنتجب ومنتجب الدين بالجيم ، والأول مختصر الثاني ، وقد جاء في ترجمة والده المتوفى سنة ٥٣٤ من الشذرات قول مؤلفه : « وفيها يحيي ابن علي بن عبد العزيز القاضي المنتجب أبو الفضل القرشيّ زكي الدين قاضي دمشق وأبو قاضيها المعروف بابن الصائغ الدمشقيّ الشافعيّ ... وكان له ولد يقال له : منتجب الدين محمد خال الحافظ ابن عساكر ...[1] » ثم ارتكب ناسخ الشذرات الوهم الذي وهمه ناسخ كتاب العبر في أخبار سنة ٥٣٧ قال — ص ١١٦ — : « وفيها محمد بن يحيي بن علي بن عبد العزيز القاضي المنتخب (كذا) أبو المعالي القرشي الدمشقي الشافعي ...[1] » ، وقد كرّر هذا الضبط في الصفحة ١٨٨ والصفحة ٣٠٥

١٦ — طِراد لا طرّاد :

وورد في الصفحة ١١٣ « سمع أبا عبد الله النعالي وطرّاد بن محمد » بتشديد الراء ،

(١) شذرات الذهب ٥ ج ٤ ص ٥ ١ ٠ ١١٦

« طراد » حِزام كأنه مصدر « طارد يطارد » الذي على وزن فِعال ، قال سعد المعروف بحيص بيص في قصيدة عمدح ابنه عليا بها :

فتصدَّعوا متفرقين كأنَّهم مال تفرّقه يد ابن طِراد

وقال في أخرى : وأتى الضرب دراكاً مثلما رادف الجود علي بن طراد

وقال في ثالثة : وفضلتُ الجنس إذ يكتب بي مدح مولانا علي بن طراد [1]

وقد كرر تشديد الراء في الصفحة ١٨٣ وهماً أيضاً

١٧ — الوخشي لا الوحشي :

وجاء في الصفحة ١٢٤ في وفيات سنة ٥٤٦ « وعمر بن علي أبو سعد المحمودي البلخي ... سمع أبا علي الوحشي وهو آخر من حدّث عنه ». والصحيح « الوخشي » بالخاء المعجمة ، قال ياقوت الحمويّ في معجم البلدان : « وخش بالفتح ثم السكون والشين معجمة ... بلدة من نواحي بلخ من خُتَّلان وهي كورة متصلة بختّل حتى تجعلان كورة واحدة وهي على نهر جيحون ... ينسب اليها أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن جعفر الوخشيّ الأديب الحافظ ، سافر في طلب الحديث وسمع بخراسان ... روى عنه عمر بن محمد السرخسيّ و (القاضى عمر بن علي المحمودي) والحافظ أبو بكر الخطيب توفي سنة ٤٧١ وقال هبة الله الأكفاني في حاشية الأصل : مات أبو علي الحسن بن علي الوخشي سنة ٤٥٦ » ، فهذا النقل جمع بين الراوي المذكور في تاريخ الذهبي العبر والمروي عنه أبي علي الحسن بن علي الوخشي

١٨ — ورد في الصفحة ٢٤١ في حوادث سنة ٥٥١ « كان السلطان سليمان شاه بن محمد ملكشاه (كذا) السلجوقي قد قدم بغداد في آخر سنة خمسين فتلقاه الوزير عون الدين... فقدَّم المقتفي عشرين ألف دينار له ومائتي كرّ ثم سار المقتفي وفي خدمته سليمان شاه إلى

(١) خريدة القصر « قسم العراق ج ١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ » .

حلوان » وقد وقع في هذا الخبر ثلاثة أوهام أولها أن محمداً هو ابن ملكشاه فسقطت كلمة « ابن » من النص التاريخي ، والثاني أن الذي تلقيّ السلطان سليمان شاه واستقبله هو « ولد الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة » لا الوزير عونُ الدين ، كما جاء في نصّ كتاب العبر ، والثالث أنّ الخليفة المقتفي هو الذي قدّم للسلطان المذكور عشرين ألف دينار ومائتي كرّ ، فيجب أن يكون النص « وقدّم المقتفي .. » قال العماد الأصفهاني في وصول السلطان سليمان الى بغداد :

« لكنهم اقتصروا في تلقيه على موكب شريف يقدمه عز الدين محمد بن الوزير ومعه مخلص الدين ابن الكيا الهراسي وخادمان ، ووقف الموكب [1] خارج البلد حتى قرب ثم لقيه (ابن الوزير) وخاطبه بكل ما أطربه وأعجبه ... » ثم قال : « وحين وصل الى باب النوبيّ أنزلوه وألزموه بتقبيل العتبة وقداً كرموه » وقال بعد ذلك : « ووظفُوا له الرواتب ورتبوا له الوظائف [2] »

وقال عز الدين بن الأثير في قدوم سليمان شاه بغداد سنة ٥٥١ : « .. فقدم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلاثمائة رجل فخرج ولد الوزير ابن هبيرة لتلقيه ومعه قاضي القضاة والنقيبان ولم يترجل له ابن الوزير...» فان كان ابن الوزير عز الدين محمد لم يترجل للسلطان فكيف يصح تلقي الخليفة إياه واستقباله له ؟ فالناسخ أو الطابع أسقط كلمة ابن أو « ولد ».

١٩ — خُزيفة أو خريفة لا حُذيفة :

ووردت في وفيات سنة « ٥٦٠ » وفاة من هذا نصُّ سيرته « وحذيفة بن سعد أبو المعمّر ابن الهاطر الأزجيّ الوزان ، روى عن أبي الفضل بن خيرون وجماعة توفي في

---

(١) في الطبعة التي نقلت منها الخبر — ص ٢٢٠ — الموقف وهو تصحيف

(١) « ص ٢٢٠ — ٢٢١ » من زبدة النصرة ونخبة العصرة ، اختصار البنداري لكتاب العماد الأصفهاني نصرة الفترة وعصرة الفطرة » بمطبعة الموسوعات بالقاهرة سنة ١٣١٨ = ١٩٠٠ م » .

رجب » ، والصحيح أن أول اسمه الخاء المعجمة ، ذكره ابن الدبيثي في تاريخه قال : « عبد الله بن سعد بن الحسين بن الهاطر أبو المعمر الوزان ، من أهل باب الأزج يعرف بخزيفة ، ذكره تاج الاسلام أبو سعد السمعاني في كتابه في حرف الخاء المعجمة ، فقال : خزيفة بن سعد بن الحسين وقيل اسمه عبد الله ، ولم يذكره فيمن اسمه عبد الله وهو اسمه الصحيح ، وإنما خزيفة لقب عرف به وفي سماعاته كلها اسمه عبد الله ، وهكذا كان يكتب بخطه إذا سئل الاجازة ، قرأت ذلك بخطه في غير موضع [١] .. »

٢٠ — الباقِلاني لا الباقلاّني :

وجاء في الصفحة ١٧٥ « وسمع من أبي غالب الباقلاّني » ، بتشديد اللام ، والمعروف تشديد اللام مع القصر وتخفيفها مع المد ، قال ابن خلكان في ترجمة أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري : « والباقلاني : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قاف مكسورة ثم لام ألف وبعدها نون ، هذه النسبة الى الباقلّي وبيعه وفيه لغتان : من شدّد اللام قصر الألف ومن خففها مد الألف فقال باقِلاء ، وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون فيها وهي نظير قولهم في النسبة الى صنعاء ضماني والى بهراء بهراني ، وقد أنكر الحريري في كتاب درّة الغواص هذه النسبة وقال : (من قصر الباقلى قال في النسبة باقلي ، ومن مدّ قال في النسب إليه باقلاوي وباقلائي ولا يقاس على صنعاء وبهراء لأن ذلك شاذ لا يُعاج اليه) والسمعاني ما أنكر النسبة الأولى والله أعلم بالصواب » ، وقد كرّر الوهم في ص ٢٣٨

٢١ — عَلَّقَتْ لا غَلَّقَت :

وورد في خبر الخطبة لبني العباس بمصر سنة ٥٦٧ في الصفحة ١٩٥ « ووصل الى بغداد أبو سعد بن أبي عصرون رسولاً بذلك فغلّقت بغداد فرحاً وعُملت القباب» ولا محلّ للتغليق بالغين المعجمة وإنما هو التعليق أي تعليق الأشياء النفيسة إيذاناً بالفرح ، كما هو

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ و ٩٢ »

معروف حتى هذا الزمان ، قال أبو الفرج بن الجوزي في أخبار سنة (٤٧٠) ما هذا نصه « وفي بكرة السبت تاسع عشر شوال ولد للمقتدي مولود سمّاه أحمد وكناه أبا العباس ، وجلس الوزير فخر الدولة في باب الفردوس للهنـاء (وعلّق) الحريم وما بقي من محال الكرخ ونهر طابق ونهر القلائين وباب البصرة وشارع دار الرقيق سبعة أيام ، وهو الذي آل الأمر إليه وسمي المستظهر بالله [1] ... » فهذا التعليق من كلم الحضارة

٢٢ — اليمني لا التميمي :

وجاء في الصفحة ٢٠٨ في وفيات سنة ٥٦٩ « والفقيه عمارة بن علي بن زيدان أبو محمد الحكمي المذحجي التميمي الشافعي » ولا يصح اجتماع المذحجيّة والتميميّـة له ، فالظاهر أن التميمي تصحيف « اليمني » وهو نسبه المشهور ، قال ابن خلكان : الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي اليمني الملقب نجم الدين الشاعر المشهور ، نقلت من بعض تواليفه أنه من قحطان ثم من الحكم بن سعد العشيرة المذحجي وأن وطنه من تهامة باليمن [2] ... » وهذا الرجل معروف بنسبه « اليمني » كما نقلت في كثير من كتب التاريخ كمرآة الزمان « ٨ : ٢٧٧ ، ٣٠٢ » وغيره قال ابن الجوزي السبط في وفيات سنة ٥٦٩ : « وفيها توفي عمارة بن أبي الحسن [3] أبو حمزة اليمني الشاعر ...».

٢٣ — عيّاد لا عبّاد

وورد في وفيات سنة ٥٧٥ في الصفحة ٢٢٦ « وأبو عمر بن عباد الأستاذ المقرئ المحقق يوسف بن عبد الله الأندلسي اللري ، قدم بلنسية ... » فعلّق الدكتور الفاضل على اللري « كذا في الأصل » والصحيح أن جده « عيّاد » لا عبّاد ، قال ابن الجزري : « يوسف

---

(١) المنتظم « ٨ : ٣٠٣ »

(٢) الوفيات « ١ : ٩ ٤ من طبعة بلاد العجم »

(٣) في مرآة الزمان « ٨ : ٣٠٢ طبعة حيدر أباد الدكن — ابن الحسن — وقد سقطت كلمة « ابن » من التسمية .

ابن عبد الله بن سعيد بن عياد بتشديد الياء آخر الحروف أبو عمرو اللدي الحافظ[1] ... »

أما « الدري » أو « اللدي » فلا يزال من النسب المستبهمة ، والظاهر أنها نسبته إلى موضع من مواضع الأندلس

٢٤ — وغَلَت مَراجلُها لا « غلب من أجلها »

وورد في الصفحة ٢٤١ في أخبار سنة ٥٨١ « وفيها هاجت الفتنة بين التركمان وبين الأكراد بالجزيرة وأذربيجان وغلب من أجلها وتمادى تطاولها ، وقتل من الفريقين خلق لا يحصون وتقطعت السُّبل» فجملة « وغلب من أجلها» هي تصحيف « وغلت مراجلها» التي هي كناية عن تفاقمها واشتدادها واحتدامها ، وهو من أغرب التصحيفات

٢٥ — أمير ركب العراق

وجاء في الصفحة « ٢٥٠ » في أخبار سنة ٥٨٣ « فأنكر عليه أمير ركب طاشتكين » وقد سقطت من النص كلمة « العراق » فهو أعني طاشتكين أمير ركب العراق ، في تلك السنة وغيرها مما قبلها وما بعدها كما هو مسطور في كتب التاريخ كالكامل لابن الأثير ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي والروضتين لأبي شامة ورحلة ابن جبير الأندلسي

٢٦ — ابن الخَلّ لا ابن الخِلّ

وورد في الصفحة ٢٥٧ في وفيات سنة ٥٨٥ « وأبو طالب الكرخي صاحب ابن الخِلّ واسمه المبارك بن المبارك ... » وقد ضبط محقق الكتاب الخلّ بكسر الخاء ، والصواب فتحها ، قال الذهبي في المشتبه ـ ص ١١١ ـ : « وأبو الحسن بن الخَلّ بفتح المعجمة ، سمع ابن البطر وعنه أبو الحسن القطيعي » ، ومن الغريب أن ابن خلكان ترجم أبا الحسن محمد بن المبارك ابن الخلّ الفقيه هذا وذكر معه أخاه أبا الحسين أحمد الشاعر[2]

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء « ٢ : ٣٩٧ »

(٢) وفيات الأعيان « ٢ : ٤٠ ، ٤١ طبعة بلاد العجم »

ولم يضبط كلمة « أُخلِّ » بخلاف عادته الحسنة في الضبط

٢٨ — ابن الكيزاني لا أبو الكيزان

وورد في الصفحة ٢٦٣ في وفيات سنة ٥٨٧ مع ترجمة محمد بن سعيد الخبوشاني « ثم عمد إلى قبر أبي الكيزاني الظاهري وكان من غُلاة السنّة وأهل الأثر فنبشه » والصواب « ابن الكيزانيّ » نسبة الى الكيزان جمع الكوز ، وقد ورد الخبر نفسه في مرآة الزمان في ترجمة محمد بن سعيد الخبوشاني المذكور « وكان طائشاً مهموماً نبش ابن الكيزاني وأخرج عظامه من عند الشافعي[1] ... » ولابن الكيزاني ترجمة في مرآة الزمان « ٨ : ٢٥٤ » والوفيات « ٢ : ١٢١ » طبقات الشافعية الكبرى « ٤ : ٦٥ » والنجوم الزاهرة « ٥ : ٣٦٧ ، ٣٧٦ » وغيرهنّ ، قال ابن خلكان : « والكيزاني : بكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى عمل الكيزان وبيعها وكان بعض أجداده يصنع ذلك والله أعلم »

٢٩ — نبشه لابيّته

وورد في الصفحة « ٢٨٠ » في وفيات سنة ٥٩٢ ذكر وفاة الوزير الكبير مؤيد الدين أبي الفضل محمد بن علي المعروف بابن القصاب وجاء في سيرته « توفي بظاهر همذان في شعبان وقد نيف على السبعين وردّ العسكر، فلما جاء خوارزم شاه بيّته وحزّ رأسه وطوّف به بخراسان » وقد تصحف الفعل « نبشه » إلى « بيته » ، فلم يكن في الامكان تبييته بعد أن توفّي بظاهر همذان ، قال ابن الأثير في ذكر حروب الوزير الهمام ابن القصاب : « ورحل الوزير من موضع المصافّ إلى همذان فنزل بظاهرها فأقام نحو ثلاثة أشهر فوصله رسول خوارزمشاه تكش ، وكان قد قصدهم منكراً أخذ البلاد من عسكره ويطلب إعادتها وتقرير قواعدها والصلح ، فلم يجب الوزير الى ذلك ، فسار خوارزم شاه مجدّاً إلى همذان ،

---

(١) المرآة « ٨ : ٤١٤ »

وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد توفي في أوائل شعبان فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصاف نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فقتل بنيهم كثير من العسكر وانهزم عسكر الخليفة ، وغنم الخوارزميون مهم شيئاً كثيراً وملك خوارزم شاه همذان (ونبش الوزير من قبره) وقطع رأسه وسيره الى خوارزم وأظهر أنه قتله في المعركة [1] . . »

فالنبش ثابت بشهادة نقل ابن الأثير وإن كان من دناءات تكش

٣٠ — وجاء في الصفحة ٢٨١ ذكر من اسمه « خميس الجوزي » وفي الفهرست ـ ص ٣٨٢ ـ « الحوزي »

ولم يذكر الوجه الصحيح عنده ، وأيّاً كان الحال فهو « الحَوْزي » نسبة الى الحوز : قال ياقوت الحموي : « الحوز بالفتح ثم السكون من حزتُ الشيءَ حوزاً إذا حصلته وهي قرية من شرقي مدينة واسط قبالتها متصلة بالحزّامين وهي محلة تقابل واسطاً من الجانب الشرقي ويقال له حوز برقة ، ينسب إليها أبو الكرم خميس بن علي الحوزي ... قال أبو طاهر السلفي : كان خميس من حفاظ الحديث المتحققين بمعرفة رجاله ومن أهل الأدب [2] البارع وله من الشعر الغاية في الجودة ... »

٣١ — أبو طالب البُخاري لا النجّاري

وورد في وفيات سنة ٥٩٣ في الصفحة ٢٨٢ « وقاضي القضاة أبو طالب علي بن علي بن هبة الله بن محمد ابن النجّاري البغدادي الشافعي ... » وعلق المحقق الفاضل على « ابن النجاري » قوله « غيرمنقوطة في الأصل ، وفيالنجوم البخاري وفي الشذرات : النجاري». ولم يكن في المسألة بتّ مع أنه ورد في الصفحة ٤٥ في وفيات سنة « ٥٢٠ » : « وأبو البركات بن البخاري يعني المبخر البغدادي المعدل هبة الله بن محمد بن علي ، توفي في رجب عن

---

(١) الكامل « ج ١٢ ص ٤٤ من المطبعة المقدم ذكرها

(٢) ترجمه ياقوت في معجم الأدباء « ٤ : ١٨٥ »

خمس وثمانين ... » فهذا من البخاريين المبخرين أيضاً وهو حفيد الأول ، وقال السمعاني في الأنساب : « البخاري ... وأما أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد فانما قيل له البخاري لأنه كان يحرق البخور في جامع بغداد حسبة ، فجعل عوام بغداد البخوري بخاريا وعرف بيته ببيت ابن البخاري » ، وترجمة أبي طالب علي ابن البخاري مستفيضة في كتب الرجال والتواريخ

٣٢ — ابن الكال لا ابن الكيال

وجاء في الصفحة « ٣٠٠ » في وفيات سنة ٥٩٧ « وابن الكيّال أبو عبد الله محمد بن محمد بن هارون البغدادي ثم الحليّ البزاز أحد القراء الأعيان ... » هكذا ورد ، والصواب « ابن الكال » قال الذهبي في المشتبه ـ ص ٤٣٥ ـ : « الكال محمد بن محمد بن هارون الحلي ابن الكال ، شيخ القراء وأخوه عبد الواحد » وقد كان قال في الصفحة ١٩١ » : « الحلي ... ومحمد بن محمد بن الكال المقرئ صاحب سبط الخياط » ، وذكره بهذا الضبط أيضاً ابن الجزري في كتابه الغاية في طبقات القراء « ٢ : ٢٥٦ » وكذلك غيره

٣٣ — وهو بحرّان لا بخُراسان

وجاء في حوادث سنة (٦٠٠) في الصفحة ٣١١ خاصاً بصاحب الموصل قول المؤرخ : « فيها أخذ صاحب الموصل تلعفر من ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار ، فاستنجد القطب بجاره الملك الأشرف موسى وهو بخراسان فسار معه وعمل مصافاً مع صاحب الموصل نور الدين ... » ، وقد تصحفت حرّان الى « خُراسان » وليس للملك الأشرف موسى ابن الملك العادل الأيوبي صلة بخراسان ولا زارها ولا ارتحل اليها بسبب من الأسباب ، فالصواب « حرّان » وهي من المدن التي كانت في مملكته بالتأكيد والتحقيق في جميع التواريخ التي تذكر حكمه ، وقد ذكر الحادثة بتفصيل ابن الأثير في الكامل ، قال فيما قاله : « وكان الملك الأشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب قد سار من مدينة حرّان الى رأس

عين نجدة لقطب الدين صاحب سنجار و نصيبين [1] ... »

هـذا وقد وردت في الـكتاب أشياء أخرى ما أدري السبب في الخطأ الذي وقع فيها ودونك جدولها :

ص	س	صورتها	صوابها
٤٨	١٣	فهُـدمت	فهجمت
٤٩	٨	بالعوام	من العوام
٥٦	٦	القاسم بن عبدالله	القاسم بن عبيد الله
٥٩	٩	ولم يجابه	ولم يحابه
٧٦	١٢	سلطانـكم جائي	جاثٍ
٩٨	١٠	ما ُخوّه	ما ُخرّه
١٠٨	١٠	ابن علي جوّي	ابن عليّ جده
١٢٤	١٠	أبو النصر	أبو النضر
٢١٧	١٣	جوش بك	جيوش بك
١٣٤	٢	قبّحهم الله	قَبَحُم الله
١٤٥	١٢	ثماني عشرة ألف	ثمانية عشر ألف
١٥٢	١٦	نصر المقدسيّ	نصراً المقدسي
١٦٣	٦	والشيخ حماد	والشيخ حماداً
١٦٥	١	فَـهْماً	فـِهماً
١٧٦	٢	كَلَـيب	كُلَـيب
١٨٠	١٨	الى التنائية	إلى التناية

(١) « الكامل ج ١٢ ص ٧٥ »

١٨٦	١٤	جرد بك النوري	جرديك النوري
١٩٣	٥	المعدّل	المُـعَـدّل
١٩٥	١	فُرجيّة	فَرَجيّة
٢٠٠	٩	الباذرائي	البادرائي
٢٢٦	٧	متوجهر	منوجهر
٢٣٥	٢	حنيس	حمتيس
٢٣٧	١٣	الحِزَقيّ	الخَرْقيّ
٢٦٧	١٤	كيخسروا	كيخسرو
٢٦٩	٦	خمسة أوراق	خمس أوراق
٢٨٣	٤	غُصّ	غَصّ
٢٩٢	٥	ألمِز	ألتسز

مصطفى جواد

أنباء وآراء

موسوعة المغرب العربي

جاءنا من الرباط ما يلي :

انعقد بالخزانة العامة الاجتماع الأول للجنة المغربية لتأليف موسوعة المغرب العربي تحت رئاسة الاستاذ محمد علال الفاسي رئيس اللجنة وبحضور اغلبية الشخصيات العلمية المدعوة وقد اعتذر الاساتذة : محمد التطواني المهدي ابن عبود، محمد الصباغ، عبد القادر زمامة

وفي مستهله القى الرئيس كلمة ذكر فيها أهمية المشروع من الناحيتين العلمية والوطنية واستعرض بعض الخطوات التي قام بها مع المكتب الدائم للتعريب تمهيداً لهذا الاجتماع، وتعرض في كلمته بالخصوص الى ان كثيراً من الباحثين في القضايا العربية يستغربون كون كثير من مقررات المؤتمرات العربية لا تتعدى مرحلة الصيغة الانشائية أو مرحلة التخطيط على الاكثر دون ان تصبح في حيز التطبيق والانجاز، وعلل ذلك باستكبار بعض اخواننا العرب لكثير من المشروعات المهمة التي يمكن انجازها اذا ما تغلبت الارادة الحسنة على جانب التخوف الذي كثيراً ما يعرقل المشاريع

وان مشروع وضع دوائر للمعارف لمن الامور العظيمة التي تتسابق في مضمارها الأمم والشعوب ورغم ضعف امكانياتها فانها تبذل اقصى جهودها لتحقيقه، فهناك دول اقل من العرب استعداداً قد وضعت موسوعات علمية في بلادها مثل اندونيسيا، كما ان تركيا التي لا تفوق العرب علما واستعداداً قد قامت هي الأخرى بهذا العمل

وان مؤتمر القمة الأخير وكذا المؤتمر الاسلامي قــد أوصيا بتدوين دائرة للمعارف عربية واسلامية فما علينا الا ان نعمل بجد واخلاص مع اللجان المغربية الاخرى في الجزائر وتونس وليبيا لانجاز هذا المشروع القيم ولا نتقيد في ذلك بتاريخ معين ، فكلما انجزنا قسما دوناه في مجلة اللسان العربي او في نشرة دورية ، وكلما انهينا من ابحاث حرف من الحروف أصدرنا مجلداً باسم اللجنة المغربية ، وسنبدأ عملنا هذا بنقل كل شيء يخص العروبة والاسلام في دوائر المعارف الاجنبية البريطانية والفرنسية وغيرها ثم نتبع هـذا النقل بالتأليف ثم التنسيق والتحرير وهكذا يكون العمل سهلا وتبدو نتائجه مشجعة جداً ، وبعد انهائه من عرضه القيم عين الاستاذ محمد ادريس العلمي كاتباً للجنة ، وأعطى الكلمة للاعضاء لمناقشة جدول الأعمال الذي كان يتلخص في وضع تصميم وطريقة للعمل ، وتأليف لجان ثلاث للتأليف والتعريب والتنسيق والتحرير ، والاستعانة بشخصيات علمية أخرى يقترحها الاعضاء الحاضرون ، مع وضع قائمة بالكتب والوثائق والمراجع التي يمكن الاعتماد عليها مما يوجد داخل المغرب وخارجه

وقدابتدأ المناقشة ، السيد العابد الفاسي مستفهماً عن نوع هاته الموسوعة والمواضيع التي يمكن ان تطرقها ، وهل يكون ضمن بحوثها بعض ما يتعلق بالشؤون الاسلامية مثل قضايا الطوائف والمذاهب الاسلامية فاجابه الرئيس اننا نقصد بالموسوعة المغربية موسوعة ضخمة لا تغفل أي جانب من جوانب العلم والحضارة العربية والاسلامية بالمغرب ، كما انها ستتناول ايضاً كل ما قامت به الأمم والشعوب بهذا القطر منذ الأزمنة السابقة للتاريخ ، فالمذاهب والملل والنحل ، وكل شيء يمس حضارة المغرب من قريب او بعيد سيدون في الموسوعة ، وتناول الكلمة السيد التازي سعود فلاحظ تقديم الترجمة على التأليف والوضع مع انه يكون من الأولى تقديم هذا الاخير ، وهنا تدخل كثير من الأعضاء ، فاجاب الاستاذ علال الفاسي اننا لا نعني بالنقل ان تقوم بترجمة حرفية وانما نريد ان يعتمد

المؤلف معنى بحوث هاته الكتب ثم يفرغها في قالب جديد حسب اسلوب الموسوعة ونوعها ، وان من الافضل تسهيلا للعمل ان نبتدىء بتجريد كل ما تناولته الكتب والموسوعات الاجنبية والاسلامية والعربية ، ونضعه في جزازات ، ثم نعرب ونؤلف وننسق ونحرر بعد اضافة بحوث ومعان جديدة واثار السيد ابراهيم الكتاني مسألة الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها فذكر ان قسما تاريخياً مهما يوجد بمركز الابحاث بباريز كانت الخزانة الوطنية قد جمعته وبعثت به اليه فانا اقترح الاستفادة منه كسائر وثائق ومستندات وكتب الخزانة العامة ، كما اقترح تعريب الدليل الازرق في السياسة لان فيه ايضاً ما يفيدنا ولا توجد نسخة منه معربة ، وان نتوسع فيما اهمله التدوين المعاصر من قضايانا الوطنية ومواقف رجالاتنا داخل بلادنا وخارجها ، ولا سيما ايام الكفاح الوطني ، فحبذ الرئيس والاعضاء هذا الاقتراح ، وفيما يتعلق باقتراح اضافة بحوث قديمة على صيغتها الذي قدمه رئيس اللجنة تدخل السادة ، عبد الكريم غلاب ، التازي مبينين اننا اذا ادخلنا هاته البحوث على صيغتها القديمة خرجنا عن التنسيق المطلوب في اسلوب الموسوعة، وهنا وقعت مناقشات وتدخلات من الأعضاء اسفرت في الاخير على ان هاته البحوث والكتب يقع التصرف فيها وتدون بعد ان تفرغ في قالب جديد طبقاً للخطة المتبعة ، واقترح السيد غلاب تكوين كتابة عامة ، فاعتذر الرئيس عن تلبية هذا الاقتراح نظراً لعدم وجود موارد لهذا المشروع ، وان المكتب الذي تبناه هو الذي يقوم بتسييره من الناحية الادارية ، وانه يتوفر على موظفين مقتدرين مثل الحاج مير والاستاذ عبد الحق فاضل ، وان الاستاذ محمد العلمي يقوم بمهمة كتابة اللجنة ، فاذا تفضلتم بتعيين لجنةلمساعدة المكتب في ذلك فانه يكون لكم من الشاكرين وفيما يتعلق بالتصميم الذي وضعه الاستاذ عثمان الكعاك لمشروع الموسوعة المغربية ، تدخل السيد العربي الخطابي منتقداً له لانه لا يساير ما ينبغي ان تكون عليه هاته الموسوعة من تحاش للالفاظ مثل الاستعمار والرومان

والبيزنطية، كما انه لم يحدد معنى جغرافياً وحضارياً، حيث ان الجغرافية لا تتعدى اطاراً محدوداً من الارض، ولكن الحضارة قد تخرج عن نطاق جغرافية القطر، وهنا تدخل السيد العلمي مبيناً ان المكتب انما توصل برسالة تحتوي على مشروع وضعه الاستاذ الكعاك للدراسة والبحث والانجاز، ولم يضع تصميما محدد المعالم والنقط، لا تمكن مجاوزته، فلنا ان نختار الطريقة الصالحة وان نضع ما نراه ضرورياً من النقط والخطوط والتصميمات، وبعد تدخل كثير من الأعضاء مثل السيد التازي الذي ذكر ان لديه الآن مشروع تصميم المعلمة الافريقية، والسيد عبد العزيز بنعبد الله الذي أعطى عرضاً مفصلاً عن الحضارة ومفهومها قديماً وحديثاً، وقسم الجغرافية الى طبيعية لا تتعدى اطارها الارضي المعين وغير طبيعية يمكن أن تساير الحضارة في البحث، وقسم افريقيا الى شقين شرقي وغربي، تكلم الرئيس فبين ان القصد من هذا الاجتماع هو تبادل وجهات النظر والبحث في وضع تصميم محكم للعمل مع البحث في وسائل الانجاز والتنفيذ بكيفية عملية وبعد تدخل السيد محمد حجي الذي ألح في عدم مجاوزة الواقع الطبيعي لكل قطر عند تدوين المعلومات عنه، تدخل أيضاً السيد العلمي فبين انه توجد أربع لجان في المغرب العربي لا لجنة واحدة، وكلها مهتم بتدوين الموسوعة من الاسكندرية الى المحيط فينبغي أن لايقع التكرار، وان يقع التنسيق والتشاور بينها طبقاً لما يوجد في جدول الأعمال، فذكر الرئيس إن كل واحدة تبحث في الموضوع في دائرتها ولا تتعداه الا باجمال، وتدخل ايضاً السيد الخطابي معترضاً الاقتصار على تكوين ثلاث لجان احداها للتأليف وثانية للتعريب وثالثة للتنسيق والتحرير موافقاً للسيد الحاج مير في الاقتراح الذي قدمه بشأن تكوين اللجان بحسب الشعب العلمية، فأجاب الرئيس اننا نبدأ بتكوين ثلاث لجان كما ذكرت، ثم نتوسع بعد ذلك في تكوين اللجان الفرعية، فحبذ الجميع هذا الراي، واقترح السيد ادريس الكتاني والحاج مير ان يوضع منهاج مدقق للعمل قبل الشروع فيه، لئلا يقع الاختلاف في الوضع والتحرير،

فوقعت الموافقة على تعيين السادة توفيق الشاوي محمد ابن البشير وادريس الكتاني ليكونوا لجنة لوضع هذا المنهاج وتقرر ان تجتمع بالأمانة العامة للمكتب يوم الاربعاء ٢٧ يناير ٩٦٥ مع كاتب اللجنة محمد العلمي لاستخلاص ملاحظة الاعضاء في هذا الاجتماع ووضع مهاج للعمل، وقد اقترح السيد ابراهيم الكتاني اضافة السادة : الصديق بن العربي ، ابن الحسني ، ابن تاويت التطواني ، عبد الكبير بن حفيظ الفاسي وسعيد اعراب فاجابه الكاتب اننا بعثنا لعدة شخصيات علمية داخل المغرب وخارجه ، وسنبعث ايضاً لهؤلاء ، وهنا اثار السيد البوعناني مسألة الاستعانة بالمستشرقين فاجابه الرئيس بان اللجنة التحضيرية قدكتبت لبعض الاخصائيين من الاجانب ، وسوف يوافوننا بابحاثهم او يحضرون معنا اذا سمحت لهم ظروفهم الخاصة

وبعد استخلاص نتائج ملاحظات الاعضاء ، وبعد عرض قام به السيد بنعبد الله حول تنفيذ المشروع كما يراه هو ، وكما درس في اجتماعات اللجنة التحضيرية ، ختم الرئيس المناقشة وتلا خلاصة النقط المتفق عليها ، وتتلخص فيما يلي :

١) الاعتماد على كل ما كتب عن المغرب والاسلام باللغة العربية وغيرها من اللغات الاخرى ولا سيما دوائر المعارف الاجنبية والاسلامية

٢) تجريد الموضوعات منها واضافة البحوث الجديدة اليها في تهيء الحصائل

٣) تجريد كل الموضوعات المهمة في الدين والحضارة والجغرافيا

٤) التحرير مع نوع من التحوير والتبسيط حسب الاسلوب الموضوع من طرف اللجنة

٥) تكوين ثلاث لجان رئيسية للتأليف والتعريب والتحرير

٦) تكوين لجان فرعية موضوعية في العلوم والتاريخ والجغرافيا ... الخ

٧) استدعاء بعض الشخصيات العلمية العربية والاجنبية للمساهمة في المشروع

٨) تبادل الامدادات العلميـة وتنسيق العمل مع لجان الموسوعة الاخرى في الجزائر وتونس وليبيا

٩) نشر الابحاث المفروغ منها في مجلة « اللسان العربي »

١٠) اصدار نشرة سنوية تعنى بنشر البحوث من غير مراعاة للترتيب الابجدي

١١) اذا كملت مواد حرف واحد طبعت في مجلد يكون جزءاً من الموسوعة

١٢) يبتدأ في العمل بوضع الجزازات ثم تكتب الابحاث

١٣) تنشر الابحاث باسماء اصحابها ، اما التعاليق والملاحظات فتكون باسم اللاجنة

١٤) تكوين لجنة من السـادة توفيق الشاوي ـ محمد ابن البشـير ـ إدريس الكتاني لتحرير منهاج للعمل بعد الاطلاع على ملاحظات الاعضاء وتصميم الموســوعة الافريقية ومشروع الاستاذ عثمان الكعاك

وبعد انهاء الرئيس من ذكر هاته النقط وقع الاتفاق على عقد اجتماع ثان يوم الاثنين ٨ يبراير ١٩٦٥ في الساعة العاشرة صباحاً بالخزانة العامة بالرباط

رأي في مصطلحات المجمع العلمي العراقي

بقلم : جعفر الخياط

أصدر مجمعنا العلمي الموقر في مناسبات شتى عدداً من النشرات للمصطلحات العلمية ، فقوبل عمله هـذا بشيء غير يسير من الاستحسان والتقدير في الاوساط المعنية بالأمر ولا غرو فان المجمع حينما ينشر مثل هذه النشرات إنما يقوم بأهم واجب من واجباته في الأسهام بتنظيم حياتنا الثقافية ، وأرسائها على أسس رصينة تيسر لنا الاستقاء من معين الغرب العلمي ومدنيته الحديثة

فقـــد أخرج نشرة (مصطلحات في هندسة السكك الحديد والري والأشغال وفي الصناعة والملاحة والطيران) في ١٩٥٥ ، ونشرة (مصطلحات صناعة النفط) في ١٩٥٨ ، ونشرة (مصطلحات في علوم الفضاء) سنة ١٩٥٩ ، ونشرة (مصطلحات في علم التربة) سنة ١٩٦٠ . فتسنى لي الاطلاع في الأيام الأخيرة على هـذه النشرات ، وما أحتوته من مصطلحات ، فوددت ان أعقب عليها ببعض الملاحظات ، لاسيما وقد ألفيت فيها ان عدداً من الكلمات الأنكليزية قد وضعت لكل منها مختلف المصطلحات العربية في مختلف النشرات والمواضيع من دون الالتفات الى وجوب تسمية المصطلح الواحد بمسمى علمي واحد عادة.

فقد ترجمت كلمة Aggegate الواردة في الص ٧ من نشرة (مصطلحات هندسة

السكك ...) بكلمة (خليط) ، بينما ترجمت في الص ٤ من نشرة (مصطلحات في علم التربة) بكلمة (مجموعة او مجموع) من دون ان يكون هناك ما يستدعي تسمية الشيء الواحد بتسميين والظاهر ان حضرات أعضاء المجمع المحترمين في السابق لم يكونوا متأكدين من هذه الكلمة وتسميها ، أو ان أناساً مختلفين منهم قد وضعوا المصطلحات لمختلف النشرات الصادرة في سنين مختلفة ومها كان الأمر فأني اعتقد ان المصطلحين العربيين المذكورين لا ينطبقان على المعنى المطلوب بالأنكليزية فان كلمة (خليط) تقابلها في الأنكليزية كلمة Mixture ، أما كلمة Aggregate هذه فالأصح ان تقابلها بالعربية كلمة تؤدي معنى الضم او التكتيل كما يفهم من معناها الأصلي الوارد في المعاجم الأنكليزية ، لأن صيغتها الفعلية تعني (الجمع في كتلة) أي To Collect inta a mass

وترجمت كلمة Clay في الص ٩ من نشرة (مصطلحات هندسة السكك ...) بكلمة (صلصال) بينما ترجمت في الص ٩ من نشرة (مصطلحات علم التربة) بكلمة (بوغاء) من دون ان يكون هناك تبدل يذكر في المناسبة أو الموضوع وأني أرى ان كلمة صلصال أصح وأليق لرقتها وورودها الكثير في اللغة بهذا المعنى ، ولاستعمالها بالمعنى نفسه في البلاد العربية الأخرى ولا سيا في معجمي (الألفاظ الزراعية) و (المصطلحات الحراجية) تأليف الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق يضاف الى ذلك ان تسمية Clay بكلمة صلصال لا تؤدي الى الالتباس الذي يمكن ان يحصل بين كلمة بوغاء ومشتقاتها وكلمة (بوغ) او جمعها (أبواغ) التي وضعها مجمع اللغة العربية في القاهرة لكلمة Spore في علم النبات

وفي الص ١١ من نشرة (مصطلحات هندسة السكك ...) سميت كلمة Cutting الأنكليزية بالمصطلح (قلم) . وأني أرى أن أصح ما يجب ان يوضع في مقابل هذه الكلمة الانكليزية

كلمة (عُقلة والجمع عقل) لأنها أفصح من كلمة قلم المبتذلة ، ولأن الكثير من كتب النبات في البلاد العربية قد أطلقت كلمة قلم هذه على Style في علم النبات ، وهو عنق المبيض في الزهرة وقد سماها استاذنا الأمير مصطفى الشهابي في (معجم المصطلحات الحراجية) بكلمة (فسل وجمعها فسول) أيضاً

وقد سميت في الص ١١ و ١٢ من (نشرة مصطلحات هندسة السكك ...) كلمة Ratoon الأنكليزية باسمها الأنكليزي نفسه (راتون) ، ولا أرى مبرراً لأبقاء هذه الكلمة الأجنبية نفسها لأنها تقابل كلمة (شطأ والجمع أشطاء) في العربية وهي تطلق على فروع نباتات الفصيلة النجيلية مثل القمح وقصب السكر ، وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى (ومثلهم في الأنجيل كزرع أخرج شطأه) ، كما استعملت في البعض من كتب الزراعة والنبات العربية لهذا الغرض

وسميت في الص ١١ من النشرة نفسها كلمة Internode الأنكليزية بكلمة (أنبوب) ، وهي في نظري كلمة لا يتوفر فيها المعنى الأصطلاحي الذي يفهم لأول وهلة . والأحرى بنا ان نجاري ما ورد في معظم كتب النبات في البلاد العربية فنسميها (سُلامىٰ وجمعها سُلامَيَات) والسلامى في القاموس كل عظم مجوف من صغار العظام مثل عظام الأصابع

وفي الص ١٢ وضعت كلمة (سلفته) مقابل كلمة Sulphitation الانكليزية ، ولا يخفى ان هذه الكلمة تقابلها في العربية كلمة (كبرته) المشتقة من كبريت لان سلفته مشتقة من كلمة Sulphur الأنكليزية التي تعني الكبريت نفسه ولا أرى موجباً لأبقاء التسمية الأنكليزية في الاستعمال لهذا الغرض لأن الكلمة ليست صعبة وغير مستعصية التسمية . هذا وقد لاحظت ان نشرات المجمع الأخرى قد ورد فيها اسم (حامض الكبريتيك) ـ وهو اسم معروف وشائع في جميع المدارس ـ وبذلك قد اعترف المجمع بوجوب تعريب كلمة (سلفر) الى كبريت بطبيعة الحال ولو لم يفعل ذلك لأطلق على حامض

الكبريتيك اسم حامض السلفريك على القياس نفسه

ووضعت في الص ١٦ من النشرة نفسها في موضوع (بحث مصطلحات الطيران) كلمة دفّاعة مقابل كلمة Propeller الانكليزية ، ثم وضعت الكلمة نفسها في أسفل الص ١٦ من نشرة (مصطلحات في علوم الفضاء ١٩٥٩) مقابل كلمة (داسر) ، فقد ورد (داسر سائل) مقابل Liquid Propeller وفي رأيي أن المصطلح الأخير أصح وأقرب إلى معنى الكلمة الأصلية بالانكليزية ، فأنها تعنى الدفع أو الادخال بقوة هذا وأني أعتقد أن كلمة (رفّاس) التي يشيع استعمالها في الوقت الحاضر تؤدي المعنى المطلوب أيضاً لأن هذه الآلة ترفس الهواء بشدة بريشاتها المتينات

وقد ترجمت في الص ١٨ من النشرة نفسها كلمة Alluvial بكلمة (غريني) غير ان المجمع الموقر عاد في الص ٥ من نشرة (مصطلحات التربة) فوضع مقابل كلمة Alluvium كلمة (التقن) العربية ومقابلة Alluvialsoil كلمة (التربة التقينة) ، ثم عاد ثانية فأطلق كلمة غرين على كلمة Silt الانكليزية أيضاً في الص ١٧ من النشرة نفسها وقد لاحظت كذلك أن الأمير مصطفى الشهابي يؤيد في (معجم الألفاظ الزراعية) مجمعنا في إيراد كلمة (غرين) ، لكن مجمع اللغة العربية في مصر يسمي كلمة Alluvium بالطمي والكلمة الانكليزية هذه تدل على مجموعة المواد التي تحملها مياه الأنهار وغيرها فترسبها في الأماكن المنخفضة ولذلك أرى أن تطلق كلمة (غرين) على Alluvium و (طمي) على كلمة Silt

وترجمت في الص ١٩ من نشرة (مصطلحات هندسة السكك ..) كلمة Irrigation بكلمة (ري) ، غير أن المجمع الموقر يعود في الص ٦ من نشرة (مصطلحات علم التربة) فيطلق كلمة (أرواء) مقابل الكلمة الانكليزية هذه نفسها . على اني أرى ان كلمة (ري) أصبحت شائعة الاستعمال في العالم العربي ويفضل أبقاؤها إذا لم يكن استعمالها الشائع هذا خطأً فاضحاً

وفي الص ٢٩ من نشـرة (مصطلحات هندسة السكك ..) وردت كلمتا Albuminoid و Alkaloid فوضعت للأولى كلمـة (كالزلال) وللثانيـة كلمة (كالقلي) ، أي باستعمال كاف التشبيه مقابل (Oid) الواردة في آخر الـكلمتين الانكليزيتين ، غير أن المجمع المحترم يعود في الص ٤ و ٥ من نشرة (مصطلحات التربة) فيستعمل كلمة (شبه) بدلاً من كاف التشبيه للصيغة نفسها ويوردها في كلمات أخرى فيقول (أشباه الحوامض) و (أشباه القواعد) لـكلمتي Acidoids و Baseoids ولا شك ان الصيغة الأخيرة أفصح وأخف في الاستعمال اذا ما قورنت بالصيغة الأولى التي يبدو المصطلح فيها ثقيلاً على الأسماع ، كما انها يمكن جمعها ووضعها في صيغ متعددة بسهولة

وقد وضعت كلمة (أرض جزر) في الص ١٩ من النشرة نفسها مقابل كلمة Arid land غير ان الص ٥ و ١٦ من نشرة (مصطلحات التربة) ترد فيها كلمة (قاحل) بدلاً من (جزر) مقابل Arid ، فيقال فيها (مناخ قاحل) و (شبه قاحل) مقابل Arid Climate و Semi-Arid وأني أرى ان المصطلح (قاحل) أفصح وأسهل في الاستعمال ، وعلى الأخص لأنـه أصبح شائعاً ومستعملاً في جميع الـكتب ذات الاختصاص

وفي الص ٤ من نشرة (مصطلحات علم التربة) وردت كلمة (التعري) مقابل Erosion. بينما وردت هذه الكلمة في الص ٥ و ٩ و ٩٦ من النشرة نفسها بشكل (التعرية) ، وهذه في نظري صيغة أصح وأكثر شيوعاً واستعمالاً عدا كونها أكثر انطباقاً على ما يحـدث في الطبيعة

وقد ترجمت في الص ٥ من النشرة نفسـها كلمة Alkali بكلمة (قلوية) ، وهي ترجمة حرفية بلا شك غير آنني أرى ان هذه الكلمة عند ما تستعمل في شؤون التربة وأحوالها يجب أن تستبدل بكلمة (سبخ) أو (ملحة) ، فيقال (تربة سبخة أو ملحة) وهذا هو

المقصود في الأصل وعلى القياس نفسه يقال (تسبُّخ) مقابل Alkalizatoin الواردة في الص نفسها ، وبذلك يسهل تصريف المصطلح ووضعه في صيغ مختلفة

وورد في الص ٨ من النشـرة نفسها كلمة (النسبة القصوى) مقـابل Critical percentage. على اني أرى ان هذا التعبير يجب أن يعربّ بكلمة (نسبة الحرج) لأن Critical تدل على ذلك بالذات ، ولأن (قصـوى) تـكون مضللة أحيـاناً لأن الحرج قد لا يأتي دائماً بالنسبة القصوى ، أو الحرارة القصوى Critical temperature أو ما أشبه

وجاءت في الص ١ من النشـرة نفسها كلمة (الرّق) مقابل Film Water ، لكنني أرى ان هذه الـكلمة ربما يلتبس فهمها ولا أرى ما يمنع تسميها بكلمة (الماء الغشائي) لأن المقصود بها هو طبقة الماء الخفيفة جـداً التي تحيط بذرات التربة ولو كانت تقارب الجفاف يضاف إلى ذلك أنها كلمة يسهل فهمها على القاريء والمتعلم

وفي هذه النشرة أيضاً أطلق اسم (تربة الحرث) على المصطلح Plow Sole ، وهذا اسم لايدل على شيء له دلالة مفهومة خاصة ولا يؤدي المعنى المطلوب . فان المقصود من المصطلح الانكليزي هو المجال الذي يعمل فيه المحراث في التربة ولذلك اقترح ان يصطلح مقابل هذه الـكلمة الانكليزية (حد الحراثة)

وورد في هذه النشرة أيضاً المصطلح (التعرية اللوحية) مقـابل Sheet Erosion ، وأني أرى أن الـكلمة العربيـة لا تؤدي المعنى المطلوب لأن المقصود بالمصطلح الانكليزي تعرية طبقة بعد أخرى من طبقات الأرض وتأكلها ولذلك أقترح أن تسمى بالعربيـة (التعرية الطبقية)

وفي الص ١٨ من النشرة نفسها ورد المصطلح (سطح الماء الباطن) مقابل Water Table ، وهذا مصطلح غير متقن في دلالته حيث أن الماء الموجود في التربة ليس فيه سطح معين أو ثابت والأصح أن يقال (مستوى الماء الجوفي أو الباطن)

وجاء في الص ١٨ من هذه النشرة كذلك مصطلح (المناخية) مقابل كلمة Weathering ويبدو لي أن المصطلح العربي غير مفهوم وغير واضح في دلالته ولذلك أرى أن يستبدل بكلمة (فعل المناخ)

هذا ما عن لي من الملاحظات التي أضعها بين أيدي أعضاء المجمع العلمي الجديد راجياً اعادة النظر في المصطلحات المذكورة على ضوئها ان أمكن ، تصحيحاً للخطأ الحاصل وتوخياً لمراعاة الدقة والاتقان ، والله من وراء القصد

جعفر الخياط

تصويب

لقد ورد تحت عنوان عباس محمود العقاد في المجلد الحادي عشر من هذه المجلة صحيفة (٢٨٣) ان ميلاد المرحوم عباس محمود العقاد كان ١٨٩٩ خطأ والصحيح ١٨٨٩ مما اقتضى التنويه .

« فهرس المجلد الثاني عشر »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

باب الكتب

أنباء وآراء